إصدارات

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق



أشغـال الملتقى الوطني الأول الموسوم:

الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني
تحت شعار
للأمجاد أعلام وللتاريخ أقلام

النـادي الوطني للجيش - بني مسوس

06 و07 مارس 2024م ردمك: 978-9947-60-451-9

الجـزء الثانـي

- تقديم وتنسيق:

- الدكتور: حسين عبد الستار - الأســـتاذ: نســـيم نـــوار



يصدر هذا الكتـاب وهو الجزء الثـاني

من أشغـال الملتقى الوطني الأول الموسوم:

الذاكرة وإشكـالية كتـابة التـاريخ الوطني

بإشراف من وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

السيد: العيد ربيقة

- الرئيس الشرفي للملتقى :

وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

- السيد: العيد ربيقة

- رئيس الملتقى :

- الأستـاذ الدكتور: بوعزة بوضرسـاية

مدير جـامعة برج بوعريريج

- رئيس اللجنة العلمية للملتقى :

- الدكتور: حسين عبد الستار

مدير المركز الوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

- المراجعة والتدقيق:

- الأستـاذ الدكتور: بشير سعدوني - الأستـاذ الدكتور: علال بيتور

- الإعداد والإخراج:

- الأستـاذ: نسيم نوار

- أعضاء اللجنة العلمية للملتقى :

د/ حسين عبد الستار	المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية
أ.د/ بوعزة بوضرساية	جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
أ.د/ بشير سعدوني	جامعة الجزائر 2
أ.د/ علال بيتور	جامعة الجزائر 2
أ.د/ لياس نايت قاسي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ يوسف مناصرية	جامعة باتنة
أ.د/ قويسم محمد	جامعة سكيكدة
أ.د/ منادي عثمان	جامعة سوق أهراس
أ.د/ أحمد بن جابو	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ ودوع محمد	المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة
أ.د/ عباس كحول	جامعة بسكرة
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة قالمة
أ.د/ حنيفي هلايلي	جامعة سيدي بلعباس
أ.د/ حميد آيت حبوش	جامعة وهران
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة قالمة
أ.د/ كريمي خديجة	جامعة الجزائر 2
د/ مصطفى سعداوي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
د/ محمد مبارك كديدة	جامعة تمنراست
د/ بومدين كعبوش	جامعة الأغواط
د/ عبد الحفيظ عبد الحي	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة
د/ دحمان تواتي	المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة
د/ فضيلة علاوي	جامعة الجزائر 2
د/ بلقاضي مليكة	جامعة برج بوعريريج
د/ عبد الرحمن بن بوزيان	جامعة تلمسان
د/ حشلاف يونس	جامعة تيزي وزو
أ/ نسيم نوار	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ/ يوسف أمير	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

- فهرس المحتويات:

۞ المداخلات العلمية	
۞ إشكالية أرشيف جرائم فرنسا بالجزائر في كتابة التاريخ الوطني "مراكز الاعتقال خلال الثورة التحريرية أنموذجا" ✍ الأستاذ: نور الدين مقدر (جامعة محمد بوضياف - المسيلة)	11
۞ إشكالية قراءة وتوظيف الوثائق الأرشيفية والتقارير الأمنية الاستعمارية حول الطرق الصوفية والزوايا خلال المقاومة الشعبية والثورة التحريرية ✍ الأستاذ: عباس كحول (جامعة محمد خيضر - بسكرة)	25
۞ المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني ✍ الأستاذ: قرين عبد الكريم (جامعة 8 ماي 1945 - قالمة)	49
۞ المقاومات الشعبية للاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري في اهتمامات الأبحاث التاريخية الجزائرية الواقع والصعوبات والآفاق ✍ الأستاذ: كديده محمد مبارك (جامعة أمين العقال الحاج موسى أق خموك - تامنغست)	63
۞ المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (ت 1955م) وجهوده في كتابة تاريخ الواحات الصحراوية الجزائرية ✍ الأستاذ: عبد الله بابا (جامعة أحمد دراية - أدرار)	85

105	الوعي التاريخي والقناعات الوطنية في مؤلفات المؤرخ محفوظ قداش - الأستاذ: عبد الوهاب شلالي - الأستاذ: عبد الحفيظ عبد الحي (جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة)
129	أهمية الوثيقة الأرشيفية في كتابة التاريخ الوطني الأستاذ: محمد بن جبور (جامعة وهران 1 أحمد بن بلة)
137	تاريخ الجزائر المعاصر في سجلات المحاكم الشرعية دراسة مركزة على سجلات مدينة الجزائر الأستاذ: عبد الباسط قلفاط (جامعة جيلالي بونعامة - خميس مليانة)
165	تاريخ المغرب الأوسط (55هـ/675م-100هـ/719م) من خلال كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي الأستاذ: بومداح مرزاق (المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة)
201	جهود المؤرخات الجزائريات في بناء مدرسة التاريخ الوطني والحفاظ على الذاكرة الوطنية مريم الصغير، عائشة غطاس، فلة موساوي أنموذجا الأستاذ: عمر جبري (جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج)

219	جهود مدرسة التاريخ الوطنية في الاهتمام بأرشيف الهيئات القيادية للثورة الجزائرية الأستاذ: أحمد مسعود سيد علي (جامعة محمد بوضياف - المسيلة)
243	دور مراسلات وكتابات المسؤولين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر (19م) -مراسلات الدوق دي روفيكو نموذجا- الأستاذة: فضيلة حفاف (المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954)
257	مجلة المصادر ودورها في كتابة التاريخ الوطني والتعريف به الأستاذة: عائشة براهيمي (المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954)
271	منهج الكتابة التاريخية عند الشيخ مبارك الميلي من خلال كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث الأستاذ: رشيد مياد (جامعة الدكتور يحي فارس - المدية)
287	نظرة بعض المؤرخين الجزائريين للكتابات التاريخية المتعلقة بالجزائر الأستاذ: مختار هواري (جامعة الدكتور يحي فارس - المدية)

المواد المنشورة في هذا الكتـاب لا تعبر إلا عن آراء أصحابها
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر القـائمين على الملتقى
ولا تلزم بأي حال من الأحوال
المركز الوطني للدراسات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية
وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

للمركز الـوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية
والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954
- العنوان: 63 شارع انتصار 23 نوفمبر 1836 الأبيار (الجزائر)
- الهاتف: 023.05.10.73
- الموقع الإلكتروني: www.cnerh-nov54.dz
- البريد الإلكتروني: cnerh@cnerh-nov54.dz



*** المداخلات العلمية ***



إشكـالية أرشيف جرائم فرنسـا بالجزائر في كتـابة التـاريخ الوطني "مراكز الاعتقـال خلال الثورة التحريرية أنموذجـا"

الأستـاذ: نور الدين مقدر

جـامعة محمد بوضيـاف - المسيلة



- مقدمة

تشكل الوثائق الأرشيفية أهمية كبيرة في عملية الكتابة التاريخية، إن لم نقل هي أساسها لتمكين المؤرخين والباحثين من العودة إلى الأصول الأولى للوقائع التاريخية، وقراءتها وتحليل عناصرها ومقاربتها بمصادر أخرى بهدف محاولة الوصول إلى الحقيقة التاريخية لكتابة تاريخية موضوعية، وكتابة تاريخ الثورة الجزائرية مرهون بضرورة توفر المصادر، أهمها الأرشيف؛ وتوجد أرصدة أرشيفية تخص مرحلة الثورة في داخل الوطن وخارجه، وتبقى هذه الأرصدة الأرشيفية المتاحة قليلة خاصة تلك التي هي ما وراء البحار، والإشكالية المطروحة أكثر في الأرشيف الخاص بمرحلة الثورة الجزائرية ذلك المتعلق بقضايا انتهاكات وجرائم الاستعمار الفرنسي، المتعلقة بالتجارب النووية، الاعتقالات، التعذيب وغيرها، وهو ما واجهنا من صعوبات كثيرة من خلال تجربتنا البحثية في أطروحة الدكتوراه وصعوبة الوصول إلى الأرشيف المتعلق بالمعتقلات ومراكز التعذيب من مراكز الأرشيف بفرنسا لحساسية الموضوع.

إلا أننا تحصلنا على القليل منها، المتمثلة في بعض تقارير كيفية تسيير المعتقلات وبعض المراسلات حول الأشخاص المعتقلين، ورغم ذلك لم نفشل وواصلنا البحث في الموضوع ولجأنا إلى مصادر أخرى، كما اعتمدنا أساسا

على الكثير من الوثائق الأرشيفية الموجودة بالأرشيف المحلي للبلديات المختلطة المسيلة، سيدي عيسى، بوسعادة، وبريكة الموجودة بمقر ولاية المسيلة وبريكة وأرشيف ولاية قسنطينة والشهادات الحيّة الشفوية والمسجلة للمعنيّين في الموضوع، وعلى بعض الدوريات المواكبة للأحداث، وعلى مذكّرات الذين كانوا معنيّين وفاعلين؛ والذين عاشوا المرحلة ومطّلعين على قضايا وأحداث الموضوع، وقمنا بمقاربتها ومقارنتها واستطعنا أن نلامس جوانب كثيرة من النتائج المسطرة في أهداف دراستنا للموضوع.

وسنعرض في مداخلتنا هاته تجربتنا في التعامل مع الأرشيف المحلي بمقر ولاية المسيلة وكيفية الاستفادة منه.

- أرشيف المعتقلات والمراكز العسكرية والأمنية الاستعمارية

أ- المعتقلات

ارتأت السلطات الفرنسية بعد اندلاع الكفاح المسلح بالجزائر أن تقوم بحملات الانتقاء ممّن يتعاطفون مع الثورة أو ممّن كانوا ينشطون في الحركة الوطنية سابقا. فأخذت تجمع كلّ من شكت فيه، أو قام بعمل ما لصالح الثورة من كلّ المناطق التي امتدت إليها الثورة[1]؛ ولذلك فتحت المعتقلات. وحسب ما توصّلنا إليه في هذا الموضوع يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

1- المعتقلات السياسية

هذا النوع من المعتقلات سمَّتها السلطـات الفرنسية مراكز الإيواء (Les Centres d'hébergements). وتم إنشاء هذه المعتقلات ابتداءً من سنة **1955**م؛ التي سمّيت تضليلا بمراكز الإيواء؛ حيث فتحت السلطات الفرنسية أوّل معتقل في نهاية شهر أفريل **1955**م في منطقة خنشلة، تمّ اعتقال أكثر من **160** شخص فيه، ثمّ أعقبته بأربعة معتقلات أخرى ابتداء من شهر ماي **1955**، فأنشأت معتقل آفلو بعمالة وهران، ومعتقل قلتة السطل بعمالة الجزائر، ومعتقل الشلال بعمالة قسنطينة، ومعتقل عين لعمارة بإقليم الجنوب، وهي تحت مسؤولية السلطات المدنية؛ أي تسيَّر من طرف العمالات،

حيث يبقى المعتقلون مدة غير محدودة لأشهر وربما لسنوات، ويعتبر معتقل الشلال من أوائل المعتقلات التي أنشأها الاستعمار في الجزائر وذلك في **1955/05/04**. أما المعتقلون أو المحتجزون في هذه المعتقلات فهم من السياسيين والإطارات القيادية في الحركة الوطنية والطلبة والمشبوهين الذين تريد السلطات الفرنسية إبعادهم والتخلّص منهم[2]. وصل عدد المعتقلات إلى ستّة مع نهاية **1955**م وهي: معتقلا لودي والبرواقية بعمالة الجزائر، معتقلا آفلو وبوسوي، ومعتقل سان لو بعمالة وهران، ومعتقل الجرف بعمالة قسنطينة، ووصلت إلى أحد عشر معتقلا عاما **1960**[3].

وقد اختيرت المناطق الجرداء والقاحلة في أماكن إقامة المعتقلات والتي تتميّز بشدة حرارتها صيفًا والبرودة القاسية شتاءً، والأماكن النائية والخالية من السكّان، وأنشأت أغلب المعتقلات في البداية في المناطق الجنوبية من كلّ عمالة بعيدا عن العمران والمواصلات حتى تكون الطبيعة إحدى وسائل التعذيب[4].

2- معتقلات الانتظار

وتسمّي السلطات الفرنسية هذا النوع من المعتقلات بمراكز الفرز والعبور (Centres de Transit et de Triage) (C.T.T) وهي تحت مسؤولية الجيش، يُحتَجَز فيها الموقوف المدة التي يستغرقها التحقيق، أُنشئت بعد معركة الجزائر **1957**، وانتشر هذا النوع من المراكز في كلّ القطر الجزائري؛ إذ أصبح لكلّ قطاع عسكري تقريبا معتقله الخاص الذي يمارس فيه تعذيب المشتبَه بهم ثم تصنيفهم، ففيهم من يقدّم للمحاكمة، وفيهم من يرسل للمعتقلات السياسية وفيهم من يسرّح بعد فترة التعذيب، وفيهم من يُقتل[5].

ويشير تقرير بعثة الصليب الأحمر الدولية المتكوّنة من خمسة مندوبين أنّهم زاروا الجزائر في الفترة ما بين **12** ماي إلى **28** جوان **1956**م، ولم يتمكّنوا من زيارة هذه المعسكرات بسبب العراقيل التي وجدوها من

طرف المسؤولين العسكريين الفرنسيين الذين يشرفون عليها ويقومون فيها بممارسة التعذيب أثناء فترة التحقيق[6].

وقد نشرت جريدة المجاهد مقتطفات من التقرير الذي أعدّته بعثة الصليب الأحمر الدولي عقب زيارتها لبعض معسكرات الاعتقال المختلفة في الفترة الممتدة ما بين **15** أكتوبر و**17** نوفمبر**1959**م، وكتبت عن معتقل الانتظار ببرج منايل؛ والذي وجدت فيه البعثة الدولية آثارا للتعذيب على أجساد المعتقلين؛ والذي تمّ بواسطة الماء والكهرباء أثناء التحقيق، وأحيانا يعذّبون داخل المعتقل نفسه، والموقوفون به يعانون من صعوبات لا تعدّ ولا تحصى؛ فبالرغم من مرور ثلاث سنوات على إنشائه إلاّ أنّ المعتقلين به لا يملكون أواني الأكل والأغطية، وهم يتناولون طعامهم في علب السردين والمصبرات[7].

ومن أشهر هذه المعتقلات في مقاطعة الجزائر معتقل بني مسوس ومعتقل الأبيار، ومعتقل بوزريعة، ومعتقل عزازقة، أمّا في عمالة وهران؛ فنجد معتقل الزاوية، بني بهدل، ندرومة، سعيدة. وفي عمالة قسنطينة معتقلات عين البيضاء والحامّة ومزرعة أمزيان وسد القصب بالمسيلة[8].

3- المعتقلات العسكرية

وهي خاصة بأفراد جيش التحرير الوطني الذين يلقى عليهم القبض وسلاحهم بين أيديهم، فهم من أسرى الحرب الذين لم يسعفهم الحظ للمثول أمام العدالة، يبقون قيد الاعتقال في أماكن سرّية معزولين عن العالم، ويُجبرون على القيام بالأعمال الشاقّة محرومين من كلّ الحقوق، خاضعين لمعاملة قاسية وسيل من الإهانات المتوالية تحت رحمة التعسّف المسلّط عليهم. أغلبهم تعرّض للإغماء وحالات فقدان الوعي من جراء الإنهاك للأجساد سواء بالتعذيب أو بالاعتداءات المتكررة، والبعض فقد الحركة وأصيب في أحد أعضائه، وآخرون أصبحوا غير معروفين من كثرة التعذيب وتشويه الوجه. وآثار ذلك على باقي أجسادهم، وفيهم من ذهب ضحية خدمة الخشب أو الاحتطاب[9].

ب- المراكز العسكرية والأمنية الاستعمارية

إضافة إلى المعتقلات استحدثت السلطات الفرنسية في كلّ مناطق الجزائر وتماشيا مع تطور الثورة مراكزا للاستنطاق والتعذيب تابعة لوحدات الجيش الفرنسي والأجهزة الأمنية العاملة بالجزائر، تقوم باعتقال الجزائريين واستنطاقهم وتعذيبهم. وانتشرت تلك المراكز انتشارا كبيرا؛ فما من قرية أو دشرة إلا واحتوت على مقرّ أو مصلحة خاصّة بالاستنطاق والتعذيب. ومارست تلك المراكز إجرامها ضدّ الموقوفين والمعتقلين وهم يعدّون بمئات الآلاف. ولم يكن كلّ المعتقلين والمعذّبين ينتمون إلى جيش أو جبهة التحرير الوطني فقط، بل كلّ من حامت حوله الشكوك يتمّ إلقاء القبض عليه.

وابتداء من ساعة إيقافه تبدأ مراحل التعذيب، والهدف من ورائها إضعاف نفسيته للاعتراف بما لديه من معلومات عن الثورة ورجالها. ويتمّ استنطاقه وتعذيبه حتّى وإن اقتضى الأمر أشهرًا أو حتّى سنوات. وإنّ ثلاثة أرباع الذين دخلوا هذه المراكز يخرجون منها عادة إلى المقابر، أمّا الربع الباقي فيخرجون معطوبين أو مشوّهين جسديا أو عقليا نظرا لبشاعة وتعدّد أشكال التعذيب[10].

ومازالت آثار وبقايا هذه المراكز إلى يومنا هذا، وحُوِّل الكثير منها بعد الاستقلال إلى مقرّات للبلديات أو مصالح عمومية أخرى. كما أنّ صورها مازالت عالقة في أذهان الذين مرّوا بها وتعرّضوا للاستنطاق والتعذيب. ومن هذه المراكز نذكر:

- مراكز الشرطة

تنتشر هذه المقرات في المدن الكبرى والدوائر، وكانت تسمّى بمحافظة الشرطة أو دائرة الشرطة (Commissariat) وهي نوعان: الشرطة القضائية وشرطة الاستعلامات العامة، واستُعملت خلال الثورة التحريرية كمراكز للاستنطاق والتعذيب[11]. ويؤكّد عبد الحميد بن زين في كتابه (Le Camp)

أنّ الشرطة كانت تقوم بممارسات التعذيب من أجل الاستنطاق للحصول على معلومات[12].

- مقر إدارة الأمن الإقليمي (Direction de Sécurité Territoriale) (DST):

هو جهاز أمني يعمل في المدن الكبرى، لعب دورا كبيرا في البحث عن المعلومات، محاولا إعادة الأمن في الجزائر، وذلك بالقضاء على الرؤوس السياسية الثورية التي فجّرت وتقود الثورة. مارس هذا الجهاز التعذيب داخل مقرّاته بشراسة[13].

- مراكز الدرك (الجندرمة) (La Gendarmerie):

هي ثكنات عسكرية وجدت بالجزائر منذ الاحتلال الفرنسي، ولها مهامّ متعدّدة؛ منها التدخّل السريع في الحوادث، إحضار الأشخاص المطلوبين والتحقيق والاستنطاق والتعذيب[14]. وإذا كانت الشرطة وجهاز (DST) سيّد الاستنطاق والتعذيب في المدن الكبرى فإنّ الدرك هو سيّد الاستنطاق والتعذيب في البلديات والأرياف[15]. فكلّ مشتبه في وجود علاقة له بجبهة التحرير الوطني يتمّ إلقاء القبض عليه، ونقله إلى مقرّ الدرك؛ حيث يوجد فيها قاعات مخصّصة للتعذيب من أجل الاستنطاق، وبها أدوات ووسائل مختلفة للتعذيب[16].

- الثكنات العسكرية

الثكنة العسكرية هي مراكز للجيش، مهمّتها إيواء الجنود، تدريبهم وتسليحهم والإشراف على عمليات التخطيط والتمشيط العسكري في المدن والأرياف، ولها اختصاصات تختلف باختلاف أهمية كلّ واحدة منها، كانت منتشرة بكثرة في الجزائر، واستُخدمت أثناء الثورة التحريرية مراكزاً للاستنطاق والتعذيب[17].

- المكتب الثاني (Deuxième Bureau):

تنظيم إداري عسكري انتشر في سنوات الثورة التحريرية عبر كلّ أنحاء التراب الجزائري، مهمّته الجوسسة والبحث عن المعلومات حول الثورة، وتحديد عناصر القوة والضعف، واستغلالها لصالح الاستعمار. ويعتمد في ذلك على الترهيب والترغيب والإغراء والتقرّب من المواطنين الجزائريين[18]. وقد أُنشئت في هذه المراكز أماكن خاصّة للتعذيب بشتى أنواعه.

- الفرق الإدارية المختصة "لاصاص" (SAS)[19]:

وهو تنظيم إداري واجتماعي مهمّته العلنية القيام بدور إنساني إزاء الأهالي في القرى والمداشر والمحتشدات والمعتقلات، في حين أنّ وظيفته الحقيقية السرّية هي البحث عن المعلومات المتعلّقة بتحرّكات جيش التحرير الوطني، ورجال الثورة والمواطنين المتعاطفين مع الثورة، وقد أعدّ لهذه المهمّة جهاز خاصّ يتوفّر على عناصر متخصصة في الميدان، منهم ضبّاط من خبراء علم النفس والاجتماع، مهمّتهم غسل الأدمغة والاستنطاق[20] والتعذيب الأولي قبل إحالة الموقوفين على السلطات المختصة[21]. ويرأس هذا الجهاز ملازم أو نقيب أو رائد حسب أهمية المنطقة[22]، وتضمّ في صفوفها فرق المخازنية التي تتألّف من **30** إلى **50** فردًا. وقُدّر عدد المخازنية الذين كانوا يعملون في "لاصاص" نحو **20** ألف فرد[23].

إضافة إلى فرق المخازنية عمل ضبّاط لاصاص على تكوين وتسليح فرق الدفاع الذاتي (Groupes Dauto Défenses) (GAD) ووظّفوا الحركى ضمنها والتي وصل عدد أفرادها إلى **58** ألفا في نهاية الثورة[24].

- جهاز التدخّل من أجل الوقاية (DOP):

هو فرع من مركز التنسيق بين القطاعات العسكرية (CCI) ومهمّته القضاء على خلايا جبهة التحرير الوطني تأسّس بالجزائر العاصمة أثناء معركة الجزائر**1957**، وبعدها أسّس فروعا على مستوى كامل التراب الوطني، وهو جهاز (DOP) التابع لـــ: (CCI) القيادة المركزية بالجزائر

التي تتمتّع بالاستقلالية التامّة عن القيادة العسكرية، ولها ممثّليها على مستوى القيادات، وهي موازية للجيش، واستمدّ (DOP) تنظيمه من التنظيم الثوري للولايات، أي إنشاء ستة أركان قيادة لـــ: (DOP)، مقابل ست ولايات ثورية، وفي كلّ منطقة للولاية تأسّس (DOP) وله فروع في كلّ ناحية وكذا في كل قسم[25].

وبالتالي فهو جهاز عسكري مهمّته الاستنطاق، ويمارس القمع على أوسع نطاق، توجد له فروع على مستوى التراب الوطني، يستقبل الموقوفين وله مقرات خاصة بالتعذيب والقتل دون محاكمة. وقد تفنّن أعضاء هذا الجهاز في مجال التعذيب بحيث أصبحوا لا يمارسون الطرق التقليدية (الكهرباء، الماء، الحرق بالسيجارة...) بل أصبحوا يستعملون طرقا جديدة[26]. وتلاشى هذا الجهاز ابتداء من **1961**، وقام ضبّاطه وقياداته بتأسيس منظّمة الجيش السرّي (OAS) وما يمكن استنتاجه أنّ هذا الجهاز قام بأعمال إجرامية شنيعة في حق الشعب الجزائري.

- مقرات الوحدات العسكرية الجزائرية (الحركى)

كانت لهذه الوحدات مراكز خاصّة بها حيث كانت تسهر على تدريب الشباب الجزائري الذي قبِل العمل في صفوف الجيش الفرنسي للوقوف ضدّ الثورة. وغالبا ما كانت هذه المراكز مكثّفة في القرى والأرياف، حيث كان يُفصل بينهم وبين الجنود الفرنسيين في الثكنة الواحدة، ويرأس المركز ضابط فرنسي برتبة ملازم أو نقيب حسب أهمية المركز[27]. وكان الحركى بهذه الوحدات يقومون بتعذيب واغتيال إخوانهم[28].

- مراكز التعذيب الخاصّة (المسيّرة من طرف الكولون)

فالأجهزة سالفة الذكر هي أجهزة حكومية معترَف بها إداريا، خوّلت لها سلطات الاحتلال إقرار الأمن فمارست التعذيب كوسيلة من وسائل الحرب للقضاء على الثورة في الجزائر ومنحت لها سلطات واسعة لإقرار الأمن؛ إلاّ أنّ هناك أجهزة غير حكومية؛ أي غير معترَف بها قانونا[29]، اتّخذت الكثير من الفِلاّت والمزارع التي كانت في الغالب أملاك خاصّة للمعمّرين،

وأخرى سلبت من أصحابها وحُوِّلت إلى معاقل للتعذيب مثل: فيلاّ سوزيني (villa Susini) بالجزائر العاصمة، التي تحوّلت إلى مركز القيادة غير الرسمي لوحدات اللّفيف الأجنبي، ومثّلت أبشع مراكز التعذيب إبّان الثورة التحريرية في الجزائر العاصمة. ومزرعة أمزيان (La Ferme Améziane) بقسنطينة؛ التي عرفت أعمال تعذيب رهيبة فاقت كلّ التصورات[30] أُنشئت عام **1957** بهدف جمع المعلومات عبر كامل الشرق الجزائري.

إلى جانب البحث والاستنطاق، وتضمّ مركزا عن مصالح الشرطة والدرك والجيش وبعض الذين جيء بهم إلى هذه المزرعة يتمّ قتلهم، وإخفاء جثثهم بالغابات أو ردمهم في الآبار، أو رميِهم في الشوارع والتمثيل بجثثهم أثناء عملية التعذيب. هذه المزرعة تستقبل ما بين **500** إلى **600** شخص في الأسبوع. وأشرف هذا المركز على استنطاق نحو **108175** شخصا -عن طريق التعذيب- منهم **11518** من أعضاء جيش التحرير على مدار **5** سنوات (**1957-1961**م)[31].

بالإضافة إلى أماكن أخرى؛ كالمدارس التي لم تكن بمنأى عن ممارسات التعذيب البشعة، فلقد تحوّلت إلى مراكز للتعذيب بعدما كانت أماكن لتلقي العلم، ونذكر منها:

- مدرسة الصمّ المتواجدة في شارع تيليملي بالعاصمة.

- المدارس الابتدائية: في المرادية والأبيار والمجمّع المدرسي (باسيطا) في حي باب الوادي، ومدارس حي بلوزداد والحراش، والأكثر شهرة مدرسة ساروي في قصبة مدينة الجزائر[32].

في حين يصعب تحديد مثل هذه المراكز؛ لأنّها كانت تُسيَّر من طرف الكولون المتعصّبين للجزائر الفرنسية، كمنظّمة (Main Rouge) اليد الحمراء هذه المنظّمة التي خلّفت الرعب والفزع في الأوساط الشعبية، ومارست التعذيب بوحشية وإجرام دنيء. وتنتشر هذه المراكز في المناطق التي يقطن فيها المعمّرون بكثرة[33].

وبالتالي فالتعذيب كان يمارَس من طرف مختلف الأجهزة الأمنية والعسكرية والمنظمات الكلونيالية والحركى، وفي مختلف المراكز العسكرية ومقرات الأجهزة الأمنية والأماكن العامّة والخاصّة. وهو ما وجدنا صعوبة في الحصول على الوثائق الأرشيفية الا القليل جدا خاصة فيما يتعلق بالتعذيب والاستنطاق ولجأنا إلى الروايات الشفوية للمعتقلين والموقوفين ومقارنتها ببعضها ومقاربتها بمصادر أخرى.

واستفدنا من مادة أرشيفية هائلة متعلّقة بمعتقلي الشلال والجرف من الأرشيف المحلي لولاية المسيلة بحكم أن موضوع بحثنا المعتقلات ومراكز التعذيب بمنطقة الحضنة خلال ثورة التحرير الجزائرية، وهو عبارة عن عدد كبير من المراسلات والتقارير والرسائل والشكاوى والمعلومات التاريخية الهامّة لمرحلة الوجود الاستعماري بالمنطقة حتى **1962**، وفيه الكثير من الوثائق التي لها علاقة بموضوعنا.

لقد اعتمدنا على هذا الأرشيف؛ والذي يضمّ أكثر من **365** علبة، تحمل كلّ واحدة منها ملفّات مختلفة ولفترات، ولأنّه غير منظّم، ودون ترتيب زمني، تطلّب منّا الامر جهدًا ووقتًا كبيرين للاطّلاع والبحث على ما له علاقة بموضوعنا.

كما اعتمدنا على وثائق أرشيفية من مصلحة الأرشيف لولاية قسنطينة على سبيل المثال في معتقل الشلال والشيء الملفت للانتباه أنّ معتقلي الشلال استخدموا كمسخرين للعمل بـــ: "سدّ فلّة" بالقرب من المعتقل؛ حيث تبعًا لاتّفاق بين والي قسنطينة والمقاول "كونزلاس" بسطيف الذي كانت لديه ورشات لإنجاز سدّ فلّة على وادي اللّحم، حيث يتكفّل المقاول بضمان تموين المعتقلين بالمؤونة وما يحتاجونه مقابل العمل في ورشاته[34]، والتقارير الشهرية الخاصة بالمعتقلين بمعتقل الجرف وبعد اطّلاعنا على تقارير شهرية ونصف شهرية كانت تُعدّها مصلحة العمل النفسي بمعتقل الجرف عن الحالة العامّة للمعتقلين.

نذكر بعض ما جاء فيها ومنها: التقرير الشهري رقم **215** المؤرخ في **31** جانفي **1959** جاء فيه أنّ بعض المعتقلين نشدوا أناشيد حماسية تتغنّى بجيش وجبهة التحرير بالنادي، فقامت إدارة المعتقل بغلق النادي لمدّة **48** ساعة، وقامت باستدعاء ممثّلي المعتقلين، وتمّ تحذيرهم من إعادة هذا النشاط. وجاء في التقرير النصف شهري **16-31** جانفي **1959**م رقم **216** أنّه يوجد معتقل شيخ طاعن في السن، وهو مريض عمره **77** سنة، وآخَر مريض بالسلّ والفتق ومرّ على العيادة **1328** حالة مرضية خلال الفترة المذكورة، ويذكر التقرير النصف شهري **01-15** أكتوبر**1959**م عدم وجود طبيب أسنان، وأنّ العيادة زارها **800** معتقل مريض، ممّا يدلّ على المعاناة والحالة الصحية المتدهورة للمعتقلين، وفي تقرير شهر ماي **1959**م رقم **1016** يذكر عدد المعتقلين بالجرف وصل إلى **972** معتقلا، منها **29** عاجزا و**05** تحت الرقابة الصحية المستمرّة، ويصنّف المعتقلين حسب الوافدين الجدد والقابلين للاسترجاع، والقابلين للتسريح.

ويذكر تقرير شهر جوان **1959** أنّ عدد المعتقلين وصل إلى **1023** معتقلا، ويشير التقرير الشهري أفريل **1959** أنّه يوجد **03** معتقلين غير بالغين سنّ الرشد، وأشار إلى أنّ أعوان مصلحة العمل النفسي يقومون بجلسات مع المعتقلين، وتستعمل فيها وسائل الترغيب للتأثير على المعتقلين، وغيرها من الحقائق التي استخلصناها من خلال التقارير الشهرية والنصف شهرية لمصلحة العمل النفسي بمعتقل الجرف[35].

ولتغطية جوانب هامّة من الموضوع؛ لجأنا إلى الشهادات الحيّة الشفوية لبعض المعتقلين والمعذّبين بمعتقلي الشلال والجرف، ومراكز التعذيب بمنطقة الحضنة، وللشهادات نصيب وافر في إثراء الموضوع؛ فهي تساهم في الإجابة عن كثير من قضايا التعذيب وأساليبه، وتطلّب الأمر منّا القيام بالعديد من الزيارات الميدانية.

من أجل أخذ شهادات ممّن عاشوا الأحداث داخل تلك المعتقلات والمراكز في مختلف جهات منطقة الحضنة، ورغم ما يُقال عن هذا النوع من المصادر، وما يصيب الذاكرة من نسيان للأحداث والجزئيات الدقيقة، وكذلك

ما يتسرّب إليها من ميول وعاطفة، إلاّ أنّنا لجأنا إلى المنهج المقارن، ودراستها ومقاربتها لم تحمل تناقضات مع معلومات المصادر الأخرى.

- الهوامش

1- محمد الطاهر عزوي: "المعتقلات في الجزائر أثناء الثورة التحريرية ودور ضباط الشؤون الأهلية (لاصاص) في الحرب النفسية داخل المعتقلات"، **مجلة التراث**، جمعية التاريخ والتراث الأثري لولاية باتنة، العدد **03**، **1988**، ص**77**.

2- محمد الطاهر عزوي: **ذكريات المعتقلين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، **1996**، ص**20**.

3- صالح بن القبي: **عهد لا عهد مثله أو الرسالة التائهة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر **2004**، ص**164**.

4 -Yves Courrière: **La guerre d'Algérie les Temps des l'Eopars**, édition Rahma, Alger, **1993**, p**103**.

5- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص**17**.

6- فرانسواز بيريه: **نشاط اللجنة الدولية للصليب الأحمر أثناء حرب الجزائر(1954 – 1962)**، منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، الجزائر **2007**، ص **05 –11**.

7- **جريدة المجاهد**: "التقارير الدولية تفضح مجرمي الحرب الفرنسيين"، العدد **59**، **1959/01/11**، ص**5-11**.

8- **جريدة المجاهد**: "المحتشدات أيضا قوة للثورة"، العدد **90**، **27** فيفري **1961**، ص**05**.

9 – صالح بن القبي: المرجع السابق، ص**164**.

10- محمد الأمين بلغيث: "موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة التحريرية "، **مجلة المصادر**، العدد **05**، **2001**، ص**190**.

11- عبد الكريم بوالصفصاف: **حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، (1954-1962)**، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف، **1998**، ص**156**.

12 -Abdelhamid Benzine: **Le Camp**, Edition Sociales, Paris, **1962**, p **38**.

13- رشيد زبير: المرجع السابق، ص**36.35**.

14- عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص**155**.

15- رشيد زبير: المرجع السابق، ص**37**.

16 - Pierre Vidal Naquet: op cit, p **26**.

17- عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص**155**.

18- المرجع نفسه، ص**154**.

19- حول المكاتب الإدارية المختصة توجد تقارير ضمن الارشيف الفرنسي باكس أون بروفانس بمرسيليا والذي يتضمن: العلبة **262** إلى **280** (SAS ANOM **9**).

20- عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص**152**، **153**.

21- رشيد زبير: المرجع السابق، ص**69**.

22- عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص**153**.

23- Gregor Mathias: **Les Sections Administratives Spéciales en Algérie entre idéal et réalité (1955-1962)**, L'Harmattan, **1998**, p **140**.

24- Benjamin Stora:, **Algérie, Histoire Contemporaine (1830-1988)**, édition Casbah**,** Alger, **2004**, p **198**.

25- Jean Pierre Vittori: **Confession d'un professionnel de la Torture**, Ramsay Image, Paris, **1980**, p **38**.

26- ibid: p **85**.

27- عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص**158**.

28- رشيد زبير: المرجع السابق، ص**64**.

29 - المرجع السابق، ص**43**.

30- قبايلي هواري: "مراكز التعذيب أثناء الثورة الجزائرية- مزرعة أمزيان أنموذجا-"، **مجلة الناصرية**، عدد خاص، تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، منشورات جامعة معسكر، ديسمبر **2012**، ص**63**.

31- جان لوك اينودي:" ضيعة أمزيان، تحقيق حول مراكز التعذيب خلال الثورة"، ت: جروة علاوة وهبي، **جريدة اليوم**، **12** ماي **2000**، ص**09**.

32- بن يوسف بن خدة: **الجزائر عاصمة المقاومة (1956-1957)**، ت: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، **2005**، ص**111**.

33- رشيد زبير: المرجع السابق، ص**64**.

34- Archive de la Commune Mixte de M'sila, Boite N° **98**, Dossier N° **01**. ACMM ? (توجد وثيقة الاتفاقية المبرمة بين والي عمالة قسنطينة والمقاول كونزلاس) Boite N° **35**, Dossier N° **01**.

التقارير شهرية ونصف شهرية لمصلحة العمل النفسي بمعتقل الجرف.

إشكـالية قراءة وتوظيف الوثـائق الأرشيفية والتقـارير الأمنية الاستعمـارية حول الطرق الصوفية والزوايـا خلال المقـاومة الشعبية والثورة التحريرية

الأستـاذ: عبـاس كحول
جـامعة محمد خيضر - بسكرة

- مقدمة

بعد انهيار السلطة المركزية بالجزائر في **1830**م، وجد المجتمع الجزائري نفسه في مواجهة آلية استعمارية قوية متوحشة تبنت سياسة مضادة استهدفت البلاد في مقدراتها والعباد في مقوماتهم، فبرزت الطرق الصوفية والزوايا التي عادت إلى الواجهة لتنظيم المجتمع وإعلان المقاومة العسكرية والثقافية خلال القرن **19**م ومطلع القرن **20**م، حيث كانت اغلب المقاومات الشعبية من ورائها الزوايا، وهو ما لفت انتباه إدارة الاحتلال لهذه الظاهرة (اقتران المقاومة بالزوايا) فوظفت مؤسساتها الأكاديمية والعسكرية ومكاتبها العربية لإنجاز دراسات وتقارير ومراقبة كل تحركاتها لفهمها وتوظيفها وتحطيمها وضربها بالتيارات الدينية الأخرى كالتيار الديني الرسمي الإداري والتيار الديني الإصلاحي، فتلقت هذه المؤسسات ضربات قوية ساهمت في تراجعها في مطلع القرن **20**م، فتمكن الاحتلال من بعضها مما أثر في تراكمات الذاكرة الجماعية اتجاهها، ومع اندلاع الثورة التحريرية المسلحة دخل قادة الثورة في سباق مع الإدارة الاستعمارية لكسب ولاء هذه المؤسسة الدينية بالنظر لنفوذه المعنوي والمالي، مما جر عليه انتقام الإدارة الاستعمارية.

- الدراسات الاستعمارية ومراقبة الطرق الصوفية والزوايا

بعد فرض الاحتلال الفرنسي وسقوط السلطة المركزية، أخذت المؤسسات الأهلية على عاتقها مسؤولية تنظيم المجتمع ومقاومة الاحتلال، وعلى رأسها الطرق الصوفية والزوايا والربط والأشراف[1]، التي كانت وراء أغلب المقاومات الشعبية خلال القرن **19**م ومطلع القرن **20**م.

فحسب أوغستين بيرك (Augustine Berque): "... إن الأمير عبد القادر ما كان ليستطيع ضم الناس إلى صفه لو لم يكن مقدم أحدى الزوايا، وكان الاحتلال على دراية بالدور الفاعل للزوايا في انتفاضات الشيخ الشريف بوبغلة، والشيخ الصادق بن الحاج، والشيخ الحداد المقراني..."[2]، أما لويس رين يرى: "... أن الطرق الصوفية تظل معرقلة لتقدم الاحتلال، إذ هي تقف ضد الحضارة الفرنسية في الجزائر..."[3]، ويتفق كل من الضابط دونوفو والنقيب ريتشارد: "... الدور الذي قامت به الطرق الصوفية في المقاومة وخاصة ثورة الظهرة **1845**م..."[4]، ويذكر حمدان خوجة: "... إن الطرق الصوفية دعت للتعبئة دفاعا عن العاصمة وحمايتها..."،[5] ويصف لويس رين المقاوم ناصر بن شهرة: "... بالملاح الحقيقي للصحراء.."[6]، وورد في تقرير الملازم بوسري عن انتفاضات **1846**م: "... القبائل الأشد عداء لنا هي التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي والتأثيرات الدينية، إن مشايخ الزوايا يختارون نصوصا من القرآن معادية لنا..."[7]، ويؤكد أوكتاف ديبون: "... أننا نجد يدا مرابطية وراء كل هذه التوارث.."[8]، ويضيف ماكماهون **1851**م: "... يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها..."، أما تقرير القائد دي توربيل **1859**م تعتبر: "... مجموعة سدي عبد الرحمان ومقدمها المختار بواحة أولاد جلال ليسوا غرباء عما يجري وهو ما تؤكده خطبهم ومواعظهم..."[9]، ويضيف المؤرخ **مارسيل إيميري**: "... إن معظم الثورات خلال القرن **19**م بوحي من الطرق الصوفية القادرية، الرحمانية، السنوسية، الدرقاوية، الطيبية..."[10].

وهو ما دفع إدارة الاحتلال الفرنسي إلى إعداد دراسات عن الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، وكان أغلب القائمين عليها من الضباط على

غرار: فرانسوا نوفو "الإخوان والطرق الصوفية عند مسلمي الجزائر **1846**م"، بطلب من اللجنة العلمية، روسلار: "الإخوان **1859**م"، لويس رين: "مرابطون وإخوان **1884**م"، لوشاتليه: "الطرق الاسلامية بالحجاز **1887**م"، وهو مؤسس مجلة العالم الإسلامي، نابليون ناي: "الطرق الصوفية ودورها السياسي **1891**م"، ديبون وكوبولانى: "الطرق الدينية في الجزائر **1897**م"، جون بول أندري: "مدخل إلى دراسة الطرق الدينية **1956**م"[11].

بهدف فهم هذه الطرق وترويضها وتحطيمها، فكانت أغلب هذه الدراسات تنتهي بتوصيات في كيفية التعامل مع هذه المؤسسات[12]، وتجمع هذه الدراسات والكتابات على أن الطريقة الرحمانية كانت وراء أغلب المقاومات الشعبية بالجزائر، وهو ما يؤكده أدمون دوتيه في كتابه: "الإسلام المغاربي: "... قد تكون الرحمانية أهم الطرق ومساهمة مشايخ الطريقة الرحمانية في كل التمردات..."[13]، سواء تعلق الأمر بالجزائر أو حتى بالجريد التونسي حيث زاوية مصطفى بن عزوز بنفطة القاعدة الخلفية لكل المقاومات بالجزائر[14].

على هذا الأساس كانت الطرق الصوفية والزوايا تحت مجهر المراقبة الاستعمارية باعتبارها مصدر العلم والهداية وحماية الدين ومنبع اليقظة ومنبت الثورات، وكثيرا ما تتحول إلى معقل الثورة ضد الأجنبي ومنبت الجهاد، ترسم مخططات الانتفاضات، فاتباع الطرق مسلحون للدفاع ونشر العقيدة وهي رهن إشارة شيخها، إلى درجة أن ديبون وكوبولاني بعد دراستهما للطرق الصوفية والزوايا أوصيا الجهات الرسمية الفرنسية بثلاث وصايا في كيفية التعامل مع الطرق الصوفية والزوايا وصولا إلى تدجينها، وهو ما يعطي صورة على أهداف الدراسة ومن يقف وراءها.

- الوصية الأولى: إقامة العلائق مع الطرق الصوفية والتمييز بينها ووضعها تحت الوصايا الفرنسية.

– الوصية الثانية: ربط علاقات مع الأهالي التابعين للطرق الصوفية باستعمال المال والزوايا الموازية.

– الوصية الثالثة: ربط علاقات خارجية مع إفريقيا من خلال الزوايا لبسط نفوذ فرنسا.

– مراقبة الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا

أشرنا فيما سبق أن أغلب ضباط المكاتب العربية على تكوين عسكري واستشراقي عاليين، فقد ساهموا في إعداد دراسات أكاديمية ومخابراتية حول الطرق الصوفية والزوايا والشيوخ ورسموا استراتيجية الإدارة الفرنسية اتجاهها، وكثيرا ما اتهمت هذه المؤسسات (الزوايا) بالتعصب والتطرف والدعوة إلى الجهاد وإعلان المقاومة، وهو ما حاول التنبيه إليه النقيب دونوفو منذ **1846**م بصدور كتابه: "إخوان"، وقد كان على رأس المكتب العربي لباتنة وأشرف على دائرة بسكرة كذلك، فظهرت إثرها عدة دراسات أكاديمية ومخابراتية، كان وراءها ضباط ومستشرقون على غرار: بروسلار، رين، ديبون..."[15].

وبصدور منشور **27** نوفمبر **1847** تكفل ضباط المكاتب العربية بمراقبة الزوايا والشيوخ وجمع أدق المعلومات حولها، بعدها اقتنعت السلطات الاستعمارية بتأثير الطرق الصوفية وشيوخها في المقاومات الشعبية العسكرية، فمن خلالها تنطلق دعوة الجهاد وتنسج الدسائس ضد فرنسا حسب تقرير مكتب قسنطينة **1852**م[16]. الذي أشار ضمنه إلى زوايا بسكرة (زاوية علي بن عمر بطولقة وزاوية عبد الحفيظ الخنقي بخنقة سيدي ناجي وزاوية المختار بن خليفة بأولاد جلال وزاوية مبارك بن قويدر وزاوية صدوق بلحاج[17] وزاوية بركات ببسكرة")[18].

وهو ما يدعمه تقرير المكتب العربي لقسنطينة لشهر أفريل **1849**م المرسل لوزارة الحرب الفرنسية: "... العدد الشامل لمختلف أتباع الطرق الصوفية: **6450** منخرطا، من بينهم **3000** ينتمون إلى الرحمانية، **1200** من أتباع مولاي الطيب، **600** تيجانيون، هؤلاء الإخوان كانوا تحت المراقبة

الشديدة من عناصر سرية مخابراتية للمكاتب العربية..."[19]، ويشير أيضا إلى تأثير انتشار الطريقة الرحمانية بالزيبان وششار وأولاد نايل.

وتؤكد تقارير المكتب العربي ببسكرة هذا الاعتقاد اتجاه الزوايا والشيوخ، فقد سجل الملازم الأول سيروكا رئيس المكتب العربي ببسكرة في تقرير **17** جانفي **1853**م: " ... سي صدوق بلحاج من أولاد أيوب مقدم إخوان سيدي عبد الرحمن ووريث الشيخ سي عبد الحفيظ بأحمر خدو والزاب الشرقي، ينتظر الفرصة لإعلان الحرب المقدسة، وتحولت زاوية أحمر خدو إلى ملجأ لكل معادي لفرنسا، لقد تضاعف أتباع سي صدوق، إنه يحرض القبائل على الجهاد ضد فرنسا، ويعاقب القبائل الخاضعة لها والمتعاونة معها[20]، ويرفض كل الإغراءات[21]، لقد أزعج فعلا المكتب العربي.."[22]، واتهمت التقارير حتى المقدم سي المختار بواحة أولاد جلال باستقبال مبعوثين من الشرق ينضمون إلى سيدي عبد الرحمن[23].

فكان مصير شيوخ الزوايا المقاومين العقاب بالإعدام والنفي والسجن، فالشيخ بوزيان وابنه الحسن والشيخ موسى الدرقاوي قطعت رؤوسهم وعلقت على أبواب بسكرة لأيام إمعانا في الانتقام والتخويف ثم حولت إلى المتحف الأنثروبولوجي بباريس **1849**م، والشيخ الخنقي توفي وقوات الاحتلال تحاصر بيته بالخنقة **1850**م[24]، والصادق بن الحاج توفي بسجن الحراش **1862**م بعد تهديم زاويته بالقصر **1859**م، وقصفت الزاوية المختارية بأولاد جلال في **1847**م وضيق الخناق على شيخها الجلالي وفرضت عليه الإقامة خارجها[25]، بعد ما تحولت زوايا الجنوب الشرقي إلى ملجأ للمضطهدين والمقاومين، قبل التحول إلى الجريد التونسي[26]، إلى جانب مراقبة الحج والتعليم ومصادرة الأوقاف ومراقبة الزيارات والمداخيل والعمل على تشويه وتحريف دورها، بل من بين أهداف المكاتب العربية ووظائفها مراقبة الزوايا والمساجد ورجال الدين والأشراف وانتماءاتهم الطرقية خاصة المشاغبين منهم، فحسب ضباط المكاتب العربية "... أن لقب شريف وحده كاف كي يؤثر في القبائل ويدفعها للثورة..."[27].

بالمقابل سعت إدارة الاحتلال وضباط المكتب العربي لإغراء الشيوخ المتعاونين بالمناصب والامتيازات والنياشين والإعفاءات الضريبية، وكثيرا ما كانت التقارير الفرنسية تذكر وتصف الشيخ ابن عمر الطولقي وحتى عبد الحفيظ الخنقي وابنه الأزهاري بالمتعاونين[28]، وتعيين بعض المرابطين في مناصب إدارية، كعائلة ابن ناصر بالخنقة[29]. بينما اضطرت أطراف أخرى إلى الهجرة باتجاه الجريد التونسي على غرار مصطفى بن عزوز مؤسس زاوية نفطة، جراء سياسة القهر وتغذية الخلافات والمنافسة بين الشيوخ والزوايا وفقا لوصايا استراتيجية "ديبون" في التعامل مع الطرق الصوفية والزوايا والربط والأشراف، فقد كان الجنرال ديفو يتواصل ويتبادل الرسائل مع الشيخ سي محمد العيد التماسيني خلال قمعه لمقاومة الصادق بلحاج **1859**م[30].

فلجأت بعض الزوايا إلى انتهاج التقية والحياد للحفاظ على استمرارية الزواية، بعدما تلقت ضربات قوية خلال القرن **19**م ومطلع القرن **20**م، تمكن المحتل منها إلى حد ما خلال القرن **20**م[31].

فمن أوائل الإشارات لاهتمام إدارة الاحتلال بالطرق الدينية، وصية القنصل الفرنسي ديبوا تانفيل بالتقرب من المرابطين وكسبهم واحتوائهم، بل حتى بيان الحملة الاستعمارية يشير إلى احترام الديانة المحمدية، وهي دلالة لها معنى في الاستراتيجية ودراسة المجتمع الجزائري قبل احتلاله، ثم ظهرت دراسات أخرى منها: دراسات دونوفو ادوارد **1845**م، شارل بروسلار **1859**م، هنري دوفري، ماسكراي، لويس رين **1884**م، دبيون وكوبولاني **1897**م، ألكسندر جولي، ادمون دوتي، جاك بيرك، أوغست كور، ألفريد لوشاتليه، لويس ماسنيون، ألفردبل، ميل قوتي، ايميل برمنغهام، ج. ب. أندري...

وسعيا لتدجين هذه المؤسسات وشيوخها، كان تعيين الحاج محي الدين بن مبارك مرابط لقليعة في منصب آغا العرب من طرف الضابط "برتزين"[32]، وتدعمت أبحاث الإدارة الفرنسية بعد احتلال الجزائر، بصدور كتاب دونوفو "الإخوان" سنة **1845**م[33].

فتنبه حتى غلاة الاحتلال إلى أهمية هذه المؤسسات كالمريشال "بيجو" الذي عمل على احتوائها وتوظيفها خاصة أثناء التوسع في الصحراء بعد احتلال بسكرة **1844**م، فقدمت هذه المؤسسات خدمات للرحلات الاستكشافية والحملات العسكرية في الصحراء[34].

بالنظر للتأثير الإيديولوجي لهذه المؤسسات وشيوخها في المجتمع وتأطيره ضد الاحتلال غالبا، والمتهمة بالتعصب الديني[35].

فسخرت إدارة الاحتلال إلى جانب الآلية العسكرية في تهديم الزوايا وإعدام الشيوخ ونفيهم وسجنهم كل الوسائل والإمكانات الأخرى المتاحة لتقويض هذه المؤسسات واحتوائها بالقوانين والمصادرة والمدارس الفرنسية وفرنسة التعليم بمرسوم **1850**م والمراقبة والتجسس والإغراء وإثارة الخلاف والمنافسة والصراع فيما بينها، ففي إطار مراقبة الزوايا وشيوخها ومداخيلها ونشاطها من طرف المكاتب العربية، تعرض حتى معلم القرآن للمراقبة والتضييق، فمنذ **1852**م فرض الترخيص الإداري وتزكية المسؤولين في اختياره، التي أوكلت إلى ضابط المكاتب العربية، ثم أضيف ترخيص طلب زيارة الزاوية والشيخ من المكتب العربي[36]، بل تعرضت حتى الزوايا المتعاونة والمحايدة للمراقبة، كزاوية الهامل وزاوية طولقة، [37] وعملت إدارة الاحتلال على بث الشقاق داخل الأسر المرابطية وضربهم ببعضهم البعض، كما حدث بين المبروك بن محمد بن عزوز[38] ومصطفى بن محمد بن عزوز، وبين زوايا الطريقة الرحمانية العزوزية كزاوية طولقة وشيخها علي بن عثمان **1844**م من جهة، وزاوية الخنقة وشيخها عبد الحفيظ الخنقي وزاوية لقصر وشيخها الصادق بن الحاج وزاوية نفطة وشيخها مصطفى بن عزوز وزاوية سيدي عقبة وشيخها أحمد بلحاج خليفة الأمير من جهة أخرى، وبين زوايا الطرق الصوفية بتأليب زاوية طولقة على الزاوية التجانية والزاوية الناصرية على زاوية عبد الحفيظ الخنقي وزاوية الصادق بن الحاج، وزاوية بن عباس القادرية بمنعة على زوايا الأوراس وأحمر خدو والزاب[39].

- نموذج زاوية علي بن عمر خلال المقاومة والثورة

ولد حوالي **1166**هـ وتوفي حوالي **1258**هـ الموافق **1842**م، مؤسس الزاوية في **1780**م بطولقة وتعرف أيضا بالزاوية العثمانية[40]، ساهم بقسط وافر في المحافظة على الانتماء الحضاري العربي الإسلامي من خلال استمرار نشاطها التعليمي، وتزخر بمكتبة هامة بها أكثر من **1502** مخطوط، ساهم الشيخ علي بن عثمان **1842-1896**م في إثرائها، يدرس بها **80** طالبا بانتظام[41]، تدرس "مختصر خليل والاجرومية والأزهرية والقطر والعقائد السنوسية والسلم للأخضري والدرة البيضاء والجوهر المكنون ومختصر السعد والخزرجية والقلصاد في الصغير والكبير، وتوفر لهم الاطعام، وكان الشيخ علي بن عمر يطعم بيده الطلبة وعابري السبيل[42]، وأخذ عدة شيوخ منها التربية والسلوك والإجازة وتفرعت منها عدة زوايا كسيدي سالم بالوادي[43]، وزاوية عبد العزيز بلخير بورقلة وزاوية الحاج لزهاري بلعباس بالجلفة، ومصطفى بن عزوز (**1803-1865**م) بنفطة بالجريد التونسى، ووصل عدد الإخوان إلى **16000** خوني والزوايا التابعة إلى **17** زاوية[44]، وترك الشيخ أثارا مخطوطة ووسائل[45]، ومواقفها من الاحتلال والمقاومة ومن صراع الأمير وأحمد باي وابن قانة وبوعكاز أقرب إلى الحياد[46]، رغم محاولة التقارير الفرنسية اعتبارها متعاونة[47].

إلى جانب مساهمة الزاوية العثمانية في المحافظة على مقومات الهوية باعتبارها أحدى أهم قلاع الحضارة العربية الإسلامية، فإنها كانت حاضرة في ثورة الأوراس **1916**م، عندما عقد اجتماع مريدي الزاوية وإعلان المقاومة بمقر الزاوية، مما أدى إلى اعتقال شيخ الزاوية آنذاك عمر بن علي (**1857-1921**م) وفرضت عليه الإقامة الجبرية.

باندلاع الثورة التحريرية المسلحة ساهمت الزاوية العثمانية مساهمة فعالة منها:

- اجتماع العقيد الحواس بمقر الزاوية في **1955**م صحبة المجاهد محمود الواعي والشيخ عيسى شيخ لعمور، لمدة ثلاث أيام ومراسلة شيوخ العشائر وبعض الموظفين بالإدارة قصد كسب تأييدهم للثورة.

- تحول مقر الزاوية إلى مركز للتموين والتمويل (السلاح - اللباس - الغذاء - المال - التجنيد...) ثم تأخذ طريقها بطرق سرية مختلفة إلى الجبال.

- اتخاذ مقر الزاوية محكمة شعبية للفصل في الخلافات في إطار مقاطعة الإدارة الاستعمارية، مما جلب عليها غضب ونقمة السلطات الاستعمارية لاحقا.

- استدعاء شيخ الزاوية عبد الرحمن عثماني (**1903-1966**م) صحبة الشيخ عبد القادر عثماني (الشيخ الحالي للزاوية) للتحقيق معهما في قضية ممارسة الزاوية الفصل في الخلافات وإصدار أحكام بدل الإدارة.

- هجرة الشيخ عبد القادر عثماني **1957**م إلى المغرب عبر فرنسا والتحاقه بمكاتب الثورة وجبهة التحرير بالمغرب، جراء تفاقم التهديد الاستعماري.

- مساهمة أفراد عائلة عثماني في الثورة، منهم:

- ✓ عثماني محمد بن علي أعدم رميا بالرصاص بتلاغمه، بعد اتهامه بمد الثورة بالسلاح والمعلومات ،رغم انه كان جنديا في الجيش الفرنسي.
- ✓ سجن كل من: لمنور، عبد اللطيف **45** شهرا بفرنسا بتهمة نضالهما في دعم الثورة واتهامهما بالانضمام إلى فدرالية جبهة التحرير بفرنسا.
- ✓ التحاق كل من لزهاري، عبد الحميد بالعمل المسلح الثوري في الجبال.

- بعد فشل محاولة استدراج الشيخ عبد القادر عثماني من المغرب إلى الجزائر لاستخدامه كورقة أو اعتقاله، ألقي القبض على أخيه الشيخ عبد الرحمان شيخ الزاوية وتعرض لأبشع أنواع التعذيب والتنكيل (مما اثر على سمعه وبصره).

- إغلاق الزاوية نهائيا في **1957**م إلى غاية الاستقلال بتهمة التعاون مع الثورة التحريرية المسلحة[47].

- نموذج الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وزاوية الخنقة

صاحبها هو عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الوانجلي[48]، الهجرسي الأدريسي الحسني الخنقي الحفيظي[49]، المالكي الخلوتي[50]، من أشراف الأوراس[51]، وهو ما ذهب إليه عاشور الخنقي في كتابه: "منار الأشراف"[52] ولد بالخنقة حوالي **203**هـ الموافق **1789**هـ[53]، يحظى بمكانة وسلطة روحية على إخوان الطريقة والزاوية بالزاب الشرقي وأحمر خدو، فلجأت إليه سلطة البايلك لحل الخلافات بين الأعراش، وأمتد نفوذه حتى إلى تونس وبایاتها، رغم نفوذ الزاوية المناصرية وعائلة ابن ناصر بالمنطقة[54]، تلقى المبادئ الأولى بزاوية جده بالخنقة وأكمل التربية والسلوك والإجازة بزاوية الشيخ محمد بن عزوز البرجي[55]، ليؤسس الخلوة والزاوية الحافظية بالخنقة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، بعدما تصدر للتدريس بزاوية البرج بعد وفاة شيخة مدة من الزمن[56].

يمتاز بالتبحر في العلوم التجريبية والعقلية والدينية والأدبية والإفتاء والتصوف إلى جانب الفقه والفصاحة والشجاعة[57]، تدرس زاويته: فقه ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وسيدى خليل والأجرومية والقطر وابن عقيل والصرف والتوحيد وفنون البلاغة الثلاث والمنطق وعلم الفلك وفقه مالك[58]، وقد تخرج منها شيوخ أمثال: الصادق بن رمضان والهاشمي دردور.

- تزوج الشيخ من أربع نساء[59]، وله سبعة أبناء ذكور وسبعة إناث، منهم: الحفناوي الذى أشرف على زاوية تمغزة، ومحمود الذي طور زاوية ليانة وأشرف على زاوية تونس، والأزهري الذي أشرف على زاوية الخنقة ثم أسس زاوية خيران[60]، ترك أثارا بين مخطوط ومطبوع ورسائل في التصوف والشعر وبعضها مفقود[61].

امتد نفوذ الزاوية الحافظية في الزاب الشرقي وأحمر خدو والجريد التونسي[62] فتدعمت علاقة الزاوية بالشيخ مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نفطة والشيخ الصادق بن الحاج صاحب زاوية لقصر والخليفة أحمد بلحاج[63]، ولعبد الحفيظ وزاويته أتباع وامتداد في الزاب الشرقي وأحمرخدو والأوراس، بل حتى في تونس، حيث زوايا الكاف وتوزر والقيراون وتمغزة وتونس العاصمة، وحتى في بنغازي وغدامس والمدينة المنورة[64]، ومن أكثر المناطق الموالية للشيخ وزاويته: قبائل النمامشة من أولاد سيدي يحي بن طالب وسيدي عبيد، ومن زوياهم: زاوية سيدي يحي بن طالب بالكويف وزاوية سيدي عبد الله بمرسط[65]، حسب إحصاء **1897**م فإن عدد أخوان زاوية نقطة والخنقة أربعة عشر ألف من الأخوان، والزوايا التابعة خمسة عشر وسبعون مقدما وستة وستون طالبا وتمانون شواش[66].

وبقدر ما كان الشيخ متصوفا، كان أيضا مجاهدا فقد قاد المقاومة في معركة واد أبرار **1849**م لنصرة الزعاطشة وتحرير بسكرة[67]، وكان قد غادر سابقا إلى الجريد بعد اقتراب حملة سانت أرنو على المنطقة، توفي الشيخ في **13** جويلية **1850**م، رغم الجدول المطروح حول تاريخ وفاته وظروفها[68]، بين أبو القاسم سعد الله ويحي بوعزيز وزوزو عبد الحميد وقوفيون لكن أغلب الدراسات تعتمد على تدوين الملازم سيروكا للأحداث[69].

بعد نداء الشيخ بوزيان للجهاد ونصرة الزعاطشة وتحرير كل الزاب من الاحتلال، الذى وجه إلى الشيخ سي المختار الجلالي والشيخ الصادق بن الحاج والخليفة محمد صغير أحمد بلحاج بتوزر[70]، وزاوية الهامل والواحات المجاورة[71]، وطبعا إلي الشيخ عبد الحفيظ الخنقي[72].

وبحكم مكانة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وزاويته بالخنقة وخارجها والتنسيق مع الشيخ الصادق بن الحاج بأحمر خدو وأحمد بلحاج بتوزر ومصطفي بن عزوز بنقطة ،جعل المدد يتدفق من ناره وأولاد سعادة وأولاد داود وأولاد زيان وبني معافة وبني فرح وأولاد سلطان وأولاد سحنون، وأولاد زكري والحلايمية والنمامشة [73]، وانضم أيضا سي بوعمران بن جنان قائد أولاد سلطان، والشيخ بن الجودي شيخ أولاد زيان ومعه أربعة مئة

فارس[74]، وتؤكد الوثائق والتقارير التحاق الشيخ سي موسي بن عمر الأغواطي بالشيخ الخنقي في مشونش[75]، والتحقت اعراش أولاد عبدي وبني سليمان وأهل غسيرة والخذران وأولاد عمر وأهالي الخنقة وسيدي مصمودي والفيض وليانة وسيدي عقبة وقرطة وتهوده وقبائل لعشاس أولاد تيفورغ وبني عمران وبني ملول وبني معافة وبني بلبار وبني اوجانة واولاد ظافر واولاد بوحديجة وأولاد جلال وسيدي خالد والسالمية وبراهم وبني عزري وبني موسى وبني فراج وبني يحي وبني وجنة والأخضر الحلفاوية وبلزمة واولاد ساسى والسراحنة والتوابة والشرفة وبني ملكم وبني يحمد، بل وصل المدد من سطيف وباتنة وبوسعادة وواد سوف والجريد التونسي[76]، بهدف تنسيق وتوحيد الجهود قصد تحرير كل الزاب وليس فقط الزعاطشة، حتى بلغ تعداد المجاهدين حوالي ثلاثة ألاف مجاهد ومئتي فارس إلي جانب خمس مئة فارس أخر يقودهم محمد الصغير أحمد بلحاج قادما من توزر وسبع مئة فارس يقودهم الشيخ الصادق بن الحاج وخمسون فارسا من واد سوف، أما القوات الفرنسية فبلغ تعدادها عند واد أبرار مئة وخمسون مشاة سبعون قناصة إفريقية، خمسة وخمسون صبايحية، مئتي قوم ،ثلاث مئة فارس لفيف يقودهم الضابط سانت جيرمان بالتعاون مع القايد بولخراص بن قانة[77].

عسكر الشيخ عبد الحفيظ الخنفي بمنطقة واد ابراز وهي عبارة عن مجرى مائي ينبع من[78] من جبال شيليا ويصب في فم العزرة قرب سريانة، وهو أحد فروع الواد الأبيض، وحسب الروايات فإن المنطقة شهدت مبارزات خلال الفترة الإسلامية فسميت كذلك[79].

وحسب سيروكا فإن المعركة كانت علي الضفة اليسري لواد ابراز، حيث تمركزت قوات المقاومة، بينما خيالة المقاومة كانت علي الجهة اليمني وتناور بالحركة بين الجبال وواحة سريانة[80].

توكد المراسلات بين شيوخ الزوايا وقادة المقاومة بمنطقة الزيبان وخارجها ان الهدف من المقاومة لا يرتبط فقط بنصرة الزعاطشة، وإنما طرد المحتل من الزيبان (بسكرة)[81].

تحرك المجاهدون في **25** أوت **1849**م يقودهم عبد الحفيظ الخنقة وفي **17** سبتمبر **1849**م وصلت واد إبراز علي بعد عشرين كم من بسكرة، حيث نفوذ القايد ابن شنوف الذي راسله الشيخ عبد الحفيظ الخنقة لدعم المقاومة، لكنه سارع لإبلاغ السلطات الفرنسية العسكرية.

فتحرك القايد العسكري ببسكرة (saint germain)[82] سانت جيرمان بمساعدة القايد بولخراص، وبعد أحكام الحصار علي المنطقة[83]، هاجمت القوات الفرنسية مع فجر **21** سبتمبر **1849**م[84].

ولم تنته إلا في الليل، ورغم تمكن المقاومة من قتل الرائد "سانت جيرمان" برصاصتين في الرأس، إلا أن موازين الحرب انقلبت لصالح قوات الاحتلال لفارق العدة والعدد والتكتيك الحربي وتأثير الأسلحة الثقيلة، فانسحب المجاهدون باتجاه الجبال المجاورة[85].

وتغطية صحيفة لا نوفال (la nouvelle) بتاريخ **30** سبتمبر **1849**، تعطي صورة علي نتائج المعركة بعد "... قتل المقدم دوسان جيرمان وأربعة جنود جرحي في معركة خاضها الجيش الفرنسي يوم **21** سبتمبر **1849** بالقرب من سريانة، وهو يحاول مواجهة ما بين ألف وخمس مئة وألفين من العرب، بهدف استرجاع بسكرة ،غير أن هؤلاء فروا إلى الجبال تاركين وراءهم العديد من القتلى..."، استولت قوات الاحتلال علي خيمة وجبيرة الشيخ عبد الحفيظ الخنقى[86].

بينما تذكر المصادر العربية أن الخسائر الفرنسية كانت مرتفعة منها (... المقدم سان جيرمان، وشفيد برات ليبار، باربوني طوماس، ديبون الكسندر، روسيني غايتانوس...)[87]، ورغم اختلاف المصادر حول مصير عبد الحفيظ الخنقى بعد المعركة [88]، إلا أنها تذكر انه اجتمع بالصادق بن الحاج ومحمد الصغير أحمد بلحاج بمشونش في **4** نوفمبر **1849** لدراسة الوضع وتنسيق الجهود مجددا، بينما تقارير الأرشيف الفرنسية تعتبر الشيخ عبد الحفيظ الخنقي شخصية متعاونة مع فرنسا ووفاته خسارة لفرنسا وأنه طلب الأمان من السلطات الفرنسية، وسارعت الإدارة الفرنسية

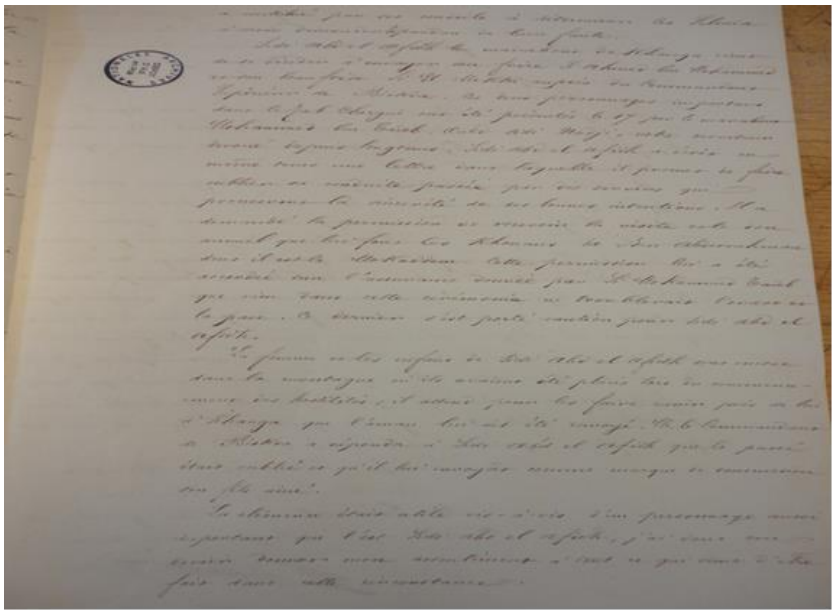
بإرسال القايد ابن شنوفة لإقناع خليفته الشيخ الصادق بن الحاج بالتعاون مع فرنسا[89].

- الخاتمة

رغم مساهمة التيار الديني الصوفي بقوة في المقاومة الشعبية العسكرية خلال القرن **19**م ومطلع القرن **20**م، حيث تربط أغلب المقاومات الشعبية بمشيخة روحية وقيادة عسكرية من التيار الصوفي الذي تمثله الزاوية وعودتها إلى الواجهة خلال الثورة التحريرية بالنظر لنفوذها الروحي والمالي، وتعرضها للعقاب الاستعماري بعدما تفطنت إدارة الاحتلال الفرنسي لأهمية ونفوذ مؤسسة التيار الديني ودوره الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعسكري في الجزائر.

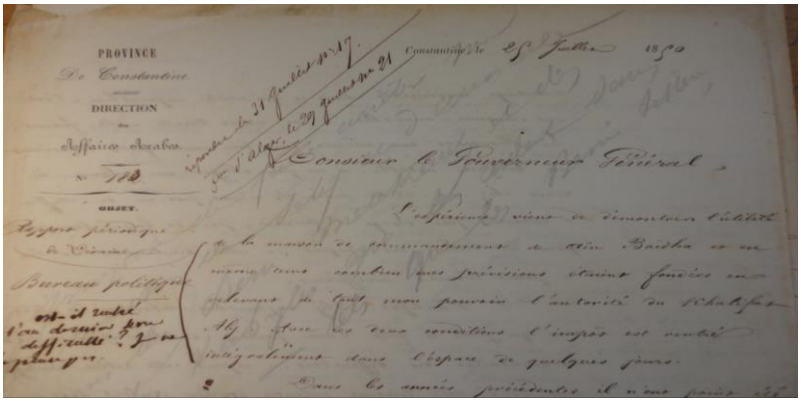
فلم يكتف الاحتلال بتوظيف آليته العسكرية فحسب، بل عمد أيضا إلى اعتماد دراسات الضباط الأكاديمية والاستشراقية والانتروبولوجية، بل حتى التقارير الإدارية والأمنية التي كان من ورائها مراكز بحث علمية وعسكرية لاختراق هذا التيار بحاجة إلى قراءة منهجية متأنية بعيدا عن العاطفة المفرطة والأحكام المسبقة، لأن تراكمات الذاكرة الجماعية لاحقا اتجاه هذا التيار الديني تشوبها الضبابية وكثير من المغالطات.

تقرير فرنسي الشيخ "عبد الحفيظ الخنقي يطلب الأمان"
(لم أعثر على الأصل)



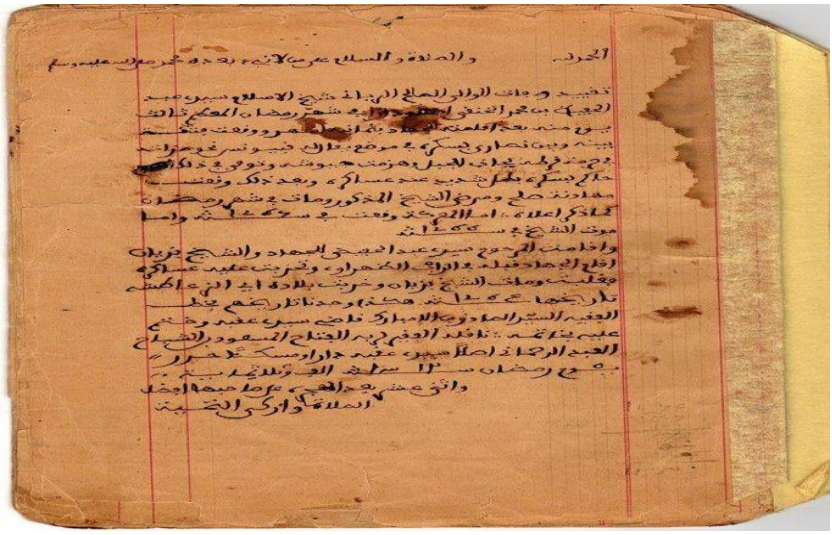
AOM**1**H**7**N**26**,le**29-01-1850**

اعتبار وفاة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي بمثابة خسارة لفرنسا ومحاولة إقناع الصادق بن الحاج بتولي المشيخة والتعاون مع فرنسا

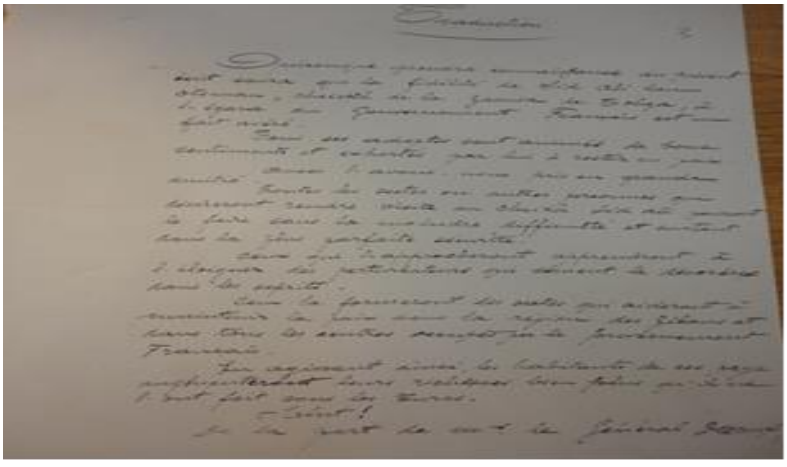

PROVINCE
De Constantine
DIRECTION
Affaires Arabes
N° 183
OBJET

AOM**1**H**7** affaires arabe n, **183**, le**26-01-1850**

مخطوط الشيخ المسعود بن الشباح نقلا عن قاضي سيدي عقبة الشيخ الصادق بن المبارك يورخ لمعركة سريانة في**1849**م ويذكر أن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وقع على عهد الأمان مع فرنسا قبل وفاته
(المخطوط مؤرخ في **05** رمضان **1312**ه)

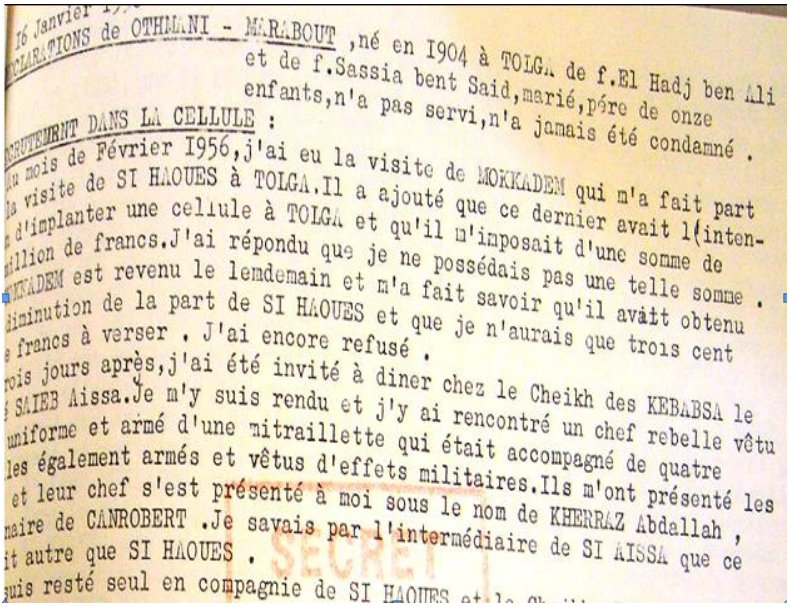


رسالة سي علي بن عثمان شيخ زاوية طولقة إلى الجنرال ديفو يعلن ولاءه لفرنسا: **23** جمادى الأول **1275**ه (لم نعثر على الأصل)



AOM**6**H**25**,carton N**2**,dossierN**2** :le **28-12-1858**

تقرير المرابط عثماني "شيخ زاوية طولقة" عن زيارة سي الحواس لطولقة بنية إنشاء خلية ثورية، وطلب مبلغ مالي(ضريبة)، بناء على معلومات وصلته من مقدم الزاوية... التاريخ **16** جانفي **1956**م (AOM **81**F/**789**)



16 Janvier 1956
DECLARATIONS de OTHMANI - MARABOUT ,né en 1904 à TOLGA de f.El Hadj ben Ali et de f.Sassia bent Said,marié,père de onze enfants,n'a pas servi,n'a jamais été condamné .

RECRUTEMENT DANS LA CELLULE :

Au mois de Février 1956,j'ai eu la visite de MOKKADEM qui m'a fait part de la visite de SI HAOUES à TOLGA.Il a ajouté que ce dernier avait l'intention d'implanter une cellule à TOLGA et qu'il m'imposait d'une somme de million de francs.J'ai répondu que je ne possédais pas une telle somme . MOKKADEM est revenu le lendemain et m'a fait savoir qu'il avait obtenu diminution de la part de SI HAOUES et que je n'aurais que trois cent francs à verser . J'ai encore refusé .

Trois jours après,j'ai été invité à diner chez le Cheikh des KEBABSA le nommé SAIEB Aissa.Je m'y suis rendu et j'y ai rencontré un chef rebelle vêtu d'un uniforme et armé d'une mitraillette qui était accompagné de quatre autres également armés et vêtus d'effets militaires.Ils m'ont présenté les uns et leur chef s'est présenté à moi sous le nom de KHERRAZ Abdallah , maire de CANROBERT .Je savais par l'intermédiaire de SI AISSA que ce dernier était autre que SI HAOUES .

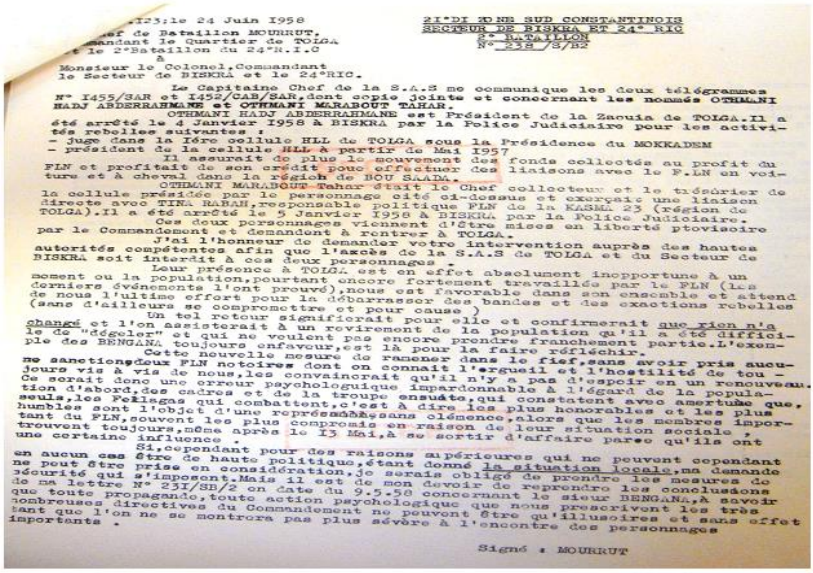
SECRET

Je suis resté seul en compagnie de SI HAOUES et le Ch...

تقرير المرابط عثماني شيخ زاوية طولقة عن زيارة سي الحواس لإنشاء خلية ثورية وطلب مبالغ مالية من الزاوية **1956**، مما جعل التقارير الفرنسية تصف الزاوية بالبقرة الحلوب للثورة (AOM, **81**F/**789**)



توقيف عبد الرحمان عثماني في **04** جانفي **1958**م واتهامه بتحويل الأموال والاتصال ب (ج ت و) قبل غلق الزاوية. (AOM, **81**F/**789**)



رسالة من الشيخ بوزيان إلى الشيخ عبد الحفيظ الخنقى لتنسيق جهود المقاومة (AOM ,**15**K**25**)



- الهوامش

(1)- عبد المنعم القاسمي الطريقة الرحمانية، ط**1**، الجزائر، دار الخليل، **2013**، ص**795**.

(**2**)- Auguestin Berque, essai d'une Bibliographie critique de la société de géographie et d'archéologie de la province d'oran, oran, txxix, p **137**.

(**3**)- Louis Rinn, marabout et khouans, alger, jourdan, **1884**, p **75**.

(4)- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط**7**، ج**4**، الجزائر، ديوان المطبوعات، **1995**، ص**309**.

(5)- حمدان خوجة، المرآة، محمد العربي الزبيري، الجزائر، المؤسسة الوطنية، **2005**، ص**68**.

(6)- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر، ط**1**، ج**1**، الجزائر، منشورات المتحف الوطني، د ت، ص**34**.

(7)- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية، المرجع السابق، ص**37**.

(**8**)- عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر، ج**4**، المرجع السابق، ص**309**. أنظر: كحول، "ظاهرة الطرق الصوفية والزوايا والربط والأشراف في الجزائر وعلاقتها بإفريقيا"، مجلة تاريخ المغرب العربي، جامعة الجزائر **02**، ع**04**، جوان **2016**، ص**61**. أيضا: كحول، "الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر بعد استراتيجي في العمق الإفريقي"، جريدة الجديد اليومي، الوادي، **15** مارس **2017**.

(9)- صلاح مؤيد، الطرق الصوفية بالجزائر، ط**1**، الجزائر، دار البصائر، **2008**، ص**37**.

(10)- عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر،ج**4**، المرجع السابق، ص**309**،**310**؛ أنظر: (A.O.M **16** H**1**) رسالة **14**/**07**/**1879** إلى ابن قانة باتخاذ الإجراءات ضد الزوايا والشيوخ الخطرين ببسكرة، وقد ألقى القبض على الحاج عثماني في **1861** ووضعت زاوية طولقة تحت المراقبة في **1871**.

(11)- عبد المنعم القاسمي، الطريقة الرحمانية، المرجع السابق، ص**800**، **801**.

(**12**)- depont et coppoloni, les confreries musulmans,alger,**1897**, p **283**, voir :AOM f **80** h **681**.

(13)- عبد المنعم القاسمي، الرحمانية، المرجع السابق، ص**803**.

(14)- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ج**1**، المرجع السابق، ص**151**-**156**، أنظر: العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بتونس، دكتوراه، تونس، **1988**، ص**77** وبعدها.

(15)- De neveu,op,cit,p**15**, voir aussi :Augustine Berque ,essai d'une bibliographie critique de la société de géographie et archéologie de la province d'Oran, Oran, T xxix, P**137**.

(16)- A.O.M F**80**/ **500**, cercle de Constantine, Rapport juillet **1852**.

(17)- المقصود زاوية الصادق بن الحاج بالقصر بجبل أحمر خدو.

(18)- فركوس، محاضرات، المرجع السابق، ص**92**، **93**، أنظر: فركوس، المكاتب، المرجع السابق، ص**82**.

(**19**)- AOMF**80**/**507**, ordre religieux constantine, rapport bureau arabe au ministre de guerre avril**1852**.

(20)- A.O.M, **1**h**6** cercle de Biskra, rapport du **17**/**01**/**1853**, aussi : f**80**/**506** cercles de Biskra le **31**/**12**/**1857**

(21)- بعد وفاة الشيخ عبد الحفيظ سارع القايد ابن شتوف بأمر من حاكم بسكرة بالاتصال بالصادق بن الحاج وريث المشيخة لإغراءه بمكاسب التعاون مع فرنسا، أنظر: **1**H**7** affaire arabe, rapport N**26**, le **13**/**07**/**1850** AOM,

(22)-كحول، قراءة في مقاومة، المرجع السابق، ص**26**، **27**. أنظر: بوضرساية، رموز مجهولة، المرجع السابق، ص**56**.

(23)-مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص**52**.

(24)-رغم ذلك تأسف إعلان وفاة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، بفقدان شخصية متعاونة مع فرنسا، أنظر: (**1**h**7** affaire arabe N°**16**, **1850**).

(25)- عباس كحول، زوايا الزيبان، المرجع السابق، ص**91**، **92**.

(26)- AN, rapport confreries,H**446**.

(27)- الشريف كمال دحومان الهاشمي، أشراف الجزائر، المرجع السابق، ص**210**. أنظر: (F**80**/**1681** étude confrérie religieuse).

(28)- **6**H**25**carton**02**, dossier **02** voir:

Depont, op, cit, p**280**-**283**.aussi : zouzou, op, cit, p**252**.

(29)- هواري، المرجع السابق، ص**63**.

(30)- روابحي، المرجع السابق، ص**239**.

(31)- يحي بوعزيز، موضوعات، ج **1**، المرجع السابق، ص**241**.

(32)- سعد الله، الحركة، ج**1**، المرجع السابق، ص**47**، **48**.

(33)- دونوفو ادوارد، دراسة سيوسيولوجية، المصدر السابق، ص**13**، **14**.

(34)- أجيرون، الجزائريون، المسلمون وفرنسا، المرجع السابق، ص**550**.

(35)- ايفون تورين، المرجع السابق، ص**144**.

(36)- حيث استفاد شيخ زاوية طولقة علي بن عثمان من رخصة خاصة تفضيلية، وزاويتي ليانة وخيران تحصلتا على رخص وهبات و قدرت مداخيل الزيارات بـ **20** الف ف. أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**4**، ص**285**، **286**؛ كذلك: زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص**355-357**.

(37)- أجيرون، الجزائريون، المرجع السابق، ص**920**.

(38)- أبو القاسم سعد الله، "مدارس الثقافة في المغرب العربي **1830-1954**"، مجلة البحوث والدراسات العربية، ع**09**، القاهرة، **1978**، ص**05**. أنظر: سعد الله، الحركة، ج**1**، المرجع السابق، ص**76**.

(39)- زوزو، الأوراس ، المرجع السابق، ص**360**.

(40)- محمد الخالدي، "في رحاب الزاوية العثمانية، طولقة هذه المنارة الصامدة"، جريدة المجاهد، ع **1928**، يومية جزائرية، الموافق (**22**/**07**/**1997**)، كذلك: لقاء وحوار مع الشيخ عبد القادر عثماني شيخ الزاوية العثمانية الحالي **12**/**12**/**2010**.

(41)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مج**2**، ج**3**، المرجع السابق، ص**215-217**. أنظر: الشيخ عبد القادر عثماني، "الدور العلمي للزوايا"، المجلة الخلدونية، ع**02**، الملتقى الوطن الأول، بسكرة عبر التاريخ، **2003**، دار الهدى، عين مليلة، **2003**، ص**55-62**، كذلك: الحفناوي، الخلف، ج**2**، المصدر السابق، ص**190**.

(**2**)- الحفناوي، نفسه، ص**190**. كذلك: الحسيني، زاوية، المرجع السابق، ص**36**.

(43)- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوية، الوليد للنشر، الجزائر، **2004**، ص**151**.

(44)- شهبي، المرجع السابق، ص**178**، أنظر:

depont et copollani, op; cit, p**402**.

(45)- على الرضا الحسيني، أعلام زاوية على بن عمر، دار الحسنة للكتاب، ص**13**، **14**، أنظر: الحسني، زاوية على بن عمر، المرجع السابق، ص**51-53**.

(46)- عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية، المرجع السابق، ص**73**، أنظر: مخطوط عمر بن علي بن عثمان عن على بن عمر، المحفوظ بأرشيف اكس اون بروفانس تحت رقم: (**16**H**14**).

(47)- A.O.M **6**H**25**, carton**2**, dossier**2**, lettre Ali ben othmane el tolgui au desvaux.

أنظر: الملحق ،الشيخ علي بن عثمان يعلن ولاء زاوية طولقة لفرنسا في خضم مقاومة الصادق بن الحاج، لكن الأصل غير موجود.

(47)- مقابلة مع الشيخ عبد القادر عثماني شيخ الزاوية العثمانية الحالي:**12**/**12**/**2010**

(48)- إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ص**503**.

(49)- Edmont gouvion, op,cit, p **161**. Voir aussi:

يوسف إلياس سركيس، المرجع السابق، ص**1272**.

(50)- عمر رضا، المرجع السابق، ص**57**.

(51)- مخطوط على بن محمد بن فرحوى، المصدر السابق. أنظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ص**279**.

(52)- عاشور بن محمد الخنقي، المصدر السابق، ص**14**. أنظر: سليم كرام، المرجع السابق، ص**111**.

(53)- رابح خدوسى، المرجع السابق، ص**43**. أنظر: عبد الحفيظ الخنقي، شرح، المصدر السابق، ص**289**.

(54)- زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص**21**. أنظر: كريمة بن حسين: خنقة سيدي ناجي، المرجع السابق، ص**69**.

(55)- الحفناوي، المصدر السابق، ص**483**.

(56)- سعد الله، تجارب، المرجع السابق، ص**260-263**. أنظر:

6H**41**,Zaouia El Khangui et sidi mebarek

(57)- عادل نويهض، المرجع السابق، ص**102**؛ عبد المنعم القاسمى، أعلام، المرجع السابق، ص**180**؛ بوضرساية، رموز، المرجع السابق، ص**52**.

(58)- سليمان الصيد، "زويا العلم والقرآن"، المرجع السابق، ص**104**، **105**.

(59)- عبد الحليم صيد، "عبد الحفيظ الخنقي العالم المربي والصوفي المجاهد"، جريدة النبأ، المرجع السابق، ص**16**.

(60)- مفتاح، أضواء على الرحمانية، المرجع السابق، ص**146-148**. أنظر:

Rinn, op, cit **455**

(61)- مخطوط التعريف بالإنسان الكامل في حكم المفقود.

(62)- أحمد السعداوي، "التواصل بين إيالتي تونس والجزائر، وقف على باي الحسيني على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي **1774**م"، السبيل، مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغربية، ع**1**، تونس، **2016**، ص**01-17**.

63- Gouvion, op, cit, p **161**.

(64)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**4**، المرجع السابق، ص**148**.

(65)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**4**، نفسه، ص**150**.

(66)- شلالي، المرجع السابق، ص**07**، أنظر: (castel, op, cit ،p**154**،**153**)

(67)- إنتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص**163**.

(68)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**4**، المرجع السابق، ص**148**.

(69)- Soroka, RA,vol **56**, **1912**, op, cit, p **525**. Voir aussi :

quatrenelles Lépine, marechal de saint arnaud **1798-1850** (Librairie - plan, Paris: **1926-1929**)

(70)- زوزو، الأوراس ابان، المرجع السابق، ص**144**.

(71)-جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص**220**.

(72)- رسائل الشيخ بوزيان والشيخ عبد الحفيظ الخنقي، أنظر: (AOM **15**K **25**)

73- castel, op, cit .p**153**, **154**, voir aussi: delartigue, op, cit, p**19_22** .aussi:

شلالي، المرجع السابق، ص**07**.

74- Zouzou, op, cit p**237**. aussi :cherfa , op,cit,p**90**.

(75)- بوضرساية، رموز، المرجع السابق، ص**53**.

(76)- الندوة الوطنية لمعركة واد ابراز، المرجع السابق.

(77)- انتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص**813**؛ أنظر:

Seroka, op, cit,p**508_510**

(78) -انتاج جمعية أول نوفمبر ،المرجع السابق، ص**813**.

79- Seraka, op cit, p**508_510** .voir : delartigue, op, cit, p**92**.

80- Seraka, op cit, p**508_510**.

(81)- في موضوع المراسلات أنظر: (AOM,**15**K**25**)

هناك اختلاف بين المراجع والروايات الشفوية حول تاريخ الخروج **25** أوت أو **14** سبتمبر **1849**، وتختلف ايضا في توقيت بداية المعركة لكن اغلبها يعتمد علي كتابات سيروكا وابن قانة أنظر:

Seroka, op, cit, p**510**, voir aussi : ben gana, op, cit, p**114_117**.

(82)- سان جيرمان (saint germain) أول قائد بالجنوب، حكم بسكرة أربع سنوات، كان يطمح لتكوين حكومة مستقلة بالجنوب اقام الحصن العسكري ببسكرة.

(83)-محمد الصفير سويسى، المقاومة الشعبية في الزاب الشرقي بقيادة عبد الحفيظ الخنقي، الملتقي الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، الجزائر، ديسمبر، **1998**، ص**3**.

(84)- محمد العربي الزبيرى، مقاومة الجنوب، المرجع السابق، ص**60**، **61**.

(85)- تختلف الروايات حول هوية المجاهد الذي قتل سانت جريمان، بين الشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ الصادق بن الحاج وابراهيم بن الصادق، وبين كريبع من عين ناقة، وابن خير الله من ليانة. أنظر: ندوة واد ابراز، المرجع السابق.

(86)- لقاء حوار مع الباحث عبيد الله موسى الزناتي في **24** جويلية **2016** بيته ببسكرة، حسبه أن مصطلح الجبيرة يعني محفظة الوثائق حيث استولي الجيش الفرنسي علي مقر القيادة: خيمة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ووثائقه.

(87)- عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية، المرجع السابق، ص**108**.

(88)- بومدين بوزيد، "الطرق الصوفية والاحتلال جدلية الرفض والقبول ورمزية صاحب الوقت "الملتقي الوطن الأول والثاني، المرجع السابق، ص**127**.

89- AOM**1**H**17**, rapport N°**183**, le**13_07_1850** la mort de abdelhafid el khangui. voir

الملحق، تقرير فرنسي يشير إلى طلب الشيخ الخنقي للأمان من فرنسا في غياب الأصل، والملحق رقم (**11**) تقرير يعتبر وفاته خسارة لفرنسا، ومحاولة اقناع الصادق بن الحاج يتولى المشيخة والتعاون مع فرنسا.

المدرسة التـاريخية الجزائرية المعـاصرة
وأهميتها في كتـابة التـاريخ الوطني

الأستـاذ: قرين عبد الكريم
جـامعة 8 مـاي 1945 - قـالمة



- مقدمة

كتابة تاريخ الجزائر واجب وطنيا لحمايته من الضياع كلمات ومفردات ترددت على مسامعنا هذه الجمل في محافل كثيرة وعديدة وتثار حولها النقاشات وتتعالى الأصوات من أجل مساهمة فاعلة بغية تحقيق على الأقل الحد الأدنى في إثراء الرصيد الثقافي والتاريخي الذي يعبر عن الهوية الوطنية عبر الأجيال المتعاقبة، وهو رصيد كثيرا ما تعرض للمساومات لاسيما غداة الاحتلال الفرنسي لهذه الأرض الطيبة، مما دفع ببعض الأقلام الجزائرية في مطلع القرن العشرين للاستجابة لدافع التحدي الحضاري المفروض عليها. ذلك للإسهام بكتابات تاريخية صبغتها بصبغة مميزة أصبحت معروفة بها سواء من حيث الرؤية التي تحكمت إنتاجها أو من حيث المضمون والمحتوى. إسهامات تركت بصمة واضحة في مسار الحركة الوطنية بإشكالها السياسية والثقافية وكذلك تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، فكان لها الأثر العظيم في بعث النهضة الفكرية والثقافية وكتابة التاريخ الوطني والتصدي للمشروع الاستعماري الفرنسي الذي كان يهدف إلى محو الشخصية الوطنية وإلغاء وجودها وجعل الجزائر أرضا تابعة لفرنسا ويمكن من خلال هذا التقديم طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى

نجحت هذه المدرسة في التصدي للمشروع الفرنسي، وما هو الدور الذي لعبته في كتابة التاريخي الوطني الموضوعي؟

1- حظ الجزائريين من الوعي التاريخي

ظل الجزائريون إلى غاية النصف الأول من القرن الثامن عشر على طريقة أسلافهم القدامى في الشرق والمغرب على السواء في عدم الاهتمام بالعلوم العقلية بما فيها علم التاريخ، وهذا الإهمال يعبر عن قاعدة بقاء الأوضاع وبصورة عامة على ما كانت عليه قبل مجيء العثمانيين، وهذا لطبيعة الإدارة العثمانية، ضف إلى ذلك أن هذه الأخيرة عملت على إبقاء هذا الوضع كما هو عليه من أجل تدعيم العقيدة الإسلامية (العلوم الشرعية)[1]. ويرى أبو القاسم سعد الله في مؤلفه تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثاني أن سيطرت التصوف والروح الدينية هي التي أضعفت العناية بعلم التاريخ ومن ثم أضعفت دوافع التأليف فيه، ويضيف وبالرغم من أراء ابن خلدون إن كتب التاريخ كانت متوفرة بالإضافة إلى كتب التاريخ الإسلامي إلا أن التاريخ كان يحتل عندهم درجة الإهمال[2].

أما خلال الفترة الاستعمارية، فقد عملت الإدارة الفرنسية على تغييب الذاكرة الجماعية للجزائريين وتاريخهم، وقد حققت ما أردت إلى درجة أصبح المؤرخ الجزائري لا يفرق بين علم التاريخ، وعلم الجغرافيا، فهذا أبو حامد المشرقي وهو يتحدث عن برامج مدرسة تلمسان العربية الفرنسية في كتابه: "ذخيرة الأواخر والأول" سنة **1877**م يدرسون الجغرافيا يعني علم التاريخ"[3].

إلا أنه ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدا التاريخ يعرف نوعا من الاهتمام، والإشادة بفوائده فهدا الأغا بن عودة المزاري يعرفه في كتابه: (طلوع سعد السعود) "بأنه يتكفل بأخبار القرون والأمم ودولها، ومن مضامينها أوحل أو هو آت في المستقبل، فحقه الاعتناء به بتدوينه كي لا يضيع فيهمل"[4]. إلا أنه وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ التغير يحصل في مفهوم التاريخ وتقنياته ويعود ذلك لارتباطه بالحركة

الإصلاحية من جهة والحركة الوطنية من جهة أخرى، فكانت جهود ابن باديس في الأول وجهود الأمير خالد في الثاني هي التي نبهت إلى المفهوم الجديد للتاريخ[5]. ورغم أن التنظيمات السياسية كانت أولت الاهتمام بالتاريخ واستثماره للحاضر، فكانت أول الأمر بعيدا عن ذلك فلم يكن الزعماء السياسيون يهتمون أو لم يكونوا يعرفون الضروري عن الكتابة التاريخية ولو حتى من أجل توظيفها في برامجهم السياسية لأحزابهم، وربما الاستثناء الوحيد هو الأمير خالد التي تعتبر حركته أول حركة سياسية جسدت المفهوم السياسي لتاريخ، فقد استشهد في خطبه وعرائضه بتاريخ جده وبكفاح الجزائريين خلال القرن التاسع عشر، فانتشرت بذلك فكرة الربط بين التاريخ والوطنية[6].

ومن الملاحظ أن التاريخ قد حظي بمكانة هامة عند مؤرخي الفترة المعاصرة في الجزائر، فهذا أبو يعلى الزواوي يعرفه في كتابه: (تاريخ زواوة) سنة **1924**م. بأنه "هو تنوير الجيل الجديد حتى يكون على بصيرة بسلفه" وذلك مبارك الميلي يعرفه في مقدمة كتابه: "تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج**1**، بأن التاريخ مرآة الغابر ومرقاة الحاضر... وجود الأمم وديوان عزها ومبعث شعورها وسبيل اتجاهها وسلم رقيها[7].

ويمكن القول أن الوعي بالتاريخ بين النظرة العامة وحظ الجزائريين منه، وعي عملت فرنسا على تغييبه طيلة فترة احتلالها للجزائر بشتى الأساليب وطرق مما أوجد صعوبات كبيرة عند محاولة تدوينه.

2- أهم الصعوبات التي واجهت كتابة التاريخ الجزائري إبان الفترة الاستعمارية

يقول: جمال الدين الأفغاني "لا عزة لقوم لا تاريخ لهم..." وقد أدرك الفرنسيون ومنذ الوهلة الأولى لاحتلالهم هذه الأرض الطيبة هذه الحقيقة، وأيقنوا خطورة التاريخ على وجودهم واستمرارهم في استيطان الجزائر، لذا وبعد أن تمكنوا من تفقير الشعب الجزائري الذي تم وعلى مدى امتداد المقاومة المسلحة عمدوا لتجهيله، فأوشكت ثقافته العربية على الاندثار[8]، فقد

ضربت ضربة قاسية وعلى رأسها التراث الوطني القومي، ولكي يتمكن المستعمر من بسط نفوذه وسلطانه على الجزائريين قتل في نفوسه جذوة الاعتزاز بتاريخهم وقيمهم الحضارية عبر التاريخ[9]. ويمكن أن نجمل الصعوبات التي واجهت التاريخ في الجزائر في مرحلتين مرحلة صاحبت الحملة العسكرية وطيلة فترة المقاومة الشعبية، ومرحلة بعد أن استقر الوجود الفرنسي ولو نسبيا.

1- المرحلة الأولى: بعد الحروب والأهوال التي دمرت هذا الوطن، والتطورات السريعة التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، وذلك التراث الذي تركه المؤرخون الجزائريون، جرت هجرة كثير من العلماء إلى البلاد العربية والإسلامية وما حملوه معهم من كتب ثمينة. أما ما تركوه فقد ضاع نتيجة نبش وبعثرة المكتبات الخاصة والعامة في الحروب التي رافقت الاحتلال الفرنسي، وقد أصبحنا اليوم لا نعرف عن هذه الكتب إلا ما يذكر من طرف المستشرقين وضباط المكاتب العربية والمترجمين[10]. نتيجة استيلائهم عليها واستثمارها فيما يخصهم تحت الإغراء أو التهديد. وبعد الانتهاء من العمل بها إما تضيع أو تحمل إلى بلدانهم[11].

كما اختفت مكتبات بأكملها كمكتبة الجامع الكبير في العاصمة الجزائرية والتي كانت في العهد العثماني من أغنى المكتبات. وفي هذا الصدد يتحدث بعض المؤرخين الفرنسيين وبأسف عن بعثرة التراث الجزائري فقد قال مارسيل اجريتوا: "... إن بعض المؤرخين الجزائريين والذين يضجون بالشكوى من قلة الوثائق التي تسهل لهم أبحاثهم، يمتنعون عن التصريح بأن الغزاة الفرنسيين هم الذين اتلفوا العديد من الكتب والمراجع القيمة التي يمكن الاعتماد عليها في كتابة التاريخ الحقيقي في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد بدا هذا العمل الإجرامي الوحشي حين أحرق جنود الجنرال دوق مال "مكتبة الأمير عبد القادر" وقد وصف المؤرخ ب. أوزان مؤرخ الأمير عبد القادر أن تأثر الأمير بإحراق مكتبته قائلا: "إن الأمير أصابته نوبة من الحزن العميق وهو يتبع أثار الطابور الفرنسي مسترشد

بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعها[12].

2- المرحلة الثانية: بعد أن تم الاستقرار للاستعمار الفرنسي في الجزائر راح يحارب بكل ما أوتي من قوة التاريخ الإسلامي والتاريخ العربي والآداب العربية من أساسها ذلك لما يعلمه من تأثير التاريخ والآداب في إحياء الشعوب خصوصا التاريخ العامر بالمفاخر الملوء بالمآثر. كالتاريخ الإسلامي بشكل عام والتاريخ العربي بشكل خاص[13].

فعملت على تغييب تدريس التاريخ الجزائري والإسلامي في المدارس الرسمية في إطار القانون الصادر سنة **1904**م. الخاص بالمنظومة التعليمية إذ استبعدت التاريخ العربي والإسلامي والتاريخ المحلي وجغرافية القطر الجزائري والأقطار الأخرى[14]. كما أنها اشترطت منح رخصة التعليم العربي الحر للمعاهد وبمدارسها ومساجدها وزواياها باستبعاد دراسة التاريخ.

وكان التأليف في تاريخ الجزائر الحديث على النحو الذي توجبه الأمانة العلمية والوفاء للوطن، أكبر جريمة يرتكبها المرء في نظر الاستعمار، يصادر الكتاب ويحاكم المؤلف، وتنزل عليه أقصى العقوبات، فتحاشى كتابنا التأليف في تاريخ الجزائر الحديث[15]. وهو ما أدى إلى تقلص عدد المؤرخين أو ما يسمى بكتاب التاريخ خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، فهم يعدون على رؤوس الأصابع على سبيل الذكر "محمد المزاري" أو محمد الصالح العنتري، في القرن التاسع عشر أو بعض ما يسمى مؤرخي المهجر الذين كتبوا من الخارج مثل "أبي حام المشرفي" في المغرب و"محمد بن الأمير عبد القادر في الشام،

أما بداية القرن العشرين فنذكر مثلا "محمد ابن أبي شنب" ومحمد مبارك الميلي، وتوفيق المدني، وعبد الرحمن الجيلالي. وبالمقابل ومنذ سنة **1880**م أجبرت الإدارة الفرنسية التلاميذ الجزائريين على دراسة تاريخ وجغرافية فرنسا فقط فيجبرون على ترديد أن أصول الجزائريين فرنسية (بلاد الغال)[16].

وركزت على عظمة فرنسا وعلى قوة حضورها التاريخي فهم يدرسون تاريخ فرنسا بالتفصيل خلال مراحل التعليم[17]. كما عملت فرنسا على مسخ وتشويه تاريخ الجزائر، وحرصت على طمس الحقائق التي لا تجري على هواها وفي ذلك يقول مبارك محمد الميلي: "أن تزييف التاريخ مر بمراحل تمثلت المرحلة الأولى في محاربة وتوسيع مجالات الأمية، تليها مرحلة تجفيف منابع الثقافة الوطنية وانسداد أبواب التعليم في وجه الجزائريين مما يضطرهم إلى تعلم اللغة الفرنسية، ولو بشكل محدود، ثم السعي من خلال ذلك التعليم الفرنسي المحدود إلى تحقير التاريخ الوطني لكي تتهيأ في النهاية الظروف لوضع تاريخ للجزائر يتماشى والمنظور الاستعماري الفرنسي [18].

وبهذه السياسة التي مارستها فرنسا على تاريخ الجزائر خلال سبعة عقود، أصبحت هاته الأخيرة نسيا منسيا من قبل العالم عامة والأشقاء العرب خاصة حتى أصبح المؤرخون والمفكرون العرب عامة لا يذكرونها في مؤلفاتهم إذ ينتقلون من الحديث عن تونس إلى المغرب دون أن يحطوا الرحال بالجزائر[19]. وهذا بسبب انقطاع البحوث والمراجع حول الكتابة التاريخية الخاصة بها ن فبقي تاريخها الحديث منذ الاحتلال الفرنسي إلى اندلاع الثورة التحريرية فيه العديد من الحلقات مفقودة. لا تجده إلا في صدور العلماء والشيوخ والمذكرات التي بقيت محفوظة ومخبأة إلى اليوم أو ماتت بموت أصحابها أو تناستها الأجيال اللاحقة.

ولكن السؤال الذي يطرح هل بقيت هذه الصعوبات حجر عثرة تعرقل الكتابات التاريخية في الجزائر خلال الفترة المعاصرة وخاصة منذ بداية الحركة الوطنية إلى يوم الاستقلال. أما أنها عرفت مواجهة خاصة ونحن نعرف أن الظروف العالمية والإقليمية قد تغيرت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

3- مضمون كتابات المدرسة الوطنية الجزائرية

كتابات تاريخية قليلة لا تخرج في مضمونها عن التناول الإجمالي لإحداث دونها أصحابها في فترة عصيبة، وهي فترة الاحتلال[20]. وملابسات

ظهرت فيها الدعوة الإصلاحية وتبلورت فيها الحركة الوطنية، جاءت اغلبها معارضة للنظريات الاستعمارية، وإبراز الأمة الجزائرية ووصف مختلف المقاومات ضد التدخل الأجنبي، وإظهار مدى تقدم الجزائريين في مختلف المجالات والقطاعات[21] كما كذبوا فكرة انتساب أرض الجزائر إلى بلاد الغال وأبطلوا قانون الإلحاق الصادر عن فرنسا سنة **1834**م. بل اعتبروا الكتابات التاريخية الفرنسية بمثابة سياسة استعمارية لا غير جاءت لخدمة المنظومة الاستيطانية الفرنسية[22]. ولان الكتاب الفرنسيين آنذاك عمدوا إلى تمجيد العهد الروماني وربطه بالوجود الفرنسي، وتشويه الفترة الإسلامية التي نعتوها بالعصور المظلمة" كما فعل "غوتييه" قام المؤرخون الجزائريون بعكس ذلك بمنطق لكل فعل ردت فعل فمن جهة عمموا فكرة الاستعمار الفرنسي على الفترة القديمة وانتهوا إلى اعتبار أن الاستعمار الفرنسي الحديث يحمل في طياته ونواياه الاستعمار الروماني القديم[23]. هذا من جهة ومن جهة أخرى توجهوا إلى بطون الكتب يبحثون عن أبهى فترات تاريخينا المجيد ليطلع الخلف على ما بناه وشيده السلف من بطولات أبهرت القريب والبعيد رغم الإمكانيات المحدودة. لأن التاريخ بالنسبة إليهم ما هو إلا إعادة دائمة للأحداث، وبالتالي يصبح التغلب على مشاكل الحاضر رهينا بمعرفة أحداث الماضي وتفهم اتجاهاته، وقد عبر عن هذه الفكرة مبارك الميلي عندما كتب في مقدمة كتاب تاريخ الجزائري في القديم والحديث: "بأن التاريخ الغابر مرآة الحاضر".

حيث يعتبرون أن تاريخ الجزائر القديم والحديث سلسلة مترابطة الحلقات، ووحدة متكاملة ضمنها تكونت الشخصية الجزائرية بأبعادها السياسية والثقافية، وحين يتعرضون لظاهرة الاستعمار يصورونها خرقا لهذه الاستمرارية التاريخية، وقطيعة مع الوجود التاريخي لامتهم. يقرون دوما أن الاستعمار يتنافى مع النمو الطبيعي للأمة الجزائرية، وهو رغم طول مدته ظاهرة عرضية في صيرورة الأمة أعاقت تطور مقوماتها الاجتماعية والثقافية فالمقاومة المناهضة للاحتلال تجسد صمود الشعب الجزائري ومواجهته لتحديات الاستعمار[24].

وبعد هذه القراءة حول التوجهات العامة للكتابات التاريخية في الجزائر خلال الفترة المعاصرة كما سبق وأن ذكرنا يمكن القول أنه من الصعب جدا أن نتحدث عن كتابة موضوعية وعلمية خالية من الانتقاء والتوظيف خاصة إذا أدركنا الوضع الاستعماري الذي كانت تعيشه الجزائر، مع العلم إن فرنسا كانت توظف وتستخدم التاريخ لتبرير أعمالها، وإنكار وجود أمة جزائرية وطمس ذاكرتها ولهذه الأسباب فان الكتابات التاريخية في الجزائر كانت نابعة من منطلقات أيديولوجية وتوجهات سياسية[25].

4- انبعاث مدرسة التاريخ الوطنية الأكاديمية

إذا كانت الحياة الفكرية والأدبية قد نهضت من سباتها مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتمثلت ببروز كوكبة من القراء الأدباء الذين وصلوا بعلمهم إلى حركة التأليف، فإن المرحلة عرفت حركة انبعاث تاريخية معاصرة تماشيا مع التحول الذي عرفته الجزائر مع بداية القرن العشرين، والذي أوجد مناخا جديدا اسهم في تشجيع بعض الأقلام الجزائرية التي اخذت على عاتقها مسؤولية كتابة التاريخ الجزائري ومحاولة بناء لبنات المدرسة الجزائرية.

كان انبعاث مدرسة التاريخ الأكاديمية بعد جهود علماء الجمعية الذين بذلوا جهدا كبيرا في كتابة التاريخ الوطني، وكان التأسيس الأكاديمي لتاريخ من قبل بعض الذين أرسلتهم جبهة التحرير الوطني إبان الثورة التحريرية لدراسة ببلاد المشرق وجامع الزيتونة ومصر وبجامع الأزهر مثل ما درس بعضهم في جامعات فرنسا.

وقد عاد وهؤلاء الطلبة فيما بعد ليؤسسوا لفعل تعليمي أكاديمي رفقة الأشقاء العرب الذين جاؤوا للجزائر وساهموا في تعليم أبنائها ومن هؤلاء نذكر: أبو القاسم سعد الله، موسى لقبال، يحيى بوعزيز، وعبد الحميد حاجيات، ومولاي بلحميسي المازوني، ومحمد البشير الشنيتي، وجمال قنان، وعمار هلال ومحمد الصغير غانم، وناصر الدين سعيدوني وغيرهم وكل هؤلاء قدموا جهدا أكاديميا جبارا في تأسيس معهد التاريخ وتخريج العديد

من الطلبة بألاف المتخصصين في التاريخ والأثار وتأسيس كتابات جادة ومتنوعة في التاريخ العسكري والسياسي والتاريخ الاجتماعي والثقافي كان منها كتاب: "الجزائر عبر التاريخ" والذي شارك فيه نخبة هذه المدرسة وطرح هذا العنوان سلسلة من الكتابات في التاريخ وفي ما قبل التاريخ والوسيط وفي الحديث والمعاصر. وقد خرج هذا المؤلف إلى النور سنة **1984**م. أي بعد عقدين من فجر الاستقلال بما يؤشر على بزوغ مدرسة تاريخية وطنية لها معالمها ومميزاتها الخاصة بدأت تدب على رجليها بفضل ذلك الجيل الذهبي وعلى اثر هذا المؤلف وغيره فيما بعد بدأت تنحدر أقلام الباحثين للتعمق في دراسات التاريخي المحلي والشخصيات الوطنية، وتاريخ الفرق والمذاهب والعلوم لتظهر دراسات عن القبيلة بالجزائر وعن حواضرها وشخصياتها ورموزها كأحمد باي، والأمير عبد القادر وابن باديس وحواضر تلمسان وبجاية وغيرها من الحواضر في المدن الجزائرية لتتعمق الدراسات في مجالات وقضايا مختلفة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية وتأسست الأقسام التاريخية في أغلب جامعات الوطن وهي مملوءة بالباحثين في التاريخ كل باختصاصه[26].

5- قامات مؤرخة ومحققة منسية من جيل التأسيس

لا يمكن إحصاء عدد المؤرخين الناشطين في مرحلة التأسيس باعتبار أن الممارسة التاريخية قد تناولها الأكاديميون في المدارس المشرقية والغربية، وعدد أخر كتب مشاهدته وحلقات حياته كما عاش للتاريخ، ولكن بفكر مثقف واع، ولا يمكن ان نتجاهل زخم علمي من الإنتاج التاريخي لعدد منهم نسيهم الناس وهم يتدارسون مآثر مؤرخي المدرسة التاريخية في مراحلها الأولى.

- محمد الصغير غانم البسكري: والذي له أزيد من **20** عنوانا ودراسة في التاريخ القديم وان كان يساير محمد البشير شنيتي في التوجه والطرح ولكن بصمته في التاريخ قد يلاحظها النابه في اختصاصه وربما يعدد في الطليعة في تخصصه.

- **رابح بونار:** المؤرخ المحقق والباحث المدقق من أعالي مدينة تيزي وزو المتوفي سنة **1974**م كرس حياته لخدمة التاريخ والبحث فيه له كتاب المغرب العربي تاريخه وثقافته وكذلك الأستاذ الفاضل عبد القادر زبادية رحمة الله والذي يعتبر من اعمدة الدراسات الإفريقية في الجزائر له أربعة مؤلفات.

وقد درست عنده في مرحلة الماجستير. وهم كثير من أمثال عبد الحميد زوزو وابراهيم مياسي وجمال قنان ويحيى بوعزيز ومحمد العربي الزبيري أبو القاسم سعد الله الغني عن التعريف كلهم وضعوا الحجر إلساس في تأسيس المدرسة الجزائرية.

5- أجيال المدرسة الجزائرية المعاصرة

في مسيرة بحثنا هذا وخلال تتبعنا لنشاط المدرسة التاريخية الجزائرية اتضحت لنا أن هذا النشاط أفرز لنا أجيالا متباينة العناية والاهتمام بالتاريخ، كما نلاحظ وجود بصمة لكل جيل بما ينبئ بتبلور مدرسة ستظهر بعد قرن ونيف من التأسيس **1920-2040**. والتي سيكون لها شان بوجود كم هائل من الباحثين والمؤرخين في حقل المعرفة التاريخية الذين سيفرزون نوعية متميزة. ولأن المدرسة بقدر ما تتكون من الكم المتعدد من الباحثين وأبحاثهم بقدر ما يمكن لها أن تحوز على أبحاث ذات نوعية وقيمة معرفية وفكرية لها وزنها لتكوين أقطاب داخل المدرسة، تلك الأقطاب التي تتنوع تخصصاتها إقليميا وزمنيا وموضوعاتيا ومجالات بحثية تصاغ فيها أبحاث الطلبة المختصين، وعندها ستبرز مناهج مستوحاة من عمق المعاناة البحثية يجتهد فيها زعماء تلك الأقطاب وبذلك تتكون المدرسة الجزائرية.

إن تتبعنا لمسار البحث التاريخي قد أوصلنا إلى تميز فترات يمكن ضبطها من خلال التحولات في الكتابة التاريخية الجزائرية، والتأسيس إلى مدرسة قائمة بذاتها وهذا عبر الأجيال المتعاقبة والأتية ومن ذلك يمكن تقسيمها على النحو التالي وحسب رأيي المتواضع.

- الجيل الأول 1919-1962

كانت كتابة هذه المرحلة في إطار التاريخ العام للجزائر وذلك لأجل فرض الشخصية الجزائرية وإبراز الهوية الوطنية القصد من ذلك مواجهة الكتابات الكولونيالية التي تمارس عملية طمس ومسخ وهدم لهوية بكامل مكوناتها، وقد مثل هذا الجيل كل من المؤرخ محمد مبارك الميلي، و توفيق المدني وعبد الرحمان الجيلالي من خلال كتاباتهم الموسوعية الرصينة والتي يعرف عليها البعد التاريخي الوطني في ظل حركة الاندماج التي انتهجتها بعض النخبة آنذاك.

- الجيل الثاني 1962-2012

جيل البناء والتأسيس الذي رسم القاعدة الأكاديمية المتخصصة والمتنوعة في جميع فترات التاريخ في الجزائر وهم كثيرون نذكر من بينهم موسى لقبال، محمد الطاهر العدواني، محمد البشير الشنيتي، ناصر الدين سعيدوني، أبو القاسم سعد الله، يحيى بوعزيز، جمال قنان، وغيرهم من القامات التاريخية في هذه الحقبة الفاعلة والمملوءة بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية خاصة وهم يؤرخون لفترة استعمارية عاشتها الجزائر بكل مرارة. والحقيقة أن هذا الجيل يمكن اعتباره الجيل الذهبي للكتابة التاريخية التي لا تزال صاحبة السبق في العديد من الموضوعات، فحينما كتب سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي وتاريخ الحركة الوطنية ودون نصر الدين سعيدوني عن المسألة الثقافية الجزائرية، والتاريخ العثماني في الجزائر، وكتب مولالي بلحميسي كتابه عن البحرية الجزائرية زمن الحكم العثماني، وخاض موسى لقبال في قبيلة كتامة ودورها في الدولة الفاطيمة، وتبحر كل من غانم ومحمد شنيتي في الأثر الفينيقي وبلاد نوميديا في التاريخ القديم، وخاض يحيى بوعزيز في تاريخ المقاومة الشعبية كل هؤلاء الباحثين قدموا النظرة العميقة المحلية وعن قرب لتاريخ هيمن عليه الأوروبيون بفكرهم الاستغلالي وانتقائيتهم المفرطة، لتحقيق غرض دوني وفرض النظرة الاستشرافية نقول هذا دون التعميم لأن هناك أبحاثا كانت تتميز بالعلمية والموضوعية.

- الجيل الثالث: 2012-2040

وهو الجيل الحالي والذي وجب عليه أن يتعمق في الموضوعات ويسد الفراغات التي لم يصل إليها الأوائل ويؤسس منهج مدرسة وفق مقاربات يحافظ بها على أصول الكتابة التاريخية المتميزة بالوطنية، وينفتح على المدارس الحديثة التي باتت تغزو كتابات التاريخ بكل تخصصاته وحقبه ومواضيعه...

هذا الجيل الأخير الذي ستتبلور لديه مصطلحات خاصة بالمدرسة وسيخوض معركة المفاهيم والسياقات التي تنحدر منها أبحاثه وفق مخزون الأجيال السالفة، وسيحقق التحقيب المناسب لتاريخ المنطقة والتراث المعرفي والمادي لحضارة لها قيمتها وسيمتها وبعدها وتأثيرها[27].

- الخاتمة

وخلاصة القول أن بناء المدرسة التاريخية الجزائرية وكل المحاولات التي قام بها بحثو القرن العشرين من القامات الجزائرية المعروفة من أمثال الشيخ مبارك الميلي والشيخ عبد الرحمن الجيلالي وغيرهم كثيرون معاصرين من أمثال توفيق المدني وفرحات عباس والشيخ أبو القاسم سعد الله، وكذلك جمال قنان وإبراهيم مياسي ومحمد العربي الزبيري وآخرين لم نذكرهم كلهم حاولوا بناء اللبنة الأولى للمدرسة التاريخية الجزائرية وذلك بغية التصدي للمشروع الفرنسي الذي يحاول دائما الهيمنة على كتابة التاريخ الوطني ومحاولة كتابته كما تهوى مصالحه. لذلك نلاحظ أن هذه الكتابات الوطنية التاريخية جاءت للتركيز على النقاط التالية:

- جاءت هذه الكتابات التاريخية في الجزائر كحاجة ماسة لبناء وعي وطني، وإدراك هذه الأهمية في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للامة كضرورة حيوية لحماية مسيرتها من الانحراف والضياع.

- تعتبر هذه الكتابات التاريخية الوطنية الجزائرية سلاحا في وجه سياسة التغليط والنشوية التي حاول الاستعمار الفرنسي ممارستها في حق تاريخ الجزائر.

- جاءت هذه الكتابات التاريخية الجزائرية من أجل بعث تصور تاريخي للشعب الجزائري في اطاره العربي وبعده الإسلامي. وفي الأخير جاءت هذه الكتابات التاريخية الجزائرية والتي تشكل في مجموعها ردا على الأطروحات الاستعمارية الفرنسية وكتاباتهم التاريخية التي تتجاهل البعد الحضاري والعرقي واللغوي لسكان الجزائر.

- الهوامش

1- محمد دادة، "**التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة**، ع**3-4**، **2012**، ص**120**، **121**.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج**2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1998**، ص**321-323**.

3- فارس كعوان، **المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخ**، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، الجزائر، د ت، ص**1**.

4- المزاري بن عودة، **طلوع سعد السعود**، تحقيق يحي، بوعزيز، دار البصائر، **2009**، ص**53**.

5- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص**309**.

6- المرجع نفسه، ص**403**، **404**.

7- جيلالي بلوفة عبد القادر، **قيمة ووزن الكتابة التاريخية الفرنسية في المشروع الاستعماري**، **مجلة المعيار**، ع**10**، **2005**، ص**105**، **106**.

8- عبد الكريم بوصفصاف، **الفكر العربي الحديث والمعاصر**، ج**1**، دار مداد، **2009**، ص**136**.

9- زاهر زرقين، **سياسة التعذيب والإدماج في المشروع الثقافي الاستعماري بجزائر القرن 19**. **مجلة المعيار**، ع**10**، **2005**، ص**291**.

10- محمد دادة، المرجع السابق، ص**119**.

11- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج**7**، ص**311**.

12- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص**311**.

13- محمد البشير الابراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي**، ج**5**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1997**م، ص**118**.

14- سعاد سطحي، **وسائل المشروع الثقافي للقضاء على الهوية الوطنية**، **مجلة المعيار**، ع**10**، سبتمبر **2005**، ص**56**.،

15- محمد علي دبوز ، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج**1**، عالم المعرفة، **2013**، ص**6**.

16- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج**7**، ص**310**.

17- بن عميرة السعيد، **دور جمعية العلماء المسلمين في التصدي للمشروع الثقافي الاستعماري**، **مجلة المعيار**، ع**10**، سبتمبر **2005**، ص**31**.

18- مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج**1**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت، ص**31**.

19- عبد الكريم بو صفصاف، **الفكر العربي الحديث والمعاصر**، ج**1**، المرجع السابق، ص، **140**.

20- صادق دهاش، **إشكالية المدرسة الجزائرية بين الأمس واليوم**، **المدرسة التاريخية الجزائرية**، الجزائر، **1998**، ص**53**.

21- رابح لونيس، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)**، كوكب العلوم، **2009**، ص**59**.

22- أحمد مريوش، مبارك الميلي شيخ المؤرخين الجزائريين، **المدرسة التاريخية الجزائرية**، الجزائر، **1998**م، ص**18**.

23- ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، د ت، ص**203**.

24- محمد غانم، **براديمقا المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي أحمد توفيق المدني أنموذجا**، **مجلة عصور الجديدة**، ع**3**، **2011- 2012**، ص**197**.

25- رابح لونيس، المرجع السابق، ص**58**، **59**.

26- عبد القادر بوعقادة، **نحو مدرسة تاريخية وطنية مكنية**، **مجلة المدرسة التاريخية الجزائرية**، مج**6**، ع**2**، **2022**، ص**671**.

27- عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص**673**.

المقـاومات الشعبية للاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري
في اهتمـامات الأبحـاث التـاريخية الجزائرية
الواقع والصعوبـات والآفـاق

الأستـاذ: كديده محمد مبـارك
مخبر الموروث العلمي والثقـافي لمنطقة تـامنغست
جـامعة أمين العقـال الحـاج موسى أق خموك - تـامنغست

- مقدمة

إن اهتمامات الباحث الجزائري بعد مرور أكثر من ستين سنة على استرجاع السيادة الوطنية تتطور وتتسع وتتعمق خاصة الباحث في حقل التاريخ الوطني الذي يشغل اهتمامات الجزائريين الذين يرتبطون ارتباطا وثيقا بمعطيات التاريخ ومخرجاته، إذ مازالت جراح الاحتلال لم تشف بعد ومازالت الذاكرة تحتفظ بصورة تلك الجرائم التي ارتكبها الاحتلال، وقد مرت الكتابة التاريخية في الجزائر بمراحل ثلاث بارزة المرحلة الأولى السنوات الأولى ما بعد استرجاع السيادة الوطنية والتي كنا فيها بحاجة إلى تاريخ جامع والمرحلة الثانية من نهاية السبعينيات إلى نهاية الثمانينيات والتي عرفت انتاجا جزائريا ساهمت فيه الكثير من الأقلام الجزائرية وألفت حول تاريخ الجزائر وبداية بروز التخصص، والمرحلة الثالثة من نهاية الثمانينيات إلى يومنا هذا، والتي تطورت فيها مؤسسات البحث المتخصص والمتخصصين في التاريخ بصفة عامة وتاريخ الجزائر بصفة خاصة وفتح التخصص الكثير من الجامعات الجزائرية، بعدما كان التخصص في

الجامعات الكبرى مثل جامعة الجزائر **2**، ووهران وقسنطينة ما فتح المجال واسعا للبحث التاريخي ونوقشت الكثير من المذكرات والأطروحات والندوات والأيام الدراسية والملتقيات العلمية أثرت كثيرا تاريخ الجزائر، وخلال هذه المدة عرفت الكتابة والبحث في مواضيع المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري، وهو من القضايا المهمة التي يجب أن نقف عند مناقشتها في ملتقانا هذا الموسوم بالذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني الذي جاء في وقت مهم من تاريخنا.

حاولت الدراسات الجزائرية التي أنتجها باحثون متخصصون جزائريون خلال الفترة المذكورة آنفا وخلال المراحل المختلفة أن تتناول مختلف المقاومات الشعبية الجزائرية ولكن ظهرت لديها صعوبات كلما توغلت جنوبا لأسباب سنتطرق إليها لاحقا وهذا لا يعني أنه لم يبذل جهد للكتابة العلمية الأكاديمية عن المقاومة وظروفها مثلا في أهقار وآجر وتيديكلت وغيرها من مناطق أقصى الجنوب الجزائري إلا أنها مازالت في بداياتها وهو ما يجعلنا نحاول أن نلقي نظرة على ما انتج خلال هذه الفترة:

1- الدراسات التاريخية الجزائرية للمقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري في الكتب

تعتبر الكتب مهمة جدا ذلك أنها تمكن القارئ من الاطلاع ومطالعة موضوع أو مواضيع تخص المقاومة في الجنوب وتتم مناقشة العديد من الأفكار وتبرز تاريخ مناطق وشخصيات وأحداث وتربطها بما كان حاصلا على السياق الوطني إلا أن الكتاب الذين يمكن أن نقول أنهم تميزوا بالاهتمام المباشر في كتبهم بموضوع المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي في مناطق أقصى الجنوب الجزائري لا نكاد نجدهم إذا استثنينا مياسي إبراهيم الذي رسم الطريق لمن جاء بعده من الباحثين لأنه سخر جهده وعمله لسد الفراغ الذي لاحظه في مواضيع المقاومة حين كتب عنها وبحث واستخدم الوثائق وسخر المناهج التاريخية للكتابة والتحليل ومناقشة القضايا التاريخية التي تناولها تلاحظها مباشرة حين تطلع على كتبه التي نذكر منها:

- توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري **1881-1912**
- الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية **1837-1934**
- من قضايا تاريخ الجزائر
- مقاربات في تاريخ الجزائر
- من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر
- قبسات من تاريخ الجزائر
- الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف
- لمحات من جهاد الشعب الجزائري

إن المطالع له يجد أن مياسي نوع ما بين الكتب التي تناول موضوعا موحدا ككتاب توسع الاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري[1] وبين كتاب متنوع المواضيع والأفكار مثل كتاب قبسات من تاريخ الجزائر[2] تناول فيها مواضيع من نفس اهتماماته تناول فيها المقاومات الشعبية والسياسية والثقافية مفيدة لكتابة التاريخ الوطني والحقيقة أن الرجل حاول أن يساهم وفعلا ساهم في ابراز وكتابة جزء مهم من تاريخ الجزائر.

بعد مياسي من المؤرخين الجزائريين الذين ساهموا من خلال كتبهم في كتابة تاريخ المقاومة في الجنوب الجزائري هو يحيى بوعزيز الذي يمكن أن نعتبر تخصيصه لحيز كبير من أعماله للمقاومات الشعبية للاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري وظروفها والكشوفات الجغرافية والصراع الفرنسي البريطاني وغيرها من المواضيع المرتبطة بمواضيع المقاومة، ألف يحيى بوعزيز العديد من الكتب نذكر منها:

- كتاب الأمير عبد القادر رائد الكفاح صدر سنة **1957**
- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة
- ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام **1871**
- ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين صدر سنة **1980**

- مراسلات الامير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين
- علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا **1500-1830**
- سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية **1830-1945**
- الموجز في تاريخ الجزائر
- الاتجاه اليمين في الحركة الوطنية من خلال نصوصه **1912-1948**
- المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد
- من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية
- موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا والمقراني ونورشة **1871**
- الثورة في الولاية الثالثة
- وهران عبر التاريخ
- تلمسان عاصمة المغرب الأوسط
- تحقيق مخطوط طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن **19**

- المساجد العتيقة في الغرب الإسلامي

قائمة تعطيك إشارة مهمة أن الرجل مهتم بكل قضايا التاريخ الجزائري جعلته يتطرق لمواضيع المقاومات الشعبية منها مواضيع المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري فعلى سبيل المثال لا الحصر في كتابه "ثورات القرن العشرين" يتعرض لمواضيع انتفاضة التوارق بآزجر والهقار والمقاومة في الجنوب الغربي[3]، وفي كتابه ثورات القرن التاسع عشر تجد أن بوعزيز خصص حيزا أكبر وتفاصيل أكبر خاصة أن الفترة الزمنية للكتاب مليئة بالأحداث والمقاومة الشعبية وستلاحظ أنه تحدث عن الكثير من الشخصيات ويجد القارئ فوائد كثيرة ومعلومات غزيرة حين يطالع هذا الكتاب فقد تناول ثورة الزعاطشة وثورة محمد الشريف بن عبد الله والناصر بن شهرة والشريف بوشوشة وبوعمامة الوضع السياسي

والاجتماعي في الصحراء وتحدث عن اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال استفادتهم من طرق القوافل في غزوها وتناول البعثات الاستكشافية ومقاومة أهقار ومشاريع السكك الحديدية للاحتلال الفرنسي والطرق الصوفية والزوايا[4] وغيرها من المواضيع التي تضع "يحيى بوعزيز" في موضع المهتم بعد مياسي لأنه تناول مواضيع كثيرة في كتبه عن المقاومة في الجنوب الجزائري.

أما باقي الباحثين من جيل بوعزيز أو جيل مياسي لا نجد من خصص حيزا مهما للبحث والتفتيش وتحليل الأحداث التاريخية وما ارتبط بها من تاريخ المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري في مقابل نجد من سعد الله الذي تناول الكثير من الأمور المهمة عن الطرق الصوفية وما ارتبط بمواضيع المقاومة في كتابه التاريخ الثقافي مثل حديثه عن الطريقة السنوسية[5] في الجزء الرابع أو حديثه عن شارل دوفوكو الجزء السادس حين تناول الكنيسة والتنصير[6] والحقيقة أن سعد الله لم يخصص اهتماما إلا متأخرا بالمقاومة حتى الثقافية منها في أقصى الجنوب الجزائري. وأذكر أنه في سنة **2010** صرح في حديث بيننا أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الجهد والانتباه، أما ناصر الدين سعيدوني فيبدو أنه شرع في الأمر والدليل على هذا كتابه المعنون بـــ: "الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر" عمل جبار يساهم في كتابة تاريخ المقاومة في الجنوب إذ قام بترجمة عدد مهم جدا من النصوص في معظمها تقارير عمل تم في استراتيجية واضحة يدل عليها ما كتب على الغلاف: "... إن أملنا لكبير أن يتخذ هذا الكتاب مصدرا للباحثين في تاريخ الصحراء خلال القرن التاسع عشر وأبعاده المختلفة: الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية وأن يفيد القارئ العربي عموما بتمكينه من التعرف على الإنتاج الفرنسي عن الصحراء والذي عادة ما يظل بعيدا عنه نظرا لعامل اللغة، مع التنبيه إلى وجود من المغالطات فيما كتبه المستكشفون الفرنسيون عن الصحراء وسكانها خدمة لأهداف المشروع الاستعماري، وهذا ما يوجب على الباحث إخضاع هذه النصوص عند استغلالها في البحث التاريخي للنقد والمقارنة والبحث عن

مصادر أخرى خاصة المحلية منها التي تمكن الباحث من مناقشة بعض الأطروحات الواردة في هذه النصوص والرد عليها واستكمال ما أغفلته من معلومات وتجاوز ما شابها من نواقص وتحيز في وجهات النظر وتحامل على عادات وتقاليد أهلها ..."[7].

إن هذا الكلام يوضح لنا مدى أهمية ما كتب في التقارير الفرنسية والذي سنتحدث عنه لاحقا وفي نفس الوقت ندرك أن سعيدوني يشير إلى ضرورة العمل على استكمال الجهود المبذولة لكتابة تاريخ المقاومة في الجنوب وهذه الترجمة لأعمال الفرنسيين وكتاباتهم عن الجنوب سواء كانوا مستكشفين أو عسكريين أو غيرهم مهمة وبدأ الاشتغال عليها في السنوات الأخيرة حتى من غير المتخصصين في التاريخ أو من الذين لم يتلقوا تكوينا في التخصص منها أعمال بن حرز الله بن مويزة[8] على سبيل المثال لا الحصر، وعلى ذكر غير المتخصصين هناك تخصصات تتقاطع مع التاريخ في البحث ويمكن أن تعالج نفس المواضيع وخير مثال على موضوعنا هذا كتاب "مرموري حسن" المعنون بـــ: "التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين" عمل بحثي عميق في علم الاجتماعي السياسي جعلته الفترة المتناولة والحيز الجغرافي عمل تاريخي تناول الكثير من الأمور التي تتقاطع مع البحث التاريخي في دراسته للأحداث التاريخية واستراتيجية الاحتلال الفرنسي وردود الفعل المحلية[9] التي سمحت بتبادل النقاشات العلمية ما ساهم كثيرا في عملية البناء والكتابة التاريخية ذلك أنها تعالج الكثير من الأمور المكملة للبحث التاريخي وتساعده خاصة فهو من العلوم المساعدة لعلم التاريخ.

2- المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري في الأطروحات والرسائل والمذكرات الجامعية

عملت الكثير من الجامعات الجزائرية على تشجيع البحث في مواضيع المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري، وفي السنوات الأخيرة ناقشت الكثير من الجامعات الجزائرية بعض الأعمال المميزة في الدكتوراه. يجب أن تنقح وتطبع نظرا لقيمة المساهمة التي تقدمها لكتابة تاريخ الجزائر في الموضوع

والحيز الجغرافي الذي نتحدث عنه نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر عمل "حبيب خنفار" المعنون بـــ: "المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي للجزائر من **1850** إلى **1914** وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر نوقشت بجامعة سيدي بلعباس[10]، أو عمل سعود دحدي الذي أشرف عليه مياسي إبراهيم المعنون بـ: "البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية **1842-1931** بجامعة الجزائر[11] أو عمل "هاشمي أمال" المعنون بـــ: "الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر"[12] أو عمل محمد عبد الكامل حسيني المعنون بـ: "النشاط الثقافي للحركة السنوسية في افريقيا **1787-1911**م"[13] وغيرها من الأعمال المتخصصة التي تتوغل أكثر في مواضيع أكثر دقة لم يكن بمقدورنا في السابق التطرق لها ولكن مشاريع البحث بصيغها المختلفة ومخابر البحث العلمي ومشاريع الدكتوراه سمحت بالعمل بطريقة تختلف عن ما عرف من تعميم في المرحلة الأولى من الكتابة التاريخية في الجزائر إلى مواضيع دقيقة جدا في تاريخ المقاومات الشعبية فشخصيا أشرف في جامعة تامنغست على مشروع دكتوراه بعنوان: "الاستعمار الفرنسي في الجزائر تحولات ومقاومات" وأذكر أن الأطروحات كلها تصب في هذا السياق باحث يدرس موضوع "حملتي فلاتيرز إلى آجر وأهقار" وباحث يدرس موضوع "الحصون العسكرية الفرنسية ودورها في استراتيجية توسع الاحتلال الفرنسي في أقصى الجنوب الجزائري" وباحث آخر يبحث في موضوع الأوضاع الصحية في منطقتي أهقار وتيديكلت في فترة الاحتلال الفرنسي من خلال أرشيف معهد باستور وغيرها من المواضيع التي تدرسها مشاريع الدكتوراه التي تلت هذا المشروع في تخصصي تاريخ افريقيا المعاصر والتاريخ الديني والثقافي للجزائر كلها لم تخرج من نفس الاستراتيجية، يضاف إلى كل هذه الأعمال الكثير من الأعمال المميزة لبعض الطلبة في مرحلة التدرج فنجد الكثير منها تطرقت لمواضيع جديده في تاريخ المقاومات الشعبية للاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري وما ارتبط بها من مواضيع.

3- الدراسات التاريخية الجزائرية للمقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري المجلات العلمية المحكمة

بتخصيص الجزائر لأرضية موحدة للمجلات العلمية المحكمة خطت خطوة جيدة نحو رقمنة الأبحاث العلمية المحكمة وهذه الأرضية مكنت الباحث أو المطالع الشغوف بإمكانية تحميله للبحث بسرعة وساهم في نشر المعلومة التاريخية والبحث الذي يناقش فكرة أو أفكار ومواضيع مختلفة الملاحظ لها يجد تطورا في معالجة مواضيع المقاومة وتناولا أكبر لمواضيع المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري ونلاحظ أنها تمكن الباحثين من التطرق لمواضيع المقاومة في الجنوب وما ارتبط بها من مواضيع ذلك أنها تمكن الباحث من الغوص في جزئية من الموضوع ذلك أن الحيز المخصص للبحث محدد في صفحاته وفي زوايا معالجته و يمكن للكثير منهم المغامرة والخوض ما جعلنا نتمكن من معالجة الكثير من المواضيع شكلت نواة للبحث الموسع مستقبلا في الكثير من المواضيع ذلك أن الكثير من الباحثين عالجوا تلك المواضيع بما توفر لديهم من إمكانات أو ربما عثروا على وثيقة معينة أو دراسة لمصدر معين سنلاحظ أنها ساهمت في الكتابة فيه أكثر من الكتب نذكر من البحوث الموجودة حاليا في الأرضية الرقمية للمجلات العلمية المحكمة ما يلي:

- كركار عبد القادر: الجنوب الجزائري من المقاومة إلى الثورة التحريرية.

- كركار عبد القادر: الصحراء الشرقية الجزائرية واهميتها الاستراتيجية خلال المقاومة الشعبية **1837-1883**

- بشي إبراهيم العيد: دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

- هقاري محمد: دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي اثناء الحرب العالمية الأولى.

- هقاري محمد: تداعيات الاحتلال الفرنسي على النظام الاجتماعي والسياسي التقليدي لسكان منطقة الهقار **1902**م.

- مريوش أحمد: التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهوقار **1916**

- تابتي حياة: دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي - مقاومة المقراني والحداد **1871**م أنموذجا.

- الصادق دهاش: تغلغل الاستعمار الفرنسي في الصحراء ودوافعه الحقيقية (من الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى النصف الثاني من القرن العشرين).

- لخضر عواريب: الطريقة القادرية في الجنوب الشرقي الجزائري ودورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

- قسيبة رشيد: ركائز ووسائل السياسة الفرنسية لمراقبة شيوخ الطريقة القادرية بالجنوب الشرقي من خلال الوثائق الأرشيفية **1892-1939**م.

- الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تسجيل فوتوغرافي أم تصوير تخييلي.

- شريقي أنيسة وعيسى بوقرين: ابن ناصر بن شهرة: رائد من رواد المقاومة في الجنوب الشرقي الجزائري (**1850-1875**).

- عيسى بوقرين: ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري (**1850-1875**).

- بن حيدة يوسف: الامتداد الجغرافي والبعد الصوفي في مقاومة ابن ناصر بن شهرة (**1851-1875**).

- قاصري محمد السعيد: دور القائد بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين في الشرق الجزائري سنة **1871**م.

- تواتي حسين: بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية.

- تواتي حسين: دور قبائل الأغواط في مقاومة الاحتلال الفرنسي - قبائل الأرباع أنموذجا.

- بوباية عبد القادر: نشاط بن ناصر بن شهرة في تونس وعلاقته بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر.

- بوباية عبد القادر: دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

- علالي محمود: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية - الأغواط أنموذجا.

- رموم محفوظ: الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية.

- دعاشي سميرة: الاستثمار الفرنسي للجزائريين في مهمة اختراق الصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

- جيجيك رزوق: الصحراء الجزائرية من خلال المجلة الافريقية المقاومات الشعبية في الجنوب الشرقي.

- مرجاني عبد القادر: الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوربية -بول صولييه أنموذجا.

- رشيد رايس: الصحراء لدى الكتاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر.

- يكو فتيحة: الصراع الدولي على الطرق التجارية في الصحراء الجزائرية.

- بن وزار مصطفى: المستكشفون الأوربيون للصحراء الجزائرية جرهارد رولف وأوسكار لانز أنموذجان.

- برشان محمد وسباعي سيدي عبد القادر: انعكاسات السياسة الاجتماعية الكلونيالية على سكان الصحراء الجزائرية.

- سرقمة عاشور: المقاومة الشعبية والثورة التحريرية في الشعر الشعبي بولايتي غرداية والمنيعة.

- غنابزية علي: المقاومة الشعبية بوادي سوف وأثرها على العلاقات مع الجنوب التونسي.

- غنابزية علي: دور وادي سوف في معركة المقارين (**1854**) وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية.

- لرباس نبيلة: دور المؤسسات الثقافية بالجنوب الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي خلال القرن العشرين.

- هوارية بكار: دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري.

- تلي سامية: صورة المقاومة الشّعبية وثورة التحرير الكبرى في الشّعر الشعبي النسائي (منطقة البيّض أنموذجا).

- بلعزوز العربي: معركة جانت **1916** من خلال تقارير ضابط الصف "لابيير ".

- بلعزوز العربي: مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة **1849**، على ضوء الكتابات الأجنبية.

- خليفي عبد القادر: خصائص مقاومة الشيخ بوعمامة والعوائق المحلية في وجهها.

- بريجة شريفة: خطة الهيمنة على الزوايا من طرف الجنرالات الفرنسيين لطمس الهوية الجزائرية: القضاء على روح المقاومة (**1840-1900**م).

- نواصر عبد الرحمان: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين (**1873-1962**م) منطقة المنيعة نموذجا.

- ترمزي محمد ونواصر عبد الرحمن: مساهمة الأبحاث التاريخية الاكاديمية لجامعة تامنغست في كتابة التاريخ المحلي لمنطقة الهقار.

- كديده محمد مبارك: قراءة في وثائق عن الاحتلال والمقاومة في الهقار في نصوص ووثائق.

- كديده محمد مبارك: النظام السياسي عند الطوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب.

- كديده محمد مبارك: سياسات ومناهج الاحتلال الفرنسي لإخضاع منطقتي الهقار وآزجر (**1862-1920**م).

- كديده محمد مبارك: مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري (هنري دوفرييي أنموذجا).

- كديده محمد مبارك: منهجية التعامل مع قضايا تاريخ المقاومة الشعبية في أهقار وآجر في ملتقى الفكر الإسلامي دراسة نقدية تحليلية.

- كديده محمد مبارك: رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات عام **1858**م أهدافها ونتائجها في استراتيجية الاحتلال الفرنسي للتوغل في الصحراء.

- عميراوي ليندة: شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري المهمة المزدوجة (ضمن ملتقى التأصيل التاريخي والأنثروبولوجي للجنوب الغربي الجزائري).

- شافو رضوان: الأبعاد الوطنية والدلالات البطولية لمعركة المقارين بالجنوب الشرقي الجزائري.

- مايدي كمال: الأساليب الفرنسية للقضاء على ثورات الجنوب الغربي الجزائري (**1847-1880**م)؛ بين الإغارة وروابط الإجارة.

- برشان محمد: التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (**1902-1960**)

- بن صحراوي كمال: حركة التنصير في الجنوب الجزائري، جهود شارل دو فوكو أنموذجا.

- سلاماني عبد القادر: قراءة في نماذج من مقالات تاريخية ثقافية - الجنوب الغربي نموذجا.

- سلاماني عبد القادر: مصداقية الرواية الشفهية من خلال الكتابات الفرنسية الجنوب الغربي الجزائري نموذجا.

- سلاماني عبد القادر: الجنوب الغربي الجزائري من خلال قراءة في كتاب:

L.baquey, La Pénétration Saharienne, Résumé Historique **1899-1905**.

- طهير عبد الكريم: تأثير الخطاب الصوفي في الدّفع بالمقاومة الشعبية ضدّ الاستعمار الفرنسي (الشيخ بوعمامة وحركته الصوفية أنموذجا).

- موساوي نوال وقلاتي بشير: دور تدريس العلوم الإسلامية في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي بالجزائر **1920-1945**م.

- موساوي الطاهر: الصحراء الجزائرية من الاستكشاف إلى التوغل والاحتلال **1828-1934**.

- كروم عبد الله: أصداء الثورة والمقاومة في المخيال الشعبي التواتي عند احتلال الصحراء.

- الميلق عبد الله: مقاومة شريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية كتاب "لويس رين" الموسوم بـــ: "تاريخ انتفاضة **1871** في الجزائر.

- بن حادة مصطفى: السياسة التعليمية الفرنسية في الجنوب الشرقي للجزائر **1882-1914**.

- دين صورية: مقاومة شريف بوشوشة ودور قبائل الشعانبة فيها من (**1870-1881**).

- ملوكي عبد الرحمان: زوايا تافيلالت وعلاقتها بالمخزن وحركة المقاومة خلال التوغل الفرنسي ب الجنوب الشرقي المغربي (أواخر القرن **19** وبداية القرن **20**م).

- مياسي إبراهيم: المقاومة الشعبية في الجنوب الوهراني (**1864-1881**).

- مياسي إبراهيم: دور الأرشيفات والوثائق التاريخية في كتابة تاريخ المقاومة الجزائرية (الربع الأخير من القرن التاسع عشر).

- داودي مصطفى: عوامل وأسباب قيام أولاد نايل بالمقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي منطقة الجلفة أنموذجا.

- بليل محمد: مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر (**1850-1918**) من خلال وثائق أرشيفية.

- أحمد جعفري الوعزيري: دور الزوايا التواتية في حماية المقومات الوطنية إبان الفترة الاستعمارية **1830-1962**.

- عباز لزهاري وشافو رضوان: دور الطُّرق الصُّوفيَّة ومشائخ العزَّابة في مواجهة السِّياسة التَّبشيريَّة في الجنوب الشَّرقي الجزائري (ورقلة أنموذجاً).

- بن مسعود جمال وبن دارة محمد: استغلال نبات الحلفاء بأقاليم الجنوب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي ما بين سنتي (**1902-1930**م).

- حينوني رمضان: صورة الهقار في كتاب (رجال جبال الهقار) لأوديت برنزات.

- محفوظ محفوظ: الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية.

- زروق جيجيك: الصحراء الجزائرية من خلال (La Revue Africaine) المقاومات الشعبية في الجنوب الشرقي أنموذجا.

- روابحي العياشي: من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر خلال القرن **19**م تصفية رواد المقاومة الوطنية و قطع رؤوسهم.

- كحول عباس: أهمية المخطوط التاريخي في الدراسات التاريخية قراءة جديدة في تاريخ المقاومة الوطنية خلال القرن **19**م، مخطوطات مقاومة الطرق الصوفية بالزاب واحمر حدو.

- كحول عباس: عبد الحفيظ الخنقي ودوره في المقاومة الوطنية بالزاب الشرقي وأحمر خدو **1849**.

- كحول عباس: مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس (**1844-1859**م).

- كحول عباس: خلفاء الأمير عبد القادر على الزاب والصحراء الشرقية، طموح أم تقلب، "فرحات بن سعيد بوعكاز الذوادي نموذجا".

- كحول عباس: تضامن الحضنة مع مقاومة الزيبان بين (**1849–1860**م).

- كحول عباس: الطريقة الصوفية العزوزية في الجنوب الشرقي الجزائري والجريد التونسي.

- تجنانت مراد: دور قبائل الآزقر في تجارة القوافل الصّحراويّة بين مرزق وبلاد آييرمن خلال كتاب المستكشف الألمانيّ هنرتش بارث "رحلات واستكشافات في شمال وسط أفريقيا (**1849-1855**).

- دعاشي سميرة: واقع تجارة القوافل بين ضفتي الصحراء الجزائرية في ظل التغييرات التي أحدثتها فرنسا بالمنطقة بدايات القرن العشرين.

- شترة خير الدين: الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (**1830** - مطلع القرن **20**م) الطريقة الشيخية أنموذجاً.

- بورويح محمد ومريوش أحمد: السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية ما بين (**1900-1930**).

- خليفي عبد القادر: حركة الشيخ بوعمامة في الجنوب الكبير.

- موساوي مجدوب: جوانب من استراتيجية الجنرال ليوطي بالجنوب الغربي الجزائري.

- براشيبش نصر الدين: المقاومة في الشّعر الجزائري الحديث والمعاصر "ثورة الزعاطشة نموذجا".

- عثماني الجباري: أعلام وأقلام سوفية (وادي سوف) ودورها في المقاومة الثقافية للمستعمر الفرنسي.

- خديجي هواري بومدين ولكحل الشيخ: المؤرخ ابراهيم مياسي واسهاماته في كتابة تاريخ الجنوب الجزائري.

- حسنة كمال: الاحتلال الايطالي لليبيا وانعكاساته على الجنوب الشرقي الجزائري الصحراوي.

- التومي زينب: رحلة موسى أڤ أمستان إلى فرنسا.

- بوجلال ليلى: مظاهر التبادل الاقتصادي بين الجزائر والساحل الإفريقي خلال ق**19**م من خلال كتابي "مستقبل فرنسا في إفريقيا لــ بول سولييه" وطرق الصحراء: رحلة في المناطق الداخلية في الصحراء الكبرى الإفريقية لــ جيمس ريشارد صون".

- راجعي عبد العزيز: صورة المجتمع الحضني من خلال رحلة شارل دو غالون **1897** "رحلة إلى بوسعادة ومسيلة".

- جعفري مبارك: المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي الجزائري مقاومة الرقيبات أنموذجا (**1900- 1934**م).

- هاشمي أمال: التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار.

- مرجاني عبد القادر: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (**1851-1871**) على ضوء كِتَابْ الفرنسيون في الصحراء[14].

- الغالي الغربي: مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية[15].

إن ما تلاحظه هو التنوع في الطروحات والزوايا والتحليل والمواضيع التي تصب كلها في كتابة تاريخ المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري التي لم يكتب حولها الكثير وبداية زوال الغموض الذي شاب الكثير من التفاصيل والأحداث والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية خلال فترة توسع الاحتلال الفرنسي تبرز تطور معالجة هذه المواضيع إذا ما قورن بالفترات السابقة.

4- الإشكاليات والصعوبات

مما سبق تعرفنا على واقع ومسيرة العمل الجزائري وتيرته في كتابة تاريخ المقاومة في الجنوب الجزائري بأقلام وطنية أكاديمية متمكنة من ناصية ومناهج البحث التاريخي، وتقييمها لابد من الوقوف على الصعوبات والإشكاليات التي ما تزال تعيق البحث في هذا الحقل ما يمكننا من معالجتها وفق وجهات نظر مختلفة تذلل هذه الصعاب وتحاول أن تجد لها الحلول التي من شأنها السماح بالمرور إلى مرحلة أخرى واستمرار التطور في الكتابة كيفا وكما نلخصها فيما يلي:

أولا: منهجية مع المصطلحات المحلية: هو أهم مشكل تتعامل بعض البحوث التاريخية الجزائرية مع المصطلحات المحلية بشكل سطحي نوعا ما ذلك أنها بقيت في الكثير من الأحيان تتبع خط باحثي المرحلة الأولى الذين أخطأوا في الترجمة أو بحثوا عن تفسيرات من خارج الإطار الحضاري أو التفسير المحلي للمصطلح على سبيل المثال لا الحصر ما لاحظته على بعض بحوث ملتقى الفكر الإسلامي التي تناولت مواضيع من تاريخ المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري حين عنون "المهدي البوعبدلي" ورقته العلمية بـــ: "تراجم بعض أبطال المقاومة المسلحة بأهقار وفي طليعتهم السلطان أحمود المشهور بآمود في هذا الموضوع أول إشكال وقع فيه السيد "المهدي البوعبدلي" يظهر من العنوان فقوله السلطان "أحمود" بدل "أمود" يدل على أنه غارق في التفسير من خارج الإطار الحضاري للقوم الذين تناولتهم دراسته، ذلك أنه لا مبرر لمحاولته التفسير من اللغة العربية قبل البحث عن التفسير من اللهجة أو اللغة المستعملة من قبلهم ثم البحث عن وهو أمر كان تأثيرات للغة العربية ان لم يجد تفسيرا من داخل الأولى، فمن المفروض أن يعود إلى "تماهق" باحثا أو سائلا من يعرفها من أهل البلد ذلك أن الأمر غير مقبول أن نخطئ في دراسة حيثية من حيثيات ثقافتنا في نفس البلد، وقد يكون مرد ذلك إلى أمرين الأول قلة الدراسات الوطنية الدقيقة والموضوعية البعيدة عن التصوير الأسطورية والتناول الخيالي والنظرة السياحية، والثاني طغيان المسحة القومية العربية على طريقة التناول والدراسة في تلك

الفترة حتى في المواطن التي لا يجب أن تمسها أو تستخدم فيها وهو أمر كان سائدا في فترة السبعينيات في العديد من الكتابات التاريخية والثقافية، وما يدل على أن هذا الأمر حصل عن قصد قوله في العنوان "المدعو أمود" ولو كان سأل لتأكد من الخطأ ذلك أن هذا الاسم شائع الاستعمال ومشهور لدى التوارق[16].

إن اسم "أمود" ذو دلالات حضارية مرتبطة بالحضارة الإسلامية ذلك أن معنى اسم "أمود" هو العيد وشائع اطلاق هذا الاسم -أي العيد- بالعربية في العديد من المناطق في الجزائر بالنسبة للذكور و"عيدة" بالنسبة للإناث في مناطق الجنوب الجزائري، وكان الطوارق يسمون "أمود"، وقد جانب المؤلف الصواب بمحاولته التفسيرية هذه فماذا يقصد بـ: "أحمود"؟ لربما أحمد مضاف إليه حرف الواو وهذا مجانب للصواب كذلك ذلك أن الطوارق يسمون "أحمد" بشكل عادي ويمكن أن ينطقوا الحاء خاء لصعوبة يجدونها في نطق حرف الحاء غير المستعمل في كلامهم و تحرف إلى "أخميد" تصغيرا أو "أحميد" أو "حمد" في بعض الأحيان لأنها كثيرا ما ترتبط بمن يسمون "محمد".

وبالعودة إلى تماهق فإن الاسم مشتق من "أمود" والتي تعني العيد و"أموهد" التي تعني الصلاة ولا علاقة لها بما حاول المؤلف تفسيره أو نشره بل لا تخرج دلالات هذه الكلمة في استخداماتها اللغوية عن ثلاث دلالات وهي الصلاة والعيد والاحتفال، إذ يمكن أن تستعمل للدلالة على الاحتفال، فهذه التفسيرات لا تخدم لأنها خارج الأطر وتؤسس لأشياء غير علمية وغير موضوعية.

أمر آخر مهم بالنسبة للتفسير والترجمة وقع فيها الكثير من الجزائريون بالنسبة للتسميات لأنه ترجمها من كتابات الأوربيين الذين إن عدنا إلى طريقة نطقهم لها فإن تعد صحيحة مثل قوله "تيفينار" المقصود بها تيفيناغ وذلك لأنه لم يتكلف عناء البحث والسؤال واكتفى بترجمة حرف (R) إلى راء وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه المترجمون للتراث الجزائري من الفرنسية إلى العربية بالرغم من أنه لا ينبغي لنا أن نترجم هذه الأشياء من

الفرنسيين ونحن أصحابها وهذه تذكرنا بترجمة تامنغست أو تمنغست (Tamanrasset) كما كان يسميها سكانها وهي تسميتها الصحيحة حين تمت ترجمة نفس الحرف (R) إلى راء بدل غين، وفي موطن آخر ترجم حرف الهاء حاء فبدل أن يكتب "أهنت" وهي منطقة في أهقار كتب "أحنات" لأنه اعتمد على الترجمة وترجم حرف (H) حاء بدل الهاء، وهذه أشياء تحسب علينا لا لنا وجب علينا الوقوف عندها ودراستها دراسة موضوعية بالعودة إلى التراث والأصل وليس الترجمة ومن ثم التفسير من خارج الأطر وهذا لا يعني الاستغناء عن ترجمة الأعمال والجهود التي قام بها الغربيون لأنها دونت الكثير من الأمور والقضايا الخاصة بالتراث والتي لم تكن مدونة عندنا بسبب عدم اتساع الفنون والعلوم التي كانت معروفة للإحاطة بالعديد من زوايا تراث المجتمع.

ثانيا: طريقة التعامل مع المصادر الأجنبية: يجب التعامل بحذر مع المصادر الأجنبية وخاصة لما يتعلق الأمر بالتفسير، صحيح هذه المصادر المتنوعة مفيدة للباحث ذلك أن تلك التقارير والمذكرات التي فصلت في جوانب الحياة المختلفة في الجنوب وجدت في الجزائر عامة عمقا كان مجهولا بالنسبة لها فألفت المئات من الكتب والتقارير فقدمت خدمة للجزائريين من دون قصد فراحت تصف مختلف جوانب الحياة مستخدمة فنونا علمية شتى لم تكن معروفة عندنا وصفوا فيها كيفية التحكم في المجتمع الجزائري وكتبت الكثير من الأشياء من قبل الفرنسيين الذين لم يكونوا حينها يفكرون بأنهم سيرحلون عن الجزائر ولكن وجب الحذر لأن طريقة تفسير وربط الأمور بخلفيتها في مناطق أقصى الجنوب لم تكن دائما سليمة.

ثالثا: منهجية التفسير والتحليل: نتج عن استخدام المصادر الأجنبية أخطاء في الترجمة والتفسير والتناول كان من المفروض على الأقلام الجزائرية تصويبها بالعودة إلى أصحاب المنطقة المعنية أو محاولة الاتصال والتواصل لأنها تحسب علينا وبعضها بل الكثير منها يمكننا تصحيحها من خلال اللقاءات الجانبية أو التعقيبات أو النقاشات التي تعد فرصة خاصة للأقلام الجزائرية البحث والتأكد من نطقها السليم ونفس الشيء بالنسبة

للتفسيرات التي كانت تنقل من هذه المصادر وتحمل بعض التفسيرات غير المنطقية وغير السليمة فنجد مبالغة في التفسير والاستغراب غير المبرر إلا أن الباحث وقع في شباك التفسيرات الغربية التي من الطبيعي أن تستغرب بعض الأمور التي لا تنتمي لنفس نطاقه الحضاري بل وحرفت الخلفيات وغيرتها وتتبعها من قبل الباحثين الجزائريين أمر غير مستحسن، وعلاج الأمر يتطلب إلمام بالمزيد من الخلفيات الفلسفية والفكرية والأيديولوجية للكتاب الغربيين حتى نتسلح بها قبل الخوض في غمار ما كتبه و لا نقع في شراكه.

- الخاتمة

في ختام هذه الورقة العلمية التي حاولنا من خلالها استقراء وعرض واقع الدراسات التاريخية الجزائرية المتخصصة فيما يخص الكتابة في مواضيع المقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري وإلى أي مدى استطعنا قطع أشواط مهمة نحو الكتابة العلمية الأكاديمية وفق الأسس العلمية التي تليق بتاريخ عريق ومتجذر، هناك الكثير من التطور وخاصة مع فتح هذا التخصص والمقصود هنا تخصص التاريخ في معظم الجامعات الجزائرية فتح الباب واسعا لمساهمات ممتازة في هذا السياق بقيت بعض الإشكالات التي سنتجاوزها بتشجيع البحث المحلي لتفكيك والتغلب على بعض القضايا التي تبدو بسيطة ولكنها في الحقيقة مؤثرة مثل قضية المصطلحات وأسماء والأعلام وطوبونوميا الأماكن، وتلك النقاشات والندوات في المحافل العلمية محلية كانت أو وطنية أو دولية لم يسمح المقام بالتعرض لها ولكنها في الحقيقة مساهم فعال في إثارة الإشكاليات ولفت انتباه الطلبة والباحثين إلى زوايا نظر مختلفة كما أنها سمحت بتبادل الخبرات ووجهات النظر ومحاولة تقريبها ما يساهم في وضع أرضية واضحة المعالم لكتابة تاريخ الجزائر بأقلام وطنية وفق وجهة نظر جزائرية مثل ملتقانا هذا والذي نتمنى أن تعقد منه طبعات أخرى.

- الهوامش

1- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومة، الجزائر، **2012**، ص**765-770**.

2- إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، **2010**، ص**261**.

3- يحيى بوعزيز، **ثورات القرن العشرين**، وزارة المجاهدين، الجزائر، **2009**، ص**55-65**

4- يحيى بوعزيز، **ثورات القرن العشرين**، وزارة المجاهدين، الجزائر، **2009**، ص**378-384**.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، **2007**، ج**6**، ص**113-136**.

6- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، **2007**، ج**4**، ص**244-265**.

7- ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر - نصوص مختارة مترجمة عن حياة ونشاط أصحابها**، دار البصائر، الجزائر، **2019**.

8- ميلشيور جوزيف أوجين دوماس، **الصحراء الجزائرية دراسة جغرافية إحصائية وتاريخية 1843-1851**، ترجمة بن حرز الله بن مويزة، دار النعمان، الجزائر **2024**.

9- حسن مرموري، **الطوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين**، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، **2010**.

10- حبيب خنفار، **المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي للجزائر من 1850 إلى 1914**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الموسم الجامعي **2019-2020**.

11- سعود دحدي، **البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية 1842-1931**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي **2009-2010**.

12- أمال هاشمي، **الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي** للجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة وهران، الموسم الجامعي **2009-2010**.

13- محمد عبد الكامل حسيني، **النشاط الثقافي للحركة السنوسية في افريقيا 1787-1911م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وادي سوف، الموسم الجامعي **2021-2022**.

14- يمكن الاطلاع على أعداد المجلات ومجلداتها من خلال الأرضية الجزائرية للمجلات المحكمة (ASJP)

15-https://dergipark.org.tr/en/download/article-file/**302371**

16- كديده محمد مبارك، منهجية التعامل مع قضايا تاريخ المقاومة الشعبية في أهقار وآجر في ملتقى الفكر الإسلامي دراسة نقدية تحليلية ، مجلة الموروث، مج**2**، ع**1**، ص**91-110**.

المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (ت 1955م) وجهوده في كتابة تاريخ الواحات الصحراوية الجزائرية

الأستاذ: عبد الله بابا
مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست
جامعة أحمد دراية - أدرار



- مقدمة

يعد التاريخ ذاكرة الشعوب ومرتكز الهوية الشخصية والوطنية، والقاطرة التي تحمل منجزات الأمم الحضارية، لذلك برز لدى النخب الجزائرية وعي جمعي بأهمية تدوين التاريخ الوطني وإبرازه بكل موضوعية لفهم أحداث الماضي واستقراء جزئياته، بغية استشراف المستقبل بكل ثقة واطمئنان، وإذا كانت المدرسة الفرنسية الاستعمارية قد عملت جاهدت على تغييب تاريخ الأمة الجزائرية ومحاولة تشويهه بما يخدم مشروعها الاستيطاني، فأن هذا الأمر هو الذي دفع النخب الوطنية الجزائرية إلى تبني مشروع إصلاح التاريخ الجزائري مما لَحِق به من تشويه وطمس مارسته المدرسة الكولونيالية الفرنسية.

هذا وقد عرفت الجزائر مطلع القرن العشرين ولادة مدرسة تاريخية واعية بمفهوم الوطنية والوطن بكل حدوده (من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه)، ساهمت في تدوين تاريخ الجزائر من القديم إلى الحديث، وكان على رأس هذه المدرسة كل من الشيخ عبد الرحمن الجيلالي والشيخ مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني، وفي الواحات الصحراوية الجزائرية (توات،

تيدكلت، قورارة) برز المؤرخ والقاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (ت **1955**م) الذي كانت له كتابات متعددة في التاريخ العام والخاص ومؤلفات في التراجم، حاول من خلالها التأريخ لمنطقة الواحات (توات، قورارة، تيدكلت) بدءاً من استقرار الإنسان بها وتأسيس القصور والحواضر إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

ومن أهم مؤلفات المؤرخ البكري في التاريخ المغاربي والمحلي مخطوط "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" واختص فيه منطقة الواحات الثلاث بدراسة تاريخية عرّج فيها على مراحل متعددة وأحداث متسلسلة، وللمؤلف أيضا في التاريخ المحلي مخطوط سماه: "تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط"، موضوعه يتعلق أساساً بتأسيس مدينة تمنطيط ونازلة الإمام المغيلي، وتاريخ الواحات الصحراوية، أما في التراجم العامة فنجد له كتاب: "جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني"، ويعد هذا المخطوط من أهم كتب التراجم التي اهتمت بالترجمة للعلماء الذين برزوا خلال الألف الثاني الهجري.

وتأتي هذه الورقة البحثية لتساهم في تسليط الضوء على الإنتاج التاريخي لمؤرخي الصحراء الجزائرية بصفة عامة ولمؤرخي توات بصفة خاصة، من خلال حصر إسهامات المؤرخ والقاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري في تدوين تاريخ الصحراء الجزائرية بدراسة كتاباته التاريخية وأهميتها في كتابة تاريخنا الوطني، وعلاقات الصحراء الجزائرية بحواضر إفريقيا جنوب الصحراء، وتشكل هذه الدراسة سانحة لإبراز القصور الحاصل في كتابة تاريخ الصحراء وحواضرها واختزال تاريخ الجزائر في حقبة معينة، ولتوضيح أبعاد هذه الدراسة يمكننا طرح التساؤلات الآتية: من هو المؤرخ محمد بن عبد الكريم البكري؟ ما منهجه في كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية؟ وما قيمة إنتاجه وكتاباته في تدوين التاريخ الجزائري؟

1- المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري حياته وآثاره

ولد المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق بتمنطيط سنة **1300**هـ/**1883**م[1]، ابتدأ تعليمه الأولي في مسقط رأسه، أين حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية، ثم انتقل به والده إلى قصر كوسام لأخذ العلم على يد الشيخ والقاضي عبد الله[2] بن أحمد البلبالي، والذي لازمه لمدة ثماني سنوات اغترف خلالها من مختلف العلوم، ثم تحصل بعدها على إجازة من شيخه فيما أخذه عنه[3]، ويُذكر عنه أنه خلال دراسته كان كثير الحفظ سريع البديهية، دعا له شيخه القاضي عبد الله البلبالي بالخير عندما أنقذه من مشكلة وقعت له مع بعض الأعراب بقوله: "وعظمت الله، لئن كان العلم يؤخذ من الرؤوس فإني أعطيه لك من رأسك ورجلك"[4].

بعد رجوعه إلى تمنطيط افتتح مجلساً علمياً إلى جانب ابن عمه الشيخ سيد أحمد ديدي البكري (ت **1951**م)، وذلك قبل توليه خطة القضاء، لكنه أغلق مجلسه بعد توليه القضاء، ومما يروى عنه حبه لطلبة العلم، وهو ما جعله كثير المناقشة والتحاور مع طلبة الشيخ سيد أحمد ديدي، ويؤثر عنه أنه كان يجيبهم عن الكثير من النوازل ويفتيهم في الكثير مما أشكل عليهم[5].

تولى خطة القضاء سنة **1355**هـ/**1936**م[6] بإيعاز من القاضي أمحمد البلبالي الذي أشار على الجماعة التواتية بعد مباحثات عديدة بقوله: "القاضي المنفذ والرجل الكفء هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق"[7]، تولى قضاء المحكمة الشرعية لمدة تصل إلى العشرين سنة.

خلّف القاضي سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق العديد من المؤلفات[8]، والتي تعود فترة تدوين أغلبها إلى العشر السنوات التي تلت عودته من عند شيخه في قصر كوسام وقبل توليه خطة القضاء سنة **1936**م، حسب المصادر البكرية، ومنها:

- درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام.

- تقييد في تاريخ توات وتمنطيط.

- الكواكب البرية في المناقب البكرية.

- جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني.

- حاشية على شرح السيوطي على ألفية ابن مالك.

توفي القاضي والمؤرخ محمد بن عبد الكريم البكري بتمنطيط يوم الأحد **25** ذي الحجة **1374**هـ/ **14** أوت **1955**م[9].

3- مؤلفات المؤرخ القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري في التاريخ والتراجم

أ- مؤلفاته في التاريخ العام والخاص

- مخطوط "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام"[10]، المخطوط جاء في أكثر من مائة صفحة، تطرق فيه المؤرخ لتاريخ البلاد المغاربية منذ أيام الدولة البيزنطية إلى غاية القرن **19**م، غير أنه لم يقتصر على بلاد المغرب في تأليفه هذا بل كتب أيضاً عن فترة فجر الإسلام وفترة الخلفاء الراشدين والفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي، وفي آخر المخطوط يشير صاحبه إلى منطقة توات من الناحية السياسية والاجتماعية وعدم استقرار أحوالها السياسية، وأنها كانت في حيز الإهمال عند جل الأمراء، مما جعلها عرضة للسبي من طرف القبائل تُملك بالأسبقية فهي على حد قوله: "لا تنكأ ظالماً ولا تمنع غانماً".

- مخطوط "تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط"[11]، وهو مخطوط صغير الحجم يتكون من **16** صفحة، موضوعه يتعلق أساساً بتأسيس مدينة تمنطيط وموقف الإمام المغيلي مع يهود تمنطيط، بالإضافة إلى ذلك يتحدث صاحب المخطوط عن التطور السياسي لتاريخ توات من عهد الدولة الموحدية إلى غاية ظهور الطلائع الأولى للاحتلال الفرنسي بمنطقة توات.

ب- مؤلفاته في التراجم الخاصة والعامة

أما فيما يخص مخطوطات التراجم فهناك نوعان من التراجم هما: تراجم خاصة وأخرى عامة، فالخاصة تتعلق بالترجمة للعائلة البكرية،

والعامة ترجم فيها للعلماء البارزين في توات وبلاد المغرب، ومما اطلعت عليه في جانب التراجم الخاصة:

- مخطوط "الكواكب البرية في المناقب البكرية"[12]: يعد أهم تأليف ترجم فيه للبيت البكري، كون مؤلفه المؤرخ والقاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري اتبع طريقة التمحيص والتدقيق فيما ثبت له من الروايات أو ما وجده مخطوط من تقييد لترجم الأسرة البكرية، وفي هذا يقول: "متحيزا في ذلك أصدق رواية معقولة وكتابة منقولة، مباحثا في ذلك الدواوين الثابتة والتواريخ الراجحة، مجتهدا في تحرير ذلك مدة تنيف عن عشر سنين"[13]، وقد قسم هذا الكتاب المتكون من اثنين وستين صفحة إلى فصول، ابتدأها بذكر نسب الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم، وتعد شخصية سيد البكري من أكثر الشخصيات دراسة في هذا المخطوط بين الأعلام البكريين الذين ترجم لهم المؤلف في الكواكب البرية.

- مخطوط "جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني"[14] يعد من أهم كتب التراجم التي اهتمت بالترجمة للعلماء الذين برزوا خلال الألف الثاني الهجري، ومما يميز هذا المخطوط هو العدد الكثير الذين ترجم لهم إذ بلغ عددهم حسبما أحصيته مائة وثلاثة وتسعين عالماً وفقيهاً من مختلف المناطق منهم: التواتيين والفاسيين والجزائريين والأندلسيين والمصريين والطرابلسيين... وغيرهم، ولهذا المخطوط دورا كبيرا في التعريف بعلماء الصحراء الجزائرية، وأضحى بذلك مصدراً هاماً للمؤرخين حول منطقة توات.

4- الكتابة التاريخية عند المؤرخ محمد بن عبد الكريم البكري

أ- مفهوم التاريخ عند المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري: بحكم تكوين المؤرخ في المدارس الفقهية التواتية وانتمائه إلى بيت القضاء بتوات، وهو ما أثر في فكر المؤرخ أثناء تعريفه للتاريخ، فقد أتى في البداية على التنويه بفضل دراسة علم التاريخ، والذي أنزله منزلة العلوم وليس الفنون، وبيّن أن هذا العلم يحمل مواعظ وعبر نستخلصها من الوقوف

على أحوال الأمم الماضية، ومما جاء في ماهية علم التاريخ لديه قوله: "ثبت عند أكابر الأئمة أن علم التاريخ من أجلِّ العلوم قدرًا وأرفعها منزلةً وذكرًا يَعْتَبِرُ فيه الآخر بالأول ويُتحرى عند ذلك السبيل الأفضل... واحتج تعالى على أهل الكتابين بالتاريخ فقال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)... وبمعرفة أيام الناس يتضح الحال فيطرد باطراده وينعكس بانعكاسه ولهذا اختلفت فتاوى الفقهاء أئمة الإسلام على حسب الأعصر والأقطار والأشخاص والأحوال حسبما سميت ملتنا بالحنفية السمحاء... وبالجملة فعلم التاريخ من الأمور المهمة في الإسلام لا كما قيل علم لا ينفع وجهالة لا تضر"[15].

- **دوافع الكتابة التاريخية**: يبدو أن الكتابة التاريخية التي أقبل عليها المؤرخ لم تكن وليدة صدفة أو هواية، وإنما كانت هناك دوافع محددة أبرزها المؤلف في بداية مخطوطاته خاصة منها درة الأقلام والكواكب البرية، ومنها: التَّعَرفُ على أخبار الأولين من الأمم السابقة، وأيضاً ضرورة إلمام القاضي بحياة الناس السابقة، لأن الفتوى حسبه تتغير حسب الزمن والمكان والأشخاص وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة أحوال من يتقضى عليهم وتاريخهم وتركيبتهم الاجتماعية، وأخيرا أقرَّ أن دراسة التاريخ تعد من الأمور التي حث عليها القرآن الكريم وهو ما جاء في قوله: "هذا كتاب درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، أبين فيه تواريخ أولي الألباب امتثالا لقوله تعالى: (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)"[16] كما أنه أوعز لسبب آخر هو أن من سبقه من علماء وفقهاء بيتهم لم يكلفوا أنفسهم جهدا لكتابة تاريخ العائلة، إلا محاولة محتشمة من قبل الشيخ البكري بن عبد الكريم بن سيد البكري (المتوفى في آخر القرن **12**ه/**18**م)، وهذه الدراسة نقدها وبين عيوبها ومآخذها[17].

5- منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ محمد البكري

انعكست بصورة واضحة شخصية القاضي على الكتابة التاريخية لديه، وذلك أن المؤرخ محمد بن عبد الكريم البكري قد وظف تكوينه الفقهي في كتابة تاريخ الواحات الصحراوية وحاضرة تمنطيط وتاريخ عائلته،

معتمداً على الرصيد الوثائق الذي تكتنزه خزانتهم، لكن نجده يستعمل هذا الرصيد بحذر موظفا طريقة علمية منهجية وذلك بنقد مصادره مع تحليلها ومقارنتها للوصول إلى الحقائق التاريخية، ومما ذكره في هذا الباب قوله: "متحريا في ذلك أصدق رواية معقولة وكتابة منقولة، مباحثا في ذلك الدواوين الثابتة والتواريخ الراجحة، مجتهدا في تحرير ذلك مدة تنيف عن عشر سنين لازدياد التحقيق واليقين، فما وجدناه صحيحا عندنا أو عند من يوثق به من غيرنا جمعنا عليه البراجم، وما لم يقم له دليل نقلي أو عقلي رمينا به من وراء المحاجم، ولم نأل جهدا في التحقيق والتنقيح والتدقيق، وربما اعتمدت ما وجدت في خزانة أسلافنا من التقييدات الفاشية، والطرر القديمات المتلاشية لما ثبت عند الأئمة (أن رب الدابة أولى بمقدمها)... لكن لم يتصد لجمع ذلك منهم أحد ولا جنح له بموجود ولا مدد سوى النحوي سيد البكري بن الشيخ ابن البكري أخو جدنا القاضي الشيخ سيدي عبد الحق، لكن جمع ذلك بلا تهذيب وكتبه بلا ترتيب وضرب في كثيره ضرب عشواء وركب متن عمياء، ومع ذلك ما ترك أكثر مما سبك، وبالجملة فهو من جملة التقييدات المحتوية على الغث والسمين، جزاه الله عنا وعن سائر أفراطنا خير الجزاء"[18].

6- نظرة المؤرخ محمد بن عبد الكريم البكري الشمولية لأحوال العالم الإسلامي

يبدو أن المؤرخ محمد بن عبد الكريم لم يكن حبيس حدوده القطرية في صناعة تاريخ الواحات بل يظهر من كتاباته العكس، فقد استطاع أن يحدد لكل قرن من القرون الأولى للألفية الثانية الملامح والمعالم الكبرى المؤثرة في حركية التاريخ، بداية من القرن التاسع الهجري، على النحو التالي:

أ- أحوال آخر المائة التاسعة الهجرية: وصف المؤرخ بأن العالم الإسلامي خلال هذا القرن شهد تراجعا كبيرا في مكانته وقوة دوله التي وصلها الذل والهوان وانكمش عمرانها وتعرضت للغزو الأجنبي باحتلال بلدانه، وبذلك انقلب العالم رأسا على عقب، ومنه قوله: "واعلم أن آخر هذه المائة التاسعة تبدلت الأمور وظهرت الشرور ونسخ الكثير من عوائد الناس ومألوفاتهم

وكأن الدنيا قد انقرضت بأسرها وانطوى كثير من محاسن العمران وانسحب على جل الناس جلباب الذل والهوان وجاء ذلك لدول الإسلام على حين هرمها... واشرأبت ملل الكفر لاستقبال الأزمان وهاجموا على المسلمين في أعز الأمكنة والمواطن وشاركوهم فيما كانوا مختصين به من البلدان وإذ تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله..."[19].

ب- أحوال مطلع القرن العاشر الهجري: وفي بداية القران العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ذكر المؤرخ بأن بلاد المغرب تعرضت للاحتلال الفرنجي (الاسباني)، وأيضا بروز دولة آل عثمان في المشرق كقوة لا مثيل لها خاصة في عهد سليمان بن سليم الأول، الذي قاد جيوشه نحو بلاد المغرب الأدنى والأوسط، وكاد أن يضم الأقصا، ومنها قوله: "وفي صدر المائة العاشرة ظهرت أمور عظام منها ظهور أجناس الإفرنج بالديار المغربية واستيلاؤهم على غورها بما لم يعهد مثله قبله، ومنها ظهور دولة آل عثمان من الترك بالديار المشرقية الظهور الذي لا كفء له لا سيما في دولة سلطانهم الأعظم وخاقانهم الأفخم سليمان بن سليم خان فآنذاك أكثر المعمور وقام بدعوته من الأمم الجمهور وهاجت عساكره المغربين الأدنى والأوسط، فاستولى عليها وكاد يتناول الأقصى ويضيفه إليها"[20].

ج- أحوال القرن الحادي عشر هجري (السابع عشر الميلادي): تميز بظهور أشياخ يقتدى بهم في الصلاح والزهد ومنهم الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، ومولاي عبد الله الشريف الوزاني الذين أنزلهم منزلة الصحابة في القرن الهجري الأول لورعهم وصلاحهم، ومنه قوله: "ومنها ظهور الأولياء وأهل الصلاح وأرباب الأحوال والجذب في بلاد المشرق والمغرب... ومع هذا فقد ميز الأشياخ المقتدى بهم في القرن الحادي عشر، وظهروا ظهور الشمس وانتخلوا من جملة أهل الدعاوي وأطبقت الأمة على أنهم أئمة كالشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي بالصحراء المتوفي سنة **1013**ه والشيخ مولانا عبد الله الشريف الوزاني بالمغرب الأقصى... وغير هؤلاء من الأئمة المقتدى بهم في كل زمان شرقا وغربا فأظهر الله تعالى على أيديهم من الخوارق والكرامات والدلائل القاطعة بولاياتهم ما يعجز عن

الحصر وكانوا مفتاحا لهذه الألف الثاني على قدم الصحابة في الألف الأول من هذه الأمة... وقد رروا الأمور أحسن تقرير وحذروا وبشروا وأووا ونصروا وكل منهم على علم خصه الله به"[21].

7- ما دونه المؤرخ عن تاريخ الواحات الصحراوية (قورارة- توات- تيدكلت):

أ- تحديد معالم الواحات الصحراوية لتوات: أبرز المؤرخ الحدود الجغرافية لمنطقة توات وواحاتها، والمسافة التي تفصل بينها وبين مختلف الأقاليم بذكر المدة التي يقضيها المسافر، وجاء وصفه لها بأنها أرض صحراوية لكن بها حياة لوجود الماء والتمور والأشجار المتنوعة بقوله: "توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جوفا وغربا عشرون يوما لأول السودان ومن أغدامس عشرون يوما ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع إسراعا لبلد الأبيض سيد الشيخ"[22].

ب- مصطلح "توات" واشتقاقه: أوعز المؤرخ اسم توات إلى عملية جباية الأموال التي فرضتها الدولة المرابطية على سكان الواحات ولأن أمر الأتوات لم يكن مقبول لدى السكان وربما صاحبته مناكفات، لذلك التصق الاسم بالمنطقة حسب المؤرخ، ففي سنة **518**ه/**1124**م بعث عبد المؤمن بن علي قائده علي بن الطيب لقبض الأتوات، ومما يعضد هذا ما جاء به في قوله: "حكى عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طالبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أثمار الكروم ففعل ثم باعه السلطان للبدو النازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلا ووزنا على حسب التخريص فعرف أهل هذا القطر بـ"أهل الأتوات" وهذه الرواية أصح... فصار هذا الاسم علما على هذا القطر الصحراوي من "تبلكز إلى عين صالح"[23]، وفي رواية أخرى أورد أن اسم توات صناعة زناتية وذلك أنهم لما بلغوا منطقة توات في رحلتهم وجدوها

أرض صالحة للاستقرار وهي بعيدة عن السلط الزمنية في شمال بلاد المغرب، ومنها قوله: "قالوا: لما نزلت زناته بأرض توات قالوا تواتي للسكنى"[24].

ج- الحالة العامة للواحات الصحراوية (بلاد السيبة): أشار المؤرخ إلى أن توات بلد وصلته العجمية قبل الإسلام، وأن سكان هذا الإقليم على المذهب المالكي، وهو بلد ضعيف اقتصاديا ولا يمكنها أن يقف في وجه أيُّ قوة غازية أو سلطة أرادت أن تفرض نفسها، لذلك أصبحت توات تملك بالأسبقية، في أن تتسابق القوى لإخضاعها من أجل تأمين قوافلها التجارية، أما حال أهلها فهو من حال اقتصادها الضعيف، والذي بدوره انعكس عليهم بانتشار الفقر وقلة ذات اليد، وهو سبب مباشر في انتشار الزهد والصلاح حسب قول المؤرخ: "مع أن توات بالنسبة لغيرها لا تنكأ ظالما وتمنع غانما، وهي أضعف بلاد المغرب قاطبة غالب أهلها ضعفاء متضعفون ولغلبة ضعف أهله وهضم قوة النفوس بها كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب، كل أناسها على المذهب المالكي واقتباس علمائها من علماء مصر وفاس والأندلس لأن الجميع إقليم واحد بالنسبة للأقاليم السبعة"[25].

د- فتنة يحمد وسفيان بالواحات الصحراوية: نظرا لعدم وجود سلطة فعلية في المنطقة فقد أدى ذلك إلى ظهور الغارات والاعتداءات، والأخطر من ذلك الفتن الداخلية التي كادت أن تتحول إلى حرب أهلية، وقد عرفت الفتنة التي قسمت قصور توات إلى فئتين باسم فتنة "يحمد وسفيان" والتي لم تتوصل الدراسات بعد إلى سبب اندلاعها ولا إلى كيفية اصطفاف قصورها ضمن فئتين، ناهيك عن دوافع تشكل الأحلاف بين جماعات القصور والقبائل البدوية، لكن المؤكد أن السبب ناتج عن الصراع على السلطة في ظل غياب سلطة تكبح هذه الصراعات التي استمرت كذلك في العهد الفرنسي، لكن تشير الدراسات أن بوادرها ظهورها كان مع الهجرات العربية إلى المنطقة وربما هي التي جاءت بفكرة الصراع، كتمثيل للصراع القيسي اليمني، ويؤكد المؤرخ ذلك بقوله: "فاكتنفتهم عرب المعقل أولاد أمحمد وغيرهم وتقوى واستعان بعض زناته بالعرب على بعض، وأضرمت نار

الحرب بينهم وصالت العرب... فكتب العامل أن أهل الصحراء اشتدت الحرب بينهم مثل الحرب الواقع بين أحمد صلى الله عليه وسلم وأبي سفيان... ولشهرة الحرب الواقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي سفيان رئيس قريش في صدر الإسلام قبل إسلام أبي سفيان رضي الله عنه فسمى بذلك "يحمد وسفيان"، وقيل يحمد تصحيف يحي وسفيان قبيلة من البربر تحارب يحي، والأول أشبه، فصارت عداوة يحمد وسفيان مختصة بالبلاد التواتية"[26].

ثم أن أهل تيميمون كانوا من فئة يحمد وعندما تخالفوا مع أولاد محمد انضموا إلى فئة سفيان، "ومن تمام السياسة أن كل فئة اتخذت عضوا من غير أهل توات ففئة يحمد منضمة لعرب "ذوي منيع والطوارق" وفئة سفيان منضمة لعرب "الغنانمة والشعانبة" والبرابر تستعان بهم الفئتان، فكل فئة تغريهم مرة على ضدها"[27].

هـ- استمرار الفتنة بالواحات بعد الاحتلال الفرنسي: رغم أن فرنسا قامت بتوحيد نظام القضاء وقياد العروش بإلغاء فكرة أن يكون لكل فئة قضاتها وقيادها، إلا أن فتنة يحمد وسفيان استمرت في نخرها للمجتمع التواتي، وكأن الحال بين السكان أشد مما هو على العدو الفرنسي، وهذا ما جاء به في قوله: "والعجب كل العجب أن تجد بلدين مختلط النخيل والمرافق بحيث يسمع كل واحد نداء مؤذن الآخر ويتعصب واحد بفئة يحمد والآخر بفئة سفيان، وأعجب منه يجتمع الشخصان لم ير أحد الآخر قط فإذا أخبره أنه من فئة سفيان كرهه أشد الكراهة حيث كان هو من فئة يحمد، ولعمري أن ذلك لعداوة شيطانية وأراء ظلمانية"[28]. والحال أن المؤرخ خلص إلى إن إقليم توات رغم انتشار الزوايا به والصالحون والزهاد إلا أن الصورة القاتمة تُظهر انتشار التعصب والعداوة، بقوله: "وهو قطر كثيرة زواياه عظيمة رزاياه بأسهم بينهم شديد وأفعاله بينهم أفعال جبار عنيد ألفت أهواءهم عداوة التعصب واشتدت كل فرقة كشد الطنُبُ"[29].

و- تعمير الواحات الصحراوية: يذكر محمد بن عبد الكريم آلية تعمير توات من طرف القبائل الأمازيغية ثم العربية، ويرجع الأمر أن القبائل

الأمازيغية كانت تنزل بهذه المنطقة بقصد رعي مواشيهم، متخذين مساكن مؤقتة، في وقت كانت تمنطيط وبعض القصور قد أسست، وأن كل القصور لم يصلها الجنس العربي بعد ولا الإسلام، وأن ما ساعد على التعمير، هو تغيير واد الساورة لمجراه في منطقة فم الخنق إذ تحول مجراه ناحية عروق الرمال: "فلما أراد الله بعمارة توات انكسر الواد في موضع يقال له الخنق فشق الجبل وانعطف يمينا في رمال كثيرة واتخذ مجرى تحت الجبل وسار تحت قصور توات إلى تمدانين من بلاد رقان حيث دخل في مجراه الأول وسار إلى أرض السودان"[30].

انفرد المؤرخ برواية أن حاضرة تمنطيط أسسها الأقباط في عهد الفراعنة وهم من جلبوا لها نظام الفقاقير وذلك قبل **700** من الميلاد، كما يذكر بأن المنطقة عمرت قبل الإسلام ثم خربت ثم عمرت مرة أخرى، وهذا بقوله: "أن مدينة تمنطيط قديمة جدا ويوجد في بعض التقاييد القديمة أنها كانت عامرة في عهد الفراعنة ومن سكانها القبط وهم المهندسين لبنائها فحفروا الفقاقير ثم شيدوا عليها البلاد، وإلى الآن نجد الكثير من قصورها يجري تحتها ماء الفقاقير، وعمارتها الأخيرة -التي هي عليها الآن- كانت من سبعمائة سنة قبل الهجرة، وكانت متصلة من نوم الناس إلى أقبو غير أن تعاقب الزمان غير من مجراها التاريخ وفي هذا إشارة إلى أن قصور توات كانت عامرة قبل الإسلام ثم خربت، مع أننا نجد في تقاييد أخرى أن القطر التواتي قبل الإسلام فقر لا عمران فيه، ومن خلال الدراسة يتبين لنا أن الروايتين صحيحتين"[31].

أما عن مدن الواحات الكبرى فقد جاء على تفصيلها بحيث ذكر أن مركز ثقل توات هو في المدن الرئيسية الثلاث (بودة وتيمي وتمنطيط) المتصلة مع بعضها والتي كانت مستقرا لقاضي الجماعة، والذي يبدو أن منصبه كان هو السلطة الفعلية الوحيدة المتعارف عليها. ثم ذكر واحة تيدكلت ووصف قيادها بأنهم أهل سياسة وقوة وذكاء، أما واحة قورارة فذكر عنها أن مركزها في مدينة تيميمون، وميزتها بين الواحات أنها الأكثر سكانا، وما ورد في هذا: "بودة وتيمي وتمنطيط، فهذه القصور قاعدة توات

لم يزل سكنى قضاة الجماعات بإحدى هذه القصور الثلاثة من لدن تقررت الأحكام الشرعية إلى هلم جرا، ورؤساء هذه الواسطة أهل سياسة وقوة وجأش وذكاء، ورؤسا تيدكلت قبلة توات أهل فخر وخيلاء، وقوة توات وكثرتها في جورارة، وقاعدة جورارة تيميمون"[32].

ز- استقرار قبائل زناته الأمازيغية بالواحات وتأسيس القصور:
حسب المؤرخ؛ فإن الهجرة الأكبر للقبائل الزناتية المغراوية إلى توات كانت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وأن سبب هجرتهم كان نتيجة لسقوط دولتهم وتخريب مدنهم من طرف الفاطميين والمرابطين وقتل أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي صاحب سجلماسة، وفي رحلتهم استقروا في منطقة بودة على حواف واد مسعود والذي كانوا اختبروه من قبل في انتجاعهم السنوي، ومما ورد في ذلك قوله: "ثم لما انكسرت دولة زناته بالمغرب في القرن الرابع فروا هاربين قد انهكتهم الحروب، فسقوا الماء من سجلماسة وأوكوا الأوعية وسعوا لجهة القبلة شاردين لا يستهدون لمنهل ماء ولا يقيمون لرعي كلاء فلما تمت لهم بثلاث عشرة رحلة من سجلماسة نزلوا بأرض بودة ووجدوا مجرى واد قير قد جف استراحوا ثم اختبروا الوادي فوجدوا قد اتخذ طريقا آخر وآمنوا من عوده للمجرى الأول استأنسوا بالموضع... ثم حفرا بير وجعلوا ساقية وحرثوا بعض الفواكه والخضر واتخذوا واد مسعود مرعى لمواشيهم وجالوا في صحراء توات شرقا وغربا فظهر لهم سكنى الأرض فبنوا وغرسوا وصفت قصورهم على شفير مجرى الوادي ذاهبين قبلة إلى تمنطيط"[33].

وبعدما استقروا على حواف واد مسعود وطاب لهم المقام انطلقوا في تشييد القصور، منها: قصر وجّ ووذرار ودب وبموسى وثَرْبْزُ وزرزم وأمغر ويوسف وولمغر وبنور وسعد الله ويحي ومحمد وطانفة والملح والسبخة وبزان ومسف وأنكوس ولودى وقصر الجير وأم اصباح وأمكد ومكرْ وغرمنن وتورير وأقبور وأصرفات وقصر امبارك بن موسى وعلوش وجايش وزرران وقصر الشيخ بوحفص وأزقور والشارف وتيط وتهق وغرم أقبور وتصقغ[34].

أما الهجرة الثانية للقبائل الزناتية المغراوية فكانت بعد استيلاء المرابطين على حاضرة سجلماسة، نتج عنها هجر العديد منهم إلى منطقتي قورارة وواد الحنة، حسب الجدول التالي:

اسم القبيلة	تاريخ استقرارها	اسم القبيلة	تاريخ استقرارها
أولاد بن عبد الجليل	**501**هـ	أولاد عبو سنة	**609**هـ
أولاد عياش	**502**هـ	أولاد الصابون	**640**هـ
وأولاد خير الله	**516**هـ	أولاد عليش	**650**هـ
وأولاد بن يدِّير	**520**هـ	البرامكة	**656**هـ
أولاد الحسين	**528**هـ	أولاد عثمان	**668**هـ
أولاد بن سليمان	**531**هـ	أولاد علي	**673**هـ
قبيلة زكوان سنة	**536**هـ	المحاجيب	**675**هـ
الشرفاء الحموديون	**550**هـ	قبيلة أخروم	**698**هـ
وأولاد أحمد عزي	**608**هـ		

ح- هجرات القبائل العربية إلى الصحراء: بعد استقرار القبائل الزناتية بالمنطقة وتنافسها على الحكم أدى ذلك إلى حروب وصراعات داخلية، ومما زاد من تأزم الوضع توافد قبائل عربية على المنطقة خاصة من قبائل المعقل، ويقول: "ونزلت عليهم العرب أفواجا أفواجا في أزمنة متباعدة أولاد محمد والخنافسة وأولاد طلحة وأولاد أعيش وأولاد بحم وأولاد عمر ملوك وأولاد أملوك وأولاد غانم وأولاد ريم وأولاد... وأولاد أحريز وأولاد منصور وكافة أكدوع وأولاد زنان وغيرهم من عرب المعقل كأولاد الحاج وأولاد عائد وغيرهم ممن نزل بهم من عرب الساحل"[35].

ويبدو أن عامل السلطان الموحدي المسعود بن ناصر قدم إلى الصحراء لأخذ البيعة والأتوات وذلك في آخر عهد الدولة الموحدية أين اختل حالها وضعفت، فوجد معارضة من أعراب منطقة أمكيد والمبروك بقورارة؟ وفي سنة **666**ه رجع إلى الصحراء ومعه جيش من **120** فارس فجاءه أعراب امقيدن يطلبون العفو والصفح فأمنوه ثم غدروه ليلا وقتلوا **25** رجلا من أعيان الجيش ووقعت حرب بين عرب أمقيدن والجيش المكون من زناته وواد الحنة وأهنت كانت نتائجها كارثية من ناحية عدد القتلى الكبير، وبعدما ضعفت الدولة الموحدية شهدت الواحات نوعا من عدم الاستقرار فرجع الأمر فيها للأعراب التي قالت نحن أحق بالأتوات فمن سلمهم أياها سلم ومن منعهم حاربوه" وعظمت شوكتهم على زناته واستظلت زناته بالعرب"[36].

ط- أحداث هامة أرّخَ لها محمد بن عبد الكريم البكري:

- نازلة المغيلي: جاء المؤرخ على تاريخ نزول المغيلي الأول والثاني بتمنطيط وقصته مع اليهود بها، وحادثة مقتل ابن المغيلي محمد عبد الجبار على يد الترك الذين استنجد بهم اليهود، كما ذكر ذلك في التقييد بقوله: "ثم أن اليهود الذين فروا من تمنطيط وقصدوا طرابلس اشتكوا للباي وادعوا أنهم أهل ذمة وظلموا، فبعث ولده في جملة عسكر وعشرة من العلماء سنة تسعين وثمان مائة هجرية (**1485**م) فلما طاف الترك بتوات وأظهر لهم ولد الشيخ بن عبد الكريم بشرية الرياسة قتلوه". ثم بيّن صدامه مع قايد تمنطيط عمرو بن عبد الرحمن عندما عاد المغيلي من السودان الغربي لإخراج اليهود من تمنطيط مرة ثانية[37].

- أشار المؤرخ إلى امتلاك عائلتهم "البكرية" لنسخة من المصحف الكريم[38] منسوخة من مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان بتاريخ **27** محرم **727**هـ/**23** ديسمبر **1326**م كتبه شيخ الشيوخ بالديار الأندلسية أبي العباس سيد أحمد علي بن أحمد العبدري الملقب بابن خليفة[39].

- كما أرّخ محمد بن عبد الكريم إلى حادثة إدخال نسخة مخطوطة من مختصر خليل عمدة المذهب المالكي إلى حاضرة توات وذلك في سنة **900**هـ/**1494**م عندما وقعت بين الشيخ ميمون بن عمرو وبعض فقهاء الصحراء مراجعة في نازلة فقهية، دفعته بعد تكذيبه إلى التوجه إلى حاضرة فاس، أين اشترى مختصر خليل بأربعين مثقالاً من الذهب، وجاء به إلى توات فكان أول من أدخل مختصر خليل للصحراء[40].

- كما أنه في مخطوط جوهرة المعاني ترجم المؤرخ لأكثر من **20** عالما برزوا في منطقة الواحات خلال الألف الثانية ضمن ترجمته لعلماء الجزائر وفاس والأندلس، وأوصلهم بهذا التصنيف إلى منزلة العلماء.

- بين المؤرخ البكري أن الاحتلال الفرنسي لما ضرب أطنابه في تيدكلت تحرك قياد توات كل في طريقه لمحاربة العدو حسب الفئة التي ينتمي إليها (يحمد أو سفيان)، وأن قايد عرش بودة محمد عبد القادر بن الحاج عبد القادر[41] رفض الرضوخ للاحتلال الفرنسي، وتوجه إلى السلطات المغربية من أجل نجدته ومساعدته بقوات، لكنه لم يجد ما كان يأمله وخابت آماله، مما دفعه إلى التوجه إلى قبائل بدوية من الغنانمة وعقد معهم اتفاقاً على مساعدته بمقابل مادي، ولم يستطع القايد محمد عبد القادر بن الحاج عبد القادر الوصول بجيشه إلى توات نظرا لمصادفته لفرقة استطلاعية تجوب منطقة شروين بقيادة النقيب "بان" حيث التحم الجيشان في موقع عميرة بالقرب من شروين يوم **23** فبراير **1901**م تكبد خلالها العدو خسائر بشرية ومادية، ثم عندما ضعفت قوته وقلّ عتاده توجه بنفسه إلى القوات الفرنسية مستسلما، وجاء في قول المؤرخ: "ثم لما يئس سار بنفسه إلى ...الدولة الفرنساوية فقبله وأمنه"[42].

- الخاتمة

في نهاية الدراسة يمكن القول أن المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري بكتاباته التاريخية حول تاريخ الواحات الصحراوية (توات، قورارة، تيدكلت) وبلاد المغرب قد ساهم في الحفاظ على الذاكرة الجماعية،

ورسم الخطوط العريضة لأحداث هامة مرت على المنطقة من التأسيس إلى الاحتلال، كما تعد كتاباته مصدرا هاما لا يمكن تجاوزه في الحديث عن حواضر الصحراء الجزائرية، وهو الذي أرّخ للتعمير والبناء والإنتاج العلمي الذي وسمت به الواحات الصحراوية التواتية، وبعد الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج منها:

- تميزت كتابات المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري بالجدية والأمانة العلمية.

- وعي المؤرخ محمد بن عبد الكريم بأهمية الكتابة التاريخية في مجال الحفاظ على الذاكرة الجماعية بصفة عامة، وأيضا المحافظة على منجزات عائلتهم العلمية، كما بين أهمية التاريخ لدى من يتولى خطة القضاء لمعرفة أحوال الناس وطبائعهم.

- هناك كتابات استعمارية عن الواحات ليس من السهل تجاوزها أو القفز عليها، في غياب الدراسات المصدرية الجزائرية التي شكل فيها المؤرخ البكري الاستثناء بتقديمه البديل في مجال الكتابة حول الواحات الصحراوية.

- كتابات محمد بن عبد الكريم البكري حفظت لنا أحداث هامة من تاريخ توات وواحاتها، رغم وجود فراغات وأحداث مغمورة التي لازالت تحتاج إلى مصادر وثائقية لمعالجتها وسد ثغراتها.

- لم يكن الباحث منغلق ضمن حدود منطقته فقد كتب عن بلاد المغرب الإسلامي وترجم لعلمائها وعلماء الأندلس والسودان الغربي.

- تمثل كتاباته حول منطقة الواحات وحواضرها مصدرا شاملا للمراحل التاريخية لهذه الحواضر من التأسيس إلى الاستعمار.

- الهوامش

1- عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، الجزائر، **2010**، ص**189**.

2- هو الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ أحمد الحبيب ولد بكوسان سنة **1250**هـ/**1834**م، تتلمذ على يد والده الشيخ أحمد الحبيب، وأخذ عنه ابنه القاضي أبو زيد عبد الرحمن وابن أخيه القاضي محمد بن أمحمد والقاضي محمد بن عبد الحق البكري الذي حلاه بقوله: "أستاذي وملاذي ومنتهى ودادي ونور فؤادي وغاية مقصدي وعنصر مدادي" توفي بكوسام سنة **1329**هـ/**1911**م. أنظر ترجمته: محمد بن عبد الكريم البكري: جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، الخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر، ص ص**26**، **27**؛ عبد العزيز سيد أعمر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومه، الجزائر، **2002**، ص**43**.

3- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص**191**.

4- المرجع نفسه، ص**190**.

5- المرجع نفسه، ص**191**.

6- استخلصت هذا التاريخ من سجلات القضاء الشرعي، التي بيد حفيده الشيخ الحاج عبد الرحمن بكراوي.

7- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص**191**.

8- توجد نسخة لكل مخطوط من مخطوطاته بخزانة أولاد القاضي بتمنطيط.

9- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص**192**.

10- توجد نسخة من المخطوط محفوظة بخزانة أولاد القاضي بتمنطيط.

11- توجد نسخة منه بخزانة أولاد القاضي بتمنطيط.

12- توجد نسخة منه بخزانة أولاد القاضي، بتمنطيط.

13- محمد بن عبد الكريم البكري: الكواكب البرية في المناقب البكرية، خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر، ص**1**.

14- توجد نسخة منه بخزانة أولاد القاضي بتمنطيط.

15- محمد بن عبد الكريم البكري: درة الأقلام في أخبار المغرب بع الإسلام، خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر، ص**102**.

16- المرجع نفسه.

17- محمد بن عبد الكريم البكري: الكواكب البرية...، المصدر السابق، ص**1**.

18- المرجع نفسه.

19- محمد بن عبد الكريم البكري: درة الأقلام...، المصدر السابق، ص**102**.

20- المرجع نفسه.

21- المرجع نفسه، ص**103**.

22- المرجع نفسه، ص**102**.

23- المرجع نفسه.

24- المرجع نفسه.

25- المرجع نفسه.

26- المرجع نفسه.

27- المرجع نفسه، ص**103**.

28- المرجع نفسه، ص**102**.

29- المرجع نفسه.

30- المرجع نفسه.

31- المرجع نفسه، ص**100**.

32- المرجع نفسه.

33- المرجع نفسه.

34- المرجع نفسه.

35- المرجع نفسه، ص**104**.

36- المرجع نفسه، ص**102**.

37- محمد بن عبد الكريم البكري: المصدر السابق، ص ص**3**، **4**.

38- يتميز هذا المصحف بهندسة بديعة كل آية مشكولة بشكل مثلث وكل خمس آيات مشكولة بشكل الهاء الواقفة، وكل عشرة آيات مشكولة بشكل خاتم مدور مستعملاً ألوان حمراء وصفراء وخضراء تسر الناظرين، وقد أحضره الشيخ عمرو بن محمد معه من مدينة فاس إلى توات وعندما سافر إلى بلاد الساحل خلفه عند ولديه ميمون والتهامي بتمنطيط. أنظر: محمد بن عبد الكريم البكري: الكواكب...، المصدر السابق، ص**27**.

39- المرجع نفسه.

40- المرجع نفسه، ص ص**13**، **14**.

41- تذكر الروايات أن هذا القايد بعدما استسلم للقوات الفرنسية، أقرته على منصبه السابق إلا أنه لم يستمر به كثيرا حيث دس له السم ومات من التأثر به يوم **1** محرم **1318**هـ. أنظر: محمد العالم بكراوي: الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، د ر، الخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، ص**160**.

42- محمد بن عبد الكريم: المصدر السابق، ص**7**.

الوعي التـاريخي والقنـاعات الوطنية
في مؤلفـات المؤرخ محفوظ قداش

الأستـاذ: عبد الوهـاب شلالي
الأستـاذ: عبد الحفيظ عبد الحي
جـامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة

- مقدمة

انطلاقا من عنوان الملتقى "الذاكرة التاريخية وإشكالية كتابة التاريخ الوطني"، تناولت في هذه الورقة البحثية جهود بعض المؤرخين في تدوين التاريخ، الذي يعد من الموضوعات الاستراتيجية للدولة الجزائرية للحفاظ على الموروث التاريخي الوطني وعلى الذاكرة الوطنية.

وإذا كنا نقر بأننا بعد **60** سنة من الاستقلال، لا يزال تاريخ بلدنا في حاجة لإخضاعه للدراسات والأبحاث الأكاديمية العلمية، وأن: "تدوين التاريخ يعد من الموضوعات الاستراتيجية للدولة الجزائرية لحفاظها على الموروث التاريخي الوطني وعلى الذاكرة الوطنية"، وأن: "الكتابات التاريخية الجزائرية كانت استجابة لبناء وعي تاريخي، والذاكرة الجماعية للأمة، ومواجهة التشويه والتزييف لتاريخ الجزائر من الأطروحات الاستعمارية"، وبالتالي يقوم: "التوجه الجديد للدولة الجزائرية على ضرورة كتابة تاريخنا الوطني بما يتماشى مع أهدافها الاستراتيجية، وتحقيق المناعة الحضارية، وصيانة الهوية الوطنية، وتحصين الأجيال بالوعي التاريخي"، فتجدر بنا العودة إلى المحاولات الجادة التي تميز بها الرعيل الأول من المؤرخين

الجزائريين، من أمثال سعد الله ومحفوظ قداش، والاستئناس بما قدموه من دراسات أكاديمية حول تاريخ بلدنا، وليس الانطلاقة من الصفر. لأن تلك التراكمات المعرفية مفيدة لجيل الباحثين الشباب في الجزائر الجديدة، للبناء عليها والانطلاق نحو التأريخ لماضينا المشرّف بكل موضوعية وجديّة، والتحلي بالمصداقية العلمية.

وقد وضعنا لهذه الورقة البحثية العنوان التالي: "الوعي التاريخي والقناعات الوطنية في مؤلفات المؤرخ محفوظ قداش"، والذي يندرج ضمن المحور الثاني من محاور الملتقى والمعنون بـ: "واقع الدراسات التاريخية في الجزائر وجهود بناء مدرسة تاريخية وطنية"، ذلك أن البحث في أعمال المؤرخ قداش، والوقوف على آرائه واستنتاجاته حول تاريخ الجزائر، الذي ألف فيه ما يربو عن **14** كتابا، وعددا من الدراسات التي شارك بها في ملتقيات أجنبية، أو نشرها في مجلات علمية أو مؤلفات مشتركة، تكشف لنا منهج الرجل في كتابة التاريخ، والذي بناه على المصادر الأرشيفية، بمقاربتها وتحليلها ودعم استنتاجاته بها.

ويمكننا القول أن أعمال المرحوم قداش، ساهمت في تأصيل مفهوم الهوية الوطنية، والذاكرة التاريخية، وبالتالي إدراجها ضمن الوعي الجمعي الذي تريده الجزائر الجديدة.

وننوه في البداية، بأن اختيارنا المشاركة في هذا الملتقى، بدراسة عن المرحوم محفوظ قداش، لا يعني أننا من أتباع دعاة إعادة الاعتبار للفرد في الدراسات التاريخية، أو من المؤمنين بقيم الفردانية، وتقديس الأشخاص، ولكن أردنا الولوج في فكر هذا المؤرخ الوطني الرائد في الكتابات التاريخية الجزائرية باللغة الفرنسية، وإبراز كيف كانت نظرته للتاريخ الوطني خاصة، وهو الذي تكوّن في الجامعة الفرنسية، وبحث في المصادر والمراجع الفرنسية التي اتسم الكثير منها بتشويه تاريخنا الوطني.

فالمداخلة تندرج ضمن الهدف الثاني للملتقى المحدّد بـ: "معرفة بنية المدرسة التاريخية الوطنية ودور المؤرخ في صناعة القناعات والتوجهات الوطنية".

غير أننا نؤكد على أنه لا يمكننا في مداخلة مقتضبة وفي وقت محدّد ببضعة دقائق، ذكر كل شيء عن أفكار المؤرخ محفوظ قداش، وعن منهجه في كتابة التاريخ الوطني. ولكننا يمكن من خلال تلخيص بعض القناعات والاستنتاجات، التي وردت في مؤلفاته تقديم تصور واضح عن الرجل وعن أعماله التاريخية عن الجزائر وماضيها التليد.

انطلقنا في هذه الدراسة من إشكالية صغناها على الشكل التالي: ما هي قدرة مؤرخ درس وتعلم في الجامعات الغربية وبلغة أجنبية على كتابة تاريخ بلده بغير لغته الوطنية، دون التأثر بالتيارات الفكرية الغربية وتفسيرات مدارسها المادية ذات النظرة الأورو – مركزية لتاريخ الشعوب غير الغربية؟

وقد ذيلنا الإشكالية بأسئلة فرعية جاءت كما يلي:

– كيف كان دور محفوظ قداش في بناء تاريخ الجزائر؟ وما هي أهم أشكال هذا الدور؟

– إلى أي مدى ساهمت كتابات محفوظ قداش في بناء وترسيخ الوعي الوطني؟

– ما هي مكانة مؤلفات المرحوم قداش في حركة التأريخ لماضي بلادنا؟

– ما هي المصادر التي اعتمد عليها قداش في أبحاثه ومؤلفاته؟ هل كانت جزائرية أم فرنسية أم أخلط بين النوعين ؟ كيف نظر للمصادر الغربية التي تتصف بالأفكار المغلوطة ونزعة" المركزية الأوربية"؟

– هل يمكن للمؤرخ اليوم أو الباحث في تاريخ الحركة الوطنية، أن ينجز بحثه دون ذكر العودة إلى مؤلفات الأستاذ محفوظ قداش؟ وكيف يمكن تقييم مكانته في كتابة تاريخنا الوطني؟

ارتأينا حتى نتمكن من الإجابة على الإشكالية المطروحة، والفرضيات المذكورة، أن نبحث هذا الموضوع انطلاقا من أربع عناصر أساسية هي:

1. ضبط بعض المصطلحات.
2. ترجمة لمحفوظ قداش وذكر لمكانته في التأريخ الجزائري.
3. إسهاماته في الكتابة التاريخية عن ماضي الجزائر.
4. أهمية مؤلفاته في بناء الوعي الوطني.

1. ضبط بعض المصطلحات

قبل الولوج في ثنيا موضوع هذا المداخلة، ارتأيت أن أضبط بعض المصطلحات التي كثيرا ما يتم تناولها من دون ضبط مقصدها. ولنبدأ بالوعي التاريخي، الذي هو إدراك وفهم عميق للأحداث، والشخصيات، والظواهر، التي وقعت في الماضي، ومساعدة على تفسير الواقع الحالي، وفهمه بشكل جلي، لبناء مستقبل أفضل.

القناعات الوطنية: وهي مجموعة من المشاعر والمعتقدات والقيم التي تجعل الفرد يشعر بالانتماء إلى وطنه. تشمل القناعات الوطنية عادةً الإيمان بالوطن، والاعتزاز بالهوية الوطنية، والتزام بالعمل من أجل خير الوطن.

2. ترجمة لمحفوظ قداش وذكر لمكانته في التأريخ الجزائري

أ)- المولد والنشأة

محفوظ قداش، مؤرخ جزائري مختص في تاريخ الحركة الوطنية، ولد في **13** نوفمبر **1921**، بحي القصبة العتيق في مدينة الجزائر.[1] تعود أصول أسرته إلى زاوية قرومة بالأخضرية، ولاية البويرة حاليا، سكن أبوه بحي القصبة العتيق بمدينة الجزائر، وعمل وكيلاً في بيع الخضار بأسواق الجملة.

فقد المرحوم والده وهو في سن السادسة، وتأثر بوفاته. واجه حياة صعبة في صباه. تأثر بفاقة أسرته، واضطر إلى الخروج للعمل لإعالة أسرته،

بالاشتغال في مهن صغيرة.[2] حيث اشتغل كوالده في سوق الخضار، وكعارض للعطور.

توفي رحمه الله، مساء يوم الأحد **30** جويلية **2006**، بمستشفى عين النعجة بالجزائر العاصمة، على إثر سكتة قلبية عن عمر ناهز **85** سنة.

ب)- تعليمه

إلى جانب عمله لإعالة أسرته، حرص الصبي محفوظ على متابعة دراسته بالمدرسة الابتدائية الفرنسية. تميّز بجدّه ومثابرته في التعليم طيلة المراحل التعليمية الثلاث. حيث توج مساره بنيل شهادة الباكالوريا. مما سمح له بالالتحاق بمدرسة المعلمين في بوزريعة، دفعة **1939-1942**.[3]

انضم في عام **1942**، إلى النقابة الوطنية للمعلمين، وفي عام **1947**، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري. وفي عام **1953**، عيّن في ثانوية المدية، مدرسا لمادة التاريخ.[4]

التحق بجامعة تولوز **2** بفرنسا، وناقش في عام **1978**، أطروحة دكتوراه دولة، بعنوان: " مسألة وطنية وسياسة جزائرية **1919-1951** (Question nationale et politique algérienne **1919-1951**). وفي عام **1980**، نشرها في جزءين (**1113** صفحة) تحت عنوان: "تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية: مسألة وطنية وسياسة جزائرية **1919-1951**

Histoire du nationalisme algérien: question nationale et politique algérienne, **1919-1951**[5].

نالت الأطروحة إعجاب المهتمين بتاريخ الجزائر، لضخامة حجمها الموسوعي تقريبًا، ولقوة استنتاجها، ذكر بخصوص تعلمه التاريخ في العهد الاستعماري: "أدركت منذ صغري، أن التاريخ في المدرسة هو تكريم للعظماء الفرنسيين الذين صنعوا فرنسا وإمبراطورتيها الاستعمارية... أما فيما يتعلق ببلدي، فلم أجد سوى بضع صفحات عن ظهور الإسلام والنضال الذي قاده عبد القادر.

في جامعة الجزائر، لم تتضمن برامج البكالوريا، التي درستُها أيًّا من الأسئلة العشرين المُدرجة حول المغرب العربي أو الجزائر. فقط قراءاتنا الشخصية هي التي جهزتنا للامتحانات الشفهية التي قد تتناول تاريخ بلدنا. لذلك، اعتبرنا التاريخ الاستعماري: تاريخًا يمجد الاستعمار الذي جاء ليقدم فوائد الحضارة الفرنسية للسكان الأصليين المتعصبين والهمجيين.

لا ننسى أن التاريخ الاستعماري للجزائر كان في البداية من صنع الضباط والموظفين والجغرافيين، ثم من صنع المؤرخين الذين كانوا أكثر اهتمامًا بتمجيد الاستعمار، وفهم "السكان الأصليين" بشكل أفضل من أجل السيطرة عليهم بشكل جيد، بدلاً من سرد مصير السكان الأصليين وتطلعات الشعب الجزائري".[6]

لقد ساهمت أعمال كل من "إيميل غوتييه"، و"روبرت مونتاغ"، و"لويس برتران" وغيرهم الكثير، في نشر بعض الأطروحات التي لاقت ترحيبًا كبيرًا في الأوساط الاستعمارية، والتي ادعت أن البربر معادون للعرب والإسلام، وأن الهدوء كان يسود الجزائر عشية الفاتح من نوفمبر **1954**.

لم تكن فكرة استقلال الجزائر تخطر على بال أحد في الرأي العام الفرنسي بكل اتجاهاته، وبين العديد من المؤرخين الفرنسيين، حيث ولم تكن تعتبر فرضية بحث ممكنة عندهم. وكانت فكرة أن فرنسا يمكن أن تكون قوة عظمى بدون مستعمراتها وخاصة بدون الجزائر، فكرة غير واردة.[7]

يعود الفضل في شغفه بالبحث في التاريخ إلى معلّمه بنجاح، الذي كان يناضل في صفوف الحزب الاشتراكي الفرنسي (S.F.I.O).[8]

ج) – تكوينه ونضاله

انخرط المرحوم قداش في شبابه المبكر في الحركة الوطنية الجزائرية، واحتك بمناضلي حزب الشعب الجزائري، وذلك بفضل مناضل يساري جزائري يدعى بلحاج الذي تولى أمانة المؤتمر الإسلامي في **1936**. كما شارك في مظاهرات أول ماي **1945** بمدينة الجزائر، مما أكسبه خبرة المناضل وقناعة الوطني.[9]

كما انخرط في سن مبكرة في صفوف الكشافة الفرنسية، في فرع بيبي (BIPI)، الاسم المختصر لمُؤسس الحركة الكشفية في العالم[10]، والذي أنشأه الآباء البيض ضمن مؤسستهم المسماة: المساعدة المعنوية لأهالي شمال إفريقيا (AMINA)، ولكنه تركه في سنة **1941**، لينضم إلى "الكشافة الإسلامية الجزائرية" التي أنشأها عُمر لاغا (**1908-1957**).[11]

أضفى محفوظ قداش ديناميكية جديدة على التنظيم الكشفي الجزائري، من خلال جذب الشباب الجزائري الذي كانوا معه في فرع الكشافة الفرنسية، وشباب إحدى المدارس الفرنسية، كان من ضمنهم عمار بن تومي، وبوعلام بوروبية، وخلية لجنة العمل الثوري الشمال إفريقي (C.A.R.N.A)، التي كان فيها باسطه علي، ومحمد درويش. وبذلك تشكل فوج كشفي إسلامي باسم "فوج القطب"، وتولى قداش الإشراف عليه.[12]

تقلد قداش بفضل انضباطه وخبرته مسؤوليات عدّة في الكشافة الإسلامية الجزائرية، منها محافظ كشّاف بين سنوات **1939-1945**، فمحافظٍ وطنيٍ من عام **1945** إلى **1948**، وأمينها العام في سنة **1953**، ليصبح مسؤولها الوطني خلال الفترة من عام **1957** إلى **1975**.[13]

تعرض خلال فترة الثورة التحريرية، إلى محاولتي اغتيال من قبل التنظيم الإرهابي المسمى: "منظمة الجيش السري"، بعد نشره مقالا في أسبوعية ريفارول (Rivarol) الفرنسية اليمينية. وخلال لقائه بالجنرال ديغول بمعية مولود فرعون، رافع من أجل حل سلمي للقضية الجزائرية.[14]

عمل غداة عهد الاستقلال ولفترة قصيرة مدير مكتب وزير العدل عمار بن تومي.[15] ثم مديرا لمتحف باردو لفترة قصيرة. واهتم في مرحلة إعداده لشهادة الدراسات العليا (D.E.S)، بتاريخ القصبة وتراثها المعماري قبل الغزو الفرنسي. ثم اشتغل بالتدريس أستاذا للتاريخ بجامعة الجزائر، بعد نيله شهادة الدكتوراه. تنقل في التدريس الجامعي بين معهد التاريخ ومعهد الدراسات السياسية ليستقر في معهد علم المكتبات. وعلى إثر عملية

تعريب الجامعة وبخاصة تعريب مواد العلوم الإنسانية والاجتماعية، صار مفتشا عاما للتربية الوطنية.[16]

3. إسهاماته في الكتابة التاريخية عن ماضي الجزائر

في مطلع ستينيات القرن **20**، كان الأستاذة الفرنسيون يسيطرون في جامعة الجزائر على العلوم الإنسانية، وبخاصة علم التاريخ. وكان يدرس إلى جانبهم أساتذة جزائريون يعدون على أصابع اليد الواحدة، منهم الأستاذ محفوظ قداش[17]، الذي كان يدرّس تاريخ الجزائر العثمانية والتاريخ المعاصر. وكان يقوم أيضا بحكم كونه مفتش عام للتاريخ والجغرافيا، بإجراء امتحان للطلبة الموجّهين إلى التعليم الثانوي، للحصول على شهادة الكفاءة الأستاذية في التعليم الثانوي (C.A.P.E.S).

ووفقا لشهادة أحد طلبته، فإن المرحوم كان في ستينيات القرن الماضي: "يعلمنا تاريخ الجزائر في العصر العثماني وفي الفترة المعاصرة. وكانت الغالبية العظمى من الطلاب في ذلك الوقت، يأتون من المدارس الثانوية الفرنسية حيث كان التاريخ المُدرس هو تاريخ فرنسا. كنا متشوقين لمعرفة هذا التاريخ المجهول بالنسبة لنا، وهو تاريخ الجزائر. كنا جزءًا من أول دفعة من طلاب التاريخ في المدرسة العليا (دفعة **1968**)، وكان محفوظ قداش في ذلك الوقت، أيضًا مفتشًا عامًا للتاريخ والجغرافيا، هو من أجرى لنا امتحان الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي، لأننا كنا مخصصين للتعليم الثانوي".[18]

فالمرحوم قداش، كان المؤرخ الأكاديمي الوحيد الذي عمل في حقل البحث التاريخي وألف فيه قبل الاستقلال وبعده.[19] فالمثقفون الذين عاصروه واشتهروا بتأليفاتهم في حقول معرفية أخرى، مثل مولود قايد (**1916-1998**) ومحمد الشريف السحلي (**1906-1989**) ومصطفى الأشرف (**1917-2006**)، لم يكن لهم مسار أكاديمي. وأما المؤرخون من جيله الذين عرفوا في حقل الكتابة التاريخية مثل مولاي بلحميسي، وبلقاسم سعد الله، فلم ينشروا قبل عام **1962**.

وذكر طالب آخر من طلبته الذين درسوا عليه التاريخ في جامعة الجزائر، أن الطلبة الجزائريين الذين يلتحقون بشعبة التاريخ في جامعة الجزائر، كانوا يأتون من الثانويات الفرنسية التي كانت تدرس تاريخ فرنسا. فيتعلمون على يدي المرحوم قداش، وبقية الأساتذة الجزائريين، تاريخ الجزائر.[20]

وذهب آخر إلى القول أن: "جميع أعماله تحمل بصمة التزامه السياسي. التزام مزدوج. التزام حزبي بالتأكيد، فقد ساعدت نشاطاته الكشفية على تعزيز علاقاته بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وأظهرت له السبل للوصول إلى الجزائر الأخرى، تلك الدولة الحقيقية التي خنقها الاستعمار، والالتزام الأكاديمي، من خلال احترام المصدر وضرورة عرض الأرشيف".[21]

وبرأي أستاذ الأنثروبولوجيا حداب مصطفى من جامعة الجزائر، فأن محفوظ قداش: "قد وضع لبنات أساسية لبداية عهد جديد في التعاطي علميا مع معطيات تاريخية تحمل الكثير من الأبعاد... والتي منها قراءة الأرشيف التاريخي، والتحليل العلمي للشواهد التاريخية المادية، التي يبني عليها حاليا الكثير من الباحثين المعاصرين قواعد أعمالهم الأكاديمية... ووفق في إدماج الأبعاد السوسيولوجية والأنثربولوجية، ومعطيات اجتماعية خاصة بكل مرحلة من تاريخ الجزائر المعاصر في كتاباته وتحليلاته وحتى في قراءاته النقدية خاصة بالنسبة لتأسيس الحركة الوطنية بالجزائر ومراحل تطورها".[22]

في حين قال عنه المؤرخ الفرنسي "بنجمين ستوره": "استند (قداش) في بحثه العلمي على مناهج المقارنة وتحليل المضامين بالطرق العلمية التي كانت رائدة في المجال الأكاديمي الدولي سعيا منه لبلوغ تأليف وتأريخ موضوعي للأحداث، وأهم مراحل تطور المجتمع الجزائري. بذل جهود حثيثة وثابر بجد من أجل إبراز شخصية الأمير خالد، وكان أيضا السباق في التعريف بنشأة المؤسسات التي صنعت الحركة الوطنية من حزب الشعب

وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ومؤسسيها الذين كان بجانبهم بصفة دائمة ومقربة".[23]

وأبرز المؤرخ "جيل مونسيرون" أن أعمال المؤرخ قداش "تعد في حقل علم التاريخ ومناهجه بصمات نادرة تتطلب مواصلة التدقيق فيها والعمل على البحث في إمداداتها التي سلطت الضوء كذلك على الذاكرة الجماعية التي تربط شعوب المنطقة المغاربية".[24]

فالمرحوم قداش، كما قال عنه الأستاذ عيسى قادري، "أدار مقابلات علمية مع صانعي تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، واعتمد على قراءة نقدية للأرشيف. وترك للمؤرخين الشباب وللجيل الجديد من المثقفين موروثا علميا ورصيدا فكريا يستحق الاهتمام والاستغلال لمواصلة درب كتابة التاريخ".[25]

يمكن القول أنه، كان "قدوة حسنة بالنسبة للباحثين المعاصرين" في علم التاريخ ومناهج كتابته. فقد كان واعيا بمدى تأثير كتابة التاريخ والبحث فيه على تطور المجتمعات، وحريصا على تأكيد الواقع التاريخي بمختلف الوسائل المتاحة في البحث التاريخي.

فكان يعلم طلبته ضرورة الاستعانة بالأرشيف في كتابة الأحداث التاريخية الوطنية، وحسن استغلالها، إلى جانب الاستعانة بالمصادر بأنواعها الثلاثة: مكتوبة، شفوية وشهادات حيّة. وقد جسّد نظرته هاته في تأليف كتاب: قصص النار (Récits de feu) في سنة **1977**، والذي يعد أول مؤلف له عن الثورة التحريرية. جمع فيه شهادات حول **44** موضوع يخص الثورة التحريرية. حيث دعا بعض طلابه الذين تخرجوا على يده من الجامعة، وصاروا يعملون في مصالح التراث والمتاحف لقراءة وتصنيف الشهادات المختلفة التي جمعت، في مسابقة أطلقتها جريدة المجاهد عن الثورة التحريرية في تلك السنة.[26]

في عام **1950**، نشر محفوظ قداش خلال إعداده لشهادة الدراسات العليا (D.E.S)، أول نص له من مذكرته التي نال بها دبلوم الدراسات

العليا.[27] تطرق إلى موضوع التراث عبر دراسته لحي القصبة العتيق في مدينة الجزائر. أكسبته هذه الأعمال الأولى نقدًا إيجابيًا من المؤرخ "مارسيل إيميريت"، الذي كان يدرس آنذاك في جامعة الجزائر. كما عمل لفترة قصيرة كمدير لمتحف باردو. وبهذه الصفة، حاول إحياء التراث.[28]

بدأ حياته المهنية كقائد كشافة ثم مدّرس لمادة التاريخ. وبعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، وبسبب علاقاته السياسية والودية مع معظم مسؤولي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ومنصبه كقائد كشافة، انخرط في نقاشات حول مستقبل الجزائر ونهاية النظام الاستعماري.

كان عضوًا في هيئة تحرير مجلة (Consciences maghrébines) الوعي المغاربي التي أسسها المؤرخ الفرنسي "أندري ماندور" في سنة **1953**، برفقة صالح لوانشي، رضا بستانجي، و"بيير شولي". في عام **1956**، تعاون المرحوم قداش مع مجلة (L'Espoir) الأمل لسان حال الليبراليين في الجزائر بعد إقامته لمدة قصيرة في مركز اعتقال بالبرواقية.

سبب له تعاونه في العمل الخيري مع "المراكز الاجتماعية" حقد عناصر منظمة الجيش السري عليه. عمل سراً لصالح الحكومة المؤقتة.[29]

بعد الاستقلال، أصدر المرحوم في عام **1966**، مجلّة علمية باسم: مجلة التاريخ والحضارة المغاربية (R.H.C.M)، وتولى رئاسة تحريرها. كان ضمن لجنة تحريرها كل من مولاي بلحميسي، رشيد بورويبة، عبد الحميد حاجيات، مولود معمري. كانت المجلة تنشر مقالات علمية عن تاريخ الجزائر في جميع الفترات التاريخية.[30]

واهتم بتأليف كتب تاريخية تخص ماضي الجزائر عبر جميع الحقب التاريخية، بهدف التعريف بها. لأجل ذلك أصدر كتب "الجزائر في العصر القديم"؛ "الجزائر في العهد العثماني"؛ جزائر الجزائريين" الذي تناول فيه تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى غاية الفاتح من نوفمبر **1954**. اعتمد في تأليف هذه الكتب على نصوص قديمة لاتينية وعربية، وذلك لاعتقاده في أهمية المصادر في كتابة التاريخ.

شارك في عام **1975**، في أشغال المركز الوطني للدراسات التاريخية (C.N.E.H). وفي عام **1976**، أنشأ بجامعة الجزائر: معهد علم المكتبات والتوثيق، وتولى إدارته إلى غاية سنة **1988**.[31]

ألّف محفوظ قداش **14** كتابًا في تاريخ الجزائر، وخصّص **5** مجلدات قيّمة لتاريخ الجزائر، وهي: الجزائر في العصور القديمة، الجزائر في العصور الوسطى، الجزائر العثمانية، تاريخ حرب التحرير الوطني وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية: المسألة الوطنية والسياسة الجزائرية **1919-1951**.

وكوّن خلال مساره التدريسي في الجامعة، أجيالًا من الطلاب في التاريخ وعلم المكتبات. أشرف على عددٍ كبيرٍ من رسائل الماجستير والدكتوراه في هذين الحقلين العلميين. تميّز أيضًا بنشر عدة مقالات في تاريخ الجزائر المعاصر في مجلات علمية محكّمة، ودوريات متخصّصة.[32]

يمكن القول كما ذكر أحد طلبته، "محفوظ قداش، مِثْلُ أي شخص آخر، هو ابن عصره. لقد أنتج الطريقة التي تعلّمها في الجامعات الفرنسية التي درس فيها في الخمسينيات. وكما تعلّم بعض خريجي تلك الجامعات، تعلّم هو أيضا كيفية الرد".

4. أهمية مؤلفاته في بناء الوعي الوطني

عند الحديث عن أهمية المؤلفات التاريخية في بناء الوعي الوطني، يجدر بنا التطرق إلى موضوع ذي أبعاد معرفية وثقافية عميقة. ولذلك، سعينا من خلال الحديث عن المؤرخ محفوظ قداش ومساهماته في كتابة التاريخ الوطني، إلى استكشاف كيفية تأثير الكتب التاريخية على الهوية الوطنية، وإدراك الذات الجماعية.

فالمؤلفات التاريخية تُعتبر ركيزة أساسية في بناء الوعي الوطني، تشكيل الهوية الوطنية وتعزيز الانتماء إلى الوطن من خلال توثيق الذاكرة التاريخية؛ غرس الشعور بالانتماء الوطني؛ وتعزيز الشعور بالهوية الوطنية والانتماء الوطني؛ وتطوير التفكير النقدي؛ وإلهام الأجيال الصاعدة بقصص أبطال الوطن.

ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: هل ساهمت مؤلفات محفوظ قداش في بناء الوعي الوطني؟

سنحاول من خلال هذه المداخلة، إبراز أهمية مؤلفات محفوظ قداش في بناء الوعي الوطني لدى المتعلمين، والباحثين، من خلال الاستشهاد بأمثلة من مضمونها، وإبراز مواقفه من بعض القضايا والأحداث التي عرفتها بلادنا عبر تاريخها الضارب في أعماق الزمن.

- لم يدحض محفوظ قداش استمرارية الدولة التي تشكل أساس الأمة الجزائرية. حيث يركز في مؤلفاته على "أصول الأمة والدولة الجزائرية"، ويستنتج أيضًا وجود الدولة القومية عشية الاحتلال الفرنسي.[33]

- دافع قداش عن انتماء الجزائر للحضارة الإسلامية، ودحض القوالب الجاهزة التي وضعت فيها المدرسة الفرنسية هذه الحقبة من تاريخنا، وسعت إلى تشويهه، مثل وصفها أعمال الفاتحين العرب "بأعمال السارقين، والناهبين، ..."، والقول أنهم: " دمروا الحضارة الرومانية التي كانت تزخر بها المنطقة"، وأن " المنطقة تخلفت حضاريا وأفل نجمها بعد سيطرة المسلمين عليها" ... إلخ.

- واجه في بداية عمله في التأليف حول الحركة الوطنية، صعوبات كبيرة بسبب قلة المصادر الجزائرية، وصعوبة الوصول إلى المصادر الفرنسية، وسيطرة وجهة نظر المدرسة الفرنسية على تفسير النشاط السياسي للجزائريين واعتبارهم أن "الأمة الجزائرية لم يكن لها وجود قبل ثلاثينيات القرن العشرين، وبدأت في الولادة في تلك الفترة"، حيث اعتبر أنها كانت موجودة حتى قبل قدوم الغزاة الفرنسيين.

- ساهم في دحض الأحكام المسبقة والأفكار السلبية للمدرسة التاريخية الاستعمارية في معالجتها لتاريخ بلادنا. حيث ساعده اتقانه للغة الفرنسية وتحكمه في ناصيتها من الولوج إلى الكتابات التاريخية الفرنسية ذات التوجهات الفكرية المختلفة، وانتقاء الأعمال الرصينة والموضوعية منها على الكتابات المسيسة والذاتية، وكذا دراسة الوثائق الأرشيفية المدنية منها

والعسكرية التي تمكّن من الاطلاع عليها، وتوظيفها في أبحاثة بشكل جعل مؤلفاته ذات سمعة علمية حتى في الأوساط الفرنسية نفسها. فقد اعتمد عليها عدة باحثين فرنسيين وأوربيين ممن جاؤوا بعده وألفوا في تاريخ الجزائر المعاصر، مثل الفرنسي جلبير منيي (Gilbert Meynier)، والمؤرخ الألماني هرتموت إلسنهنز (Hartmut Elsenhans)، والأمريكي ماثيو كونيلي (Matthew Connelly).

- ذكر في مقدمة كتابه الموسوم "الجزائر في التاريخ القديم"، الصادر سنة **1972**، أن "البحث عن الهوية الوطنية يدفع اليوم الجزائريين إلى استيعاب كل ماضيهم وفهم أصول "الجزائريين" الأوائل، وتنظيماتهم وحضاراتهم.[34]

- دافع المرحوم عن الانتماء الحضاري للشعب الجزائري بمكونين البربري والعربي للحضارة الإسلامية. واعتبر أن الجزائري، الذي واجه ما أسماه "الظروف الاستعمارية البغيضة [...]، لم ينجُ إلا بفضل القيم الأخلاقية والروحية والتقاليد التي تحظى بالتكريم في تاريخه ومجتمعه، وهي المصدر الحقيقي لجميع أشكال المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي".[35]

- أشار في دفاعه عن مدينة الجزائر، في المقال الذي نشره في خمسينيات القرن **20**، إلى تطلع بعض الأوساط الفرنسية في ذلك الوقت إلى إعادة العمل التدميري الذي قام به جنرالات جيش الاحتلال في القرن **19**م بمدينة الجزائر، وبين أن تلك الأوساط كانت تريد تجاهل النشاط الاقتصادي والحياة الفنية في عاصمة الإيالة خلال العهد العثماني.[36]

- اعتبر الفترة من منتصف القرن **15**م إلى سقوط الإيالة، أنها كانت تمثل العصر الذهبي في تاريخ الجزائر. وقال في هذا الصدد: "إننا نتردد في وصفها بالعصور الوسطى، حيث كانت فترة عظيمة وحضارة نتجت عن لقاء البربر والعرب والإسلام، مما أدى إلى نهضة ثقافية وحضارية وسياسية، وتأكيد الهوية العربية البربرية على المدى الطويل كسمة أساسية للسكان الجزائريين".[37]

- اعتبر أن الإسلام واللغة العربية، كانا معيارين هامين للهوية الجزائرية، وكانا أكثر ميلاً إلى إظهار الوطن الجزائري بدلا من دفع الجزائريين إلى الاندماج في الوطن الفرنسي.[38] وأكد أن النزعة الوطنية الجزائرية تستمد أصولها من المقاومة المسلحة للغزو الفرنسي طيلة القرن **19**م. وأن بالإمكان إيجاد الروح الوطنية في تمسك الجزائريين بكل ما يتعلق بالإسلام، وهو اهتمام ديني وسياسي على حدٍّ سواء.[39]

- أكّد على الدور الهام الذي اضطلعت به الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية خلال الحقبة الاستعمارية، حيث كانت أهم حركة شبابية جزائرية، بفضل تمسك عناصرها بوعد الكشافة، الذي يعد التزامًا مزدوجًا: دينيا ووطنيا، غرس في نفوس الشباب القيم الدينية والأخلاقية وحب الوطن والانتماء إليه والدفاع عن حقوقه. ولذلك التحق الكثير منهم بصفوف الثورة التحريرية حين اندلاعها، واضطلع البعض منهم بدور رئيسي فيها.[40]

- قال عن الاحتفالية السنوية للجزائر بذكرى مجازر الثامن ماي **1945**: "لطالما يُحتفل بذكرى الثامن من ماي في الجزائر بمشاعر من التقوى والاحترام... فهو واجب على الجزائريين أن يتذكروا ما حدث في تلك الأيام، وأن يستذكروا الشهداء، وأن يندوا بالقمع. ولكن في الوقت الذي يُكتب فيه تاريخنا، هناك فرصة لوضع هذه المأساة في سياقها التاريخي، وتحليلها بموضوعية، وفهم أهميتها".[41]

وأعاد أسباب تلك المظاهرات السلمية إلى: الكفاح من أجل الكرامة - التطلعات الثورية للقوميين الجزائريين - الرغبة في القيام بانتفاضة عامة - تصميم الحكومة الفرنسية والسلطات الاستعمارية على خنق كل محاولة من الوطنيين للتعبير عن مطالبهم سواء كانت سلمية أو باستعمال العنف.[42]

- اعتبر أن التنظيم والوحدة كانا امضى سلاح واجه به قادة الثورة التحريرية خصمهم الذي كان متفوقا عليهم في الوسائل المادية. وقال عن الثورة التحريرية: "ستظل حرب التحرير الجزائرية في التاريخ المعاصر

لبلادنا الفترة الحاسمة، فترة مأساة وعظمة، كتبت بدماء الشهداء، واليوم يجب أن تكتب من قبل المؤرخ".[43]

- اعتبر أن الذكريات تتلاشى والشهود يختفون. وحثّ على أن تبدأ كتابة التاريخ بالمواد المتاحة، وستظل الأرشيفات دائماً بحاجة إلى استكمال. خاصة وأن التاريخ اليوم لا يُكتب فقط بناءً على التقارير وانتقادات كتّاب ذلك العصر، ناهيك عن الاستنتاجات التي استخلصوها منه، بل يميل إلى الاعتماد على روايات شهود العيان، وعلى الوثائق المباشرة وبالتالي الأكثر صحة.[44]

- في عام **2003**، نشر محفوظ قداش كتاب "الجزائر للجزائريين. من عصور ما قبل التاريخ إلى عام **1945**"، وقد نشر بالتزامن في الجزائر وفرنسا، في إطار "سنة الجزائر الثقافية بفرنسا" سنة **2003**، وهو مؤلف من **4** مجلدات نُشره بشكل منفصل، عنون المجلد الأول: "الجزائر في العصور القديمة"؛ والثاني: "الجزائر في العصور الوسطى"؛ والثالث: "الجزائر خلال الفترة العثمانية"؛ والرابع: "جزائر الجزائريين".

أشار في مقدمة الكتاب، إلى أن الجزائر عبارة عن "تاريخ طويل. غالبًا ما ركز المؤرخون على الشعوب التي غزت البلاد دون الالتفات إلى السكان الأصليين".[45]

واعتبر عنوان الكتاب، تصحيحا لعبارة "الجزائر فرنسية" التي كان الكتاب الفرنسيون يطلقونها على فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأراد من خلاله أن يبرر: "وضعية الجزائريين في تلك الفترة ومصيرهم وكيف كانوا يتعاملون مع الغزو والاحتلال الاستعماري الفرنسي".[46]

وقال عن الاحتلال الفرنسي "هو غزو مع كل ما فيه من عنف وبشاعات... إذا كان الاستعمار قد غير البلاد، فقد فعل ذلك لصالح السكان الأوربيين، فأغلبية الجزائريين قد تألمت من الوضعية الاستعمارية الشنيعة في الفقر الاقتصادي والفكري المدقع".

واعتبر أن ما ساعد الجزائري على الصمود والتصدي لعاصفة الاستعمار التي سعت إلى اقتلاع جذوره، هي: "القيم الأخلاقية والروحية التقليدية التي كان لها شرف تسيير مجتمعه".[47]

ثم كتب في صفحة غلاف الكتاب الأخيرة، يقول: "بقيت الجزائر الجزائرية حيّة سواء في الجزائر التي كانت مستقلة والتي كانت المقاومة فيها تكافح إلى غاية الإنهاك أو في الجزائر المحتلة حيث العقيدة الإسلامية والوطنية كانت تدعم كل أشكال المقاومة السياسية".

أكد على أن الشعب الجزائري تشكلت لديه عبر تاريخه الطويل "خصائص أعطت معنى للعوامل الأساسية للهوية الجزائرية: التعلّق بالأرض والحريّة، والدفاع بالسلاح، هي استراتيجية موروثة عن النوميديين ومحاربي عبد القادر".[48]

وقال بخصوص الثورة التحريرية: "... لم يعد الجزائريون يكتفون بالتسول من أجل الإصلاحات، بل يناضلون بالسلاح في أيديهم، ويعتبرون أنفسهم ليسوا رعايا فرنسيين بل مواطنين في الجزائر المقاتلة بقيادة جبهة التحرير الوطني... فحرب التحرير (**1954-1962**) تستحق تاريخًا عظيمًا، ويفرض واجب الذاكرة التذكر".[49]

ذكر في مقدمة كتاب: "نجم الشمال الأفريقي: **1926-1937**. وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية"، والذي ألفه مع المرحوم محمد قنانش: "صارت كتابة التاريخ بعد الاستقلال "موضوعا هاما للتأمل"؛ التاريخ ينعت بحق "بذاكرة الشعوب ومنبع هويتها وشخصيتها".[50]

- الخاتمة

بعد الخوض في حياة المرحوم محفوظ قداش، وإبراز مساره التعليمي والنضالي، ودوره في الكتابة عن التاريخ الوطني من رؤية جزائرية أكاديمية، ودحض افتراءات المدرسة الكولونيالية الفرنسية حوله، يمكننا الاستنتاج أن هذا المؤرخ:

- يعد رمزا بارزا ومثقفا فذا في سعيه الدؤوب واللامحدود نحو بناء الذاكرة الجماعية والسرد التاريخي الوطني، ومن ثمة الحفاظ على الذاكرة.

- ساهم في نشر المعرفة التاريخية من خلال تأليف الكتب، ونشر المقالات العلمية والصحفية.

- ساهمت كتاباته في بناء الوعي التاريخي الوطني، وتعزيز الشعور بالهوية الوطنية الجزائرية بعد الاستقلال، لدى جيل الباحثين والمؤرخين الجزائريين خريجي الجامعة الجزائرية.

- ساهم في سياق التأريخ للحركة الوطنية، في إبراز أشكال سياسية جديدة في تاريخ الجزائر، مثل الحركة الكشفية.

- لم يكتف المرحوم قداش بذكر الأحداث التاريخية وعرضها فحسب، بل اهتم بتحليلها، وذكر آراء المؤرخين الذين سبقوه إليها، ثم إبداء رأيه فيها بشكل موضوعي.

- كان ينوع في المصادر (جرائد، وثائق إدارية، شهادات حية، أرشيف)، ويعرضها للتحليل والمقاربة إما لتثبيت الحقائق التاريخية أو دحضها وتفنيدها باعتماد الحجة والدليل.

- يُعتبر محفوظ قداش في نظرنا، مؤسس التاريخ الأرشيفي. فقد طور منهجية جديدة في كتابة التاريخ تعتمد على تحليل الأحداث التاريخية بشكل دقيق، مع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المحاطة بالحدث التاريخي الخاضع للدراسة.

- استند المرحوم محفوظ قداش في أبحاثه ودراساته ومؤلفاته على رصيد أرشيفي استثنائي، تضمن: الشهادات الحية، الخرائط، النصوص التاريخية، البيانات السياسية، المقالات الصحفية.

- القائمة البيبليوغرافية

أ) باللغة العربية

- المؤلفات

1. ناصر الدين سعيدوني، "في صحبة الأستاذ محفوظ قداش"، ضمن كتاب: الأجيال الملتزمة والحركات الوطنية القرن العشرين في البلدان المغاربية"، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، **2012**، ص**5**.

2. محفوظ قداش، جزائر الجزائريين. تاريخ الجزائر **1830-1954**، تر. محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، د. ت. ن.

3. محفوظ قداش، محمد قنانش، نجم الشمال الأفريقي: **1926-1937**. وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر. أذاينية خليل، ديولن المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2013**.

ب) باللغة الأجنبية:

1. Abderrahmane KHELIFA, (**2012**), "Mahfoud Kaddache, une certaine conception de l'histoire". Disponible sur:

https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/**2012**_gener_enga_khelifa.pdf, (Consulté le **30**/**01**/**2024**)

2. Fouad SOUFI, (**2007**), "In memoriam Mahfoud KADDACHE, **1921-2006** La quête du pays réel, l'exigence de l'archive", Insaniyat n° **37**, juillet - septembre **2007**, (pp. **7-15**). Disponible sur:

https://insaniyat.crasc.dz/pdfs/n_**37**_h_ki-kaddache-fr.pdf, (Consulté le **29**/**01**/**2024**)

3. Fouad Soufi, (**2007**), "Mahfoud Kaddache, **1921-2006**. La quête du pays réel, l'exigence de l'archive", Insaniyat, n° **37**, juillet - septembre **2007**, (pp. **7-15**). Disponible sur: ISSN **1111-2050**,

DOI **10.4000**/insaniyat.**9240**, (Consulté le **27**/**01**/**2024**)

4. Fouad SOUFI, (**2012**), "Mahfoud Kaddache, un historien à l'Université d'Alger". Disponible sur:

https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/**2012**_gener_enga_%**20**soufi.pdf, (Consulté le **27**/**01**/**2024**)

5. Jakob KRAIS, "Muscular Muslims: Scouting in late colonial Algeria between Nationalism and Religion", in: International Journal Middle East Studies. **51** (**2019**), Disponible sur: **567**–**585** doi:**10.1017**/S**0020743819000679**, (Consulté le **30** janvier **2024**)

6. Mahfoud Kaddache, La Casbah sous les Turcs" & "La Casbah de nos jours", Documents Algériens, n° **55**, **1**er septembre **1951** & n° **56**, **10** septembre **1951**, Service d'Information du G.G.A.

7. Mahfoud Kaddache, «La Casbah», Mémoire de D.E.S., dactylographié.

8. Mahfoud Kaddache, L'Algérie dans l'antiquité, SNED, Alger, **1972**

9. Mahfoud Kaddache, Il y a trente ans Le **8** Mai **1945**, Editions du Centenaire, Paris, **1975**.

10. Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien : question nationale et politique algérienne, **1919**-**1951**, **2** tomes, Alger, SNED, **1980**.

11. Mahfoud Kaddache, "L'Histoire coloniale", Disponible sur : https://fr.scribd.com/document/**481680662**/MAHM-KADDACHE, (Consulté le **11**/**02**/**2024**)

12. Mahfoud Kaddache, L'Algérie Médiévale, **2**ème édition, ENAL, Alger, **1992**.

13. Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien, **1**er Tome, **2**ème édition, ENAL, Alger, **1993**.

14. Mahfoud Kaddache, Les "soldats de l'avenir" : les scouts musulmans algériens (**1930**-**1962**) , in Nicolas BANCEL, Daniel DENIS et Youssef FATES (dir.), De l'Indochine à l'Algérie. La

jeunesse en mouvements des deux côtés du miroir colonial, **1940-1962**, La Découverte, Paris, **2003**.

15. Mahfoud Kaddache, L'Algérie des Algériens. De la préhistoire à **1945**, éditions Paris-Méditerranée, **2003**, EDIF **2000**, Alger, **2003**.

16. Mahfoud Kaddache, Et l'Algérie se libéra. **1954-1962**, EDIF **2000**, Alger, **2003**.

17. Ouanassa Siari Tengour, "Du Palais du Dey au Palais du Gouvernement : lieux et non-lieux de la mémoire ", in revue Insaniyet , **19-20** | **2003** : Historiographie magrébine : champs et pratiques, Les lieux de l'histoire, p. **117-131**, Disponible sur : https://doi.org/**10.4000**/insaniyat.**5871** (Consulté le **08**/**02**/**2024**)

18. https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/**2012**_gener_enga_khelifa.pdf

ج) الدوريات.

El-Watan, du **31** juillet **2006**.

El Watan, du **1**er août **2006**.

El Watan, du **3** août **2006**.

El-Watan, n° du **29** avril **2009**.

- الهوامش

1 El Watan, **3** août **2006**.
2 Ibid.
3 تأسست مدرسة بوزريعة بموجب قرار صدر في **10** جانفي **1920**، من **قسمين، أحدهما فرنسي والآخر أهلي، لتعليم أبناء الجزائريين، وتكوين معلمين منهم.**
4 Fouad SOUFI, (**2007**), "In memoriam Mahfoud KADDACHE, **1921-2006** La quête du pays réel, l'exigence de l'archive", Insaniyat n° **37**, juillet - septembre **2007**, (pp. **7-15**). Disponible sur: https://insaniyat.crasc.dz/pdfs/n_**37**_h_ki-kaddache-fr.pdf, (Consulté le **29**/**01**/**2024**)
5 Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien : question nationale et politique algérienne, **1919-1951**, **2** tomes, Alger, SNED, **1980**.
6 Mahfoud Kaddache, "L'Histoire coloniale", Disponible sur: https://fr.scribd.com/document/**481680662**/MAHM-KADDACHE, (Consulté le **11**/**02**/**2024**)
7 Ibid.
8 SOUFI, "In memoriam", Op. cit.
9- ناصر الدين سعيدوني، "في صحبة الأستاذ محفوظ قداش"، ضمن كتاب: الأجيال الملتزمة والحركات الوطنية القرن العشرين في البلدان المغاربية"، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، **2012**، ص**5**.
10- اسمه الكامل (Robert Stephenson Smyth Baden-Powell, **1857-1941**)، يعرف بالاسم المختصر (BIPI).
11 Jakob KRAIS, "Muscular Muslims: Scouting in late colonial Algeria between Nationalism and Religion", in: International Journal Middle East Studies. **51** (**2019**), Disponible sur: **567**–**585** doi:**10**.**1017**/S**0020743819000679**, (Consulté le **30** janvier **2024**)
12 Fouad SOUFI, (**2012**), "Mahfoud Kaddache, un historien à l'Université d'Alger". Disponible sur: https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/**2012**_gener_enga_%**20**soufi.pdf, (Consulté le **27**/**01**/**2024**)
13 Ibid.
14 El Watan du **1**er août **2006**.
15 SOUFI, "In memoriam", Op. cit.
16 Abderrahmane KHELIFA, (**2012**), "Mahfoud Kaddache, une certaine conception de l'histoire". Disponible sur: https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/**2012**_gener_enga_khelifa.pdf, (Consulté le **30**/**01**/**2024**)

17- كان من بينهم: رشيد بورويبة، آسيا جبار، محمد الشريف صالحي.
18 KHELIFA, Ibid.
19 SOUFI, Op.cit.
20- أنظر: شهادة عبد الرحمان خليفة الذي درس التاريخ على محفوظ قداش، وكان ضمن الدفعة الأولى لطلاب التاريخ المتخرجة من جامعة الجزائر في عام **1968**، على الرابط:

https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/**2012**_gener_enga_khelifa.pdf (**2024**/**02**/**10** :)
21 SOUFI, "Op. cit.
22 El-Watan, n° du **29** avril **2009**.
23 Ibid.
24 Ibid.
25 Ibid.
26 KHELIFA, Op.cit.
27 Cf., «La Casbah», Mémoire de D.E.S., dactylographié.
28 SOUFI, "Mahfoud Kaddache, un historien …", Op. cit.
29 Ibid.
30 SOUFI, "In memoriam", Op. cit.
31 Fouad Soufi, "Mahfoud Kaddache, **1921**-**2006**. La quête du pays réel, l'exigence de l'archive", Insaniyat, no **37**, juillet – septembre **2007**, (pp. **7**-**15**). Disponible sur:
ISSN **1111**-**2050**, DOI **10**.**4000**/insaniyat.**9240**, (Consulté le **27**/**01**/**2024**)
32 El-Watan, «Mahfoud Kaddache nous quitte», n° **4777**, du Lundi **31** juillet **2006**, p. **32**.
33 Ouanassa Siari Tengour, "Du Palais du Dey au Palais du Gouvernement: lieux et non-lieux de la mémoire ", in revue Insaniyet, **19** - **20**|**2003**: Historiographie magrébine: champs et pratiques, Les lieux de l'histoire, p. **117**-**131**, Disponible sur : https://doi.org/**10**.**4000**/insaniyat.**5871** (Consulté le **08**/**02**/**2024**)
34 Mahfoud Kaddache, L'Algérie dans l'antiquité, SNED, Alger, **1972**.
35- أنظر، مقدمته في كتاب: "الجزائر للجزائريين".
36 Mahfoud Kaddache, La Casbah sous les Turcs" & "La Casbah de nos jours", Documents Algériens, n° **55**, **1**er septembre **1951** & n° **56**, **10** septembre **1951**, Service d'Information du G.G.A.
37- أنظر، مقدمة كتابه:

"L'Algérie Médiévale, **2**ème édition, ENAL, Alger, **1992**".

38 Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien, **1**er Tome, **2**ème édition, ENAL, Alger, **1993**, p. III.
39 Ibid., p. VII.
40 Mahfoud Kaddache, «Les "soldats de l'avenir": les scouts musulmans algériens (**1930**-**1962**)», in Nicolas BANCEL, Daniel DENIS et Youssef FATES (dir), De l'Indochine à l'Algérie. La jeunesse en mouvements des

deux cotés du miroir colonial, **1940-1962**, La Découverte, Paris, **2003**, p. **502**.

41 Mahfoud Kaddache, Il y a trente ans Le **8** Mai **1945**, Editions du Centenaire, Paris, **1975**, p. **8**.

42 Ibid., p. **29**.

43- أنظر، مقدمة كتابه: "قصص النار".

44- المرجع نفسه.

45 Mahfoud Kaddache, L'Algérie des Algériens. De la préhistoire à **1945**, éditions Paris-Méditerranée, **2003**, EDIF **2000**, Alger, **2003**.

46- محفوظ قداش، جزائر الجزائريين. تاريخ الجزائر **1830-1954**، تر. محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، د. ت. ن، ص**3**.

47- المرجع نفسه، ص**4**.

48 Mahfoud Kaddache, Et l'Algérie se libéra. **1954-1962**, EDIF **2000**, Alger, **2003**.

49 Ibid.

50- محفوظ قداش، محمد قنانش، نجم الشمال الأفريقي: **1926-1937**. وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر. أذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2013**، ص**7**.

أهمية الوثيقة الأرشيفية في كتـابة التـاريخ الوطني

الأستـاذ: محمد بن جبور
جـامعة وهران 1 أحمد بن بلة

- مقدمة

تعد الوثيقة الأرشيفية التاريخية ذاكرة الأمة فهي التي تسجل بها كل الأحداث الخاصة بالدولة وانشطتها الرسمية وغير الرسمية وتكمن قيمتها التاريخية والسياسية من خلال ما دُون فيها من حقائق ثابتة تنتفع بها الأجيال، حيث يذكر أبو حاتم الرازي في أساس البلاغة: "إذا بحثت ففتش وإذا كتبت فقمش"[1]، وأن البحث والتفتيش لا يكونان إلا في الوثيقة التي تعتبر من المصادر الأصلية والأساس لدراسة التاريخ والحضارة لاعتبارها موردا مادياً تنبع منه الكثير من الحقائق الأصلية الخاصة بكل باحث يسعى للوصول إلى الحقائق العلمية، لكن باعتماده الموضوعية في الطرح وعدم الميل لأي طرف، فبواسطة الوثيقة الأرشيفية استطاع الكثير من الباحثين في شتى العلوم والمعارف من إعداد بحوث علمية وأعمال كان لها بالغ الأثر في التاريخ، كما سمحت بتقديم صورة واضحة للواقع الذي كان سائدا في تلك الفترة التاريخية، خاصة الحقبة الاستعمارية، وما وقع فيها من أحداث تاريخية، ميزت ذاكرتنا الوطنية، وبالتالي لابد من الرجوع إلى الوثائق الأرشيفية حتى يتسنى لنا مساعدة أمتنا في المطالبة بحقوقها وبذاكرتها.

تعتمد الكتابة التاريخية على الوثيقة الأرشيفية، التي تعتبر بمثابة الآثار المخلفة، والأفعال التي تركها الأسلاف، فهي بصمة للأفكار، فإذا غابت الوثيقة ذهب التاريخ معها، وحتى وإن توافرت فلابد من حذو جانب

الحيطة في التعامل معها؛ ذلك أنه ثمة مجموعة من التقنيات والأسس المعتمدة في القراءة والتوثيق.

لقد أولت الحضارات منذ القدم عناية كبيرة للأرشيف، ولأهميته في كتابة التأريخ، حتى يظل شاهدًا على ما تركه السلف ومستشرفًا لمستقبلها، فهو بذلك مصدر لصيرورتها، حيث ذكر نابليون:

un bon archives est plus nécessaire à l'état que un bon General d'artère[2].

وستتناول هذه الورقة البحثية أهمية الوثيقة الأرشيفية وذلك بالتعريف بها، والتطرق للمحطات التاريخية التي مر بها، والوقوف على أقسامها. وأهميتها بالنسبة للبحث العلمي الأكاديمي.

قد تم تقسيم الأرشيف إلى عدة أصناف وإن هذا التصنيف يعتمد أساسا على حجم المجموعات الأرشيفية وأهميتها، والفضاءات المناسبة لحفظها والإدارة الأرشيفية العاملة عليها، والتنظيم المحكم وكذلك على عدد الموظفين العاملين ومستوياتهم التعليمية وخبراتهم، وبناء على هذه المعطيات يقسم الأرشيف إلى الأقسام التالية[2]:

1- الأرشيف التاريخي
2- الأرشيف القضائي
3- أرشيف الأدب والفنون
4- الأرشيف السياسي
5- الأرشيف الإداري
6- الأرشيف العسكري
7- أرشيف الهيئات والمؤسسات الدينية
8- الأرشيف السري
9- أرشيف الخرائط والأطالس

10- أرشيف الأختام والشعارات والنقود

هذه الأقسام والأصناف الارشيفية على اختلاف أنواعها، يظل الاطلاع عليها والاستفادة منها حبيس الحصول على ترخيص من المصلحة المسؤولة عن حفظ الأرشيف[2].

ويعتبر هذا تقليدا معتمدا في كل دور الأرشيف الدولية، التي تساهم في كتابة التاريخ، وبالتالي: فيم تتمثل أهمية الوثيقة الارشيفية؟ وكيف تساهم في كتابة تاريخنا الوطني؟

تؤدي الوثيقة الأرشيفية دورا هاما في حياة المجتمعات والبلدان، خاصة فيما يتعلق بالمناحي العلمية والاقتصادية والثقافية؛ إذ بواسطتها يمكن استشراف جميع الأمور الإدارية أو العلمية؛ فهي بذلك تشكل قيمة إثباتية، ولذلك سعت كل القطاعات الإدارية على إعطاء أهمية كبرى للوثيقة الأرشيفية، التي أصبحت تعتمد عليها في تسييرها الإداري، استنادا على الوثائق والمستندات الناتجة عن التراكم، فتعمل على تحليلها مقارنتها ونقدها، بغية الحكم عليها وعلى صحتها[3].

إن الوثيقة الأرشيفية في بداية الأمر تكون ذات قيمة عملية وإدارية، بيد أنها بعد مرور الزمن سرعان ما تتحول تلك القيمة، لتصبح ذات قيمة تاريخية، يمكن اعتمادها لإنجاز العديد من الدراسات والبحوث التي نستجلي منها مادتها الأولية، وبالاستناد عليها يمكن معرفة الظروف الاقتصادية والسياسية، والتعرف على العادات والتقاليد والعقليات ومختلف المظاهر اليومية، من ملبس ومأكل ومسكن، فالوثيقة الأرشيفية تعتبر مادة خاما يستجلى منها المؤرخون والأنثروبولوجيون والإثنوغرافيون والاقتصاديون واللسانيون مصادرهم الأولية لتكوين فكرة عن واقع الماضي، فالوثيقة الأرشيفية ضرورية كونها تحمل أخبار وتفاصيل الماضي[4].

وبالتالي فإن الوثيقة الأرشيفية ستظل شاهدًا وخزانا للحقائق التاريخية التي نحتاجها لكتابة وصناعة تاريخنا الوطني.

ولقد تمكن العديد من الباحثين في شتى العلوم والمعارف من إنجاز دراسات وكتابة بحوث كان لها بالغ الأثر في صناعة تاريخنا الوطني[7]، هذه الدراسات التي مكنت من تقديم صورة عن الواقع المعيش في كل مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر التي تبقي لكل واحدة خصوصياتها وهو ما أشار اليه الكاتب بيير شوني في قوله: (أخبرني عن التاريخ الذي تكتبه، أخبرك من تكون)[8].

هكذا فمواضيع الأبحاث واهتمامات المؤرخين الجزائريين تعد الوثيقة الأرشيفية التاريخية ذاكرة الأمة، فهي التي تسجل بها كل الأحداث الخاصة بالدولة وأنشطتها الرسمية وغير الرسمية، وتكمن قيمتها التاريخية والسياسية من خلال ما دُون فيها من حقائق ثابتة تنتفع بها الأجيال، حيث يذكر أبو حاتم الرازي في أساس البلاغة: "إذا بحثت ففتش وإذا كتبت فقمش[9] وإن البحث والتفتيش لا يكونان إلا في الوثيقة التي تعتبر من المصادر الأصلية والأساس لدراسة التاريخ والحضارة لاعتبارها موردا مادياً، تنبع منه الكثير من الحقائق الأصلية الخاصة بكل باحث يسعى للوصول إلى الحقائق العلمية، لكن باعتماده الموضوعية في الطرح وعدم الميل لأي طرف، فبواسطة الوثيقة الأرشيفية استطاع الكثير من الباحثين في شتى العلوم والمعارف من إعداد بحوث علمية وأعمال كان لها بالغ الأثر في التاريخ، كما سمحت بتقديم صورة واضحة للواقع الذي كان سائدا في تلك الفترة التاريخية، خاصة الحقبة الاستعمارية، وما وقع فيها من أحداث تاريخية، ميزت ذاكرتنا الوطنية، وبالتالي لابد من الرجوع إلى الوثائق الأرشيفية حتى يتسنى لنا مساعدة أمتنا في المطالبة بحقوقها وبذاكرتها المغتصبة[10].

ويعزى ذلك إلى العلاقة القائمة بين الخطاب التاريخي والتاريخ ذاته أي: الارتباط الموجود بين الخطاب التاريخي والمشاكل التي تواجه المجتمع والنخب العالمة، إضافة إلى التأثير فيما بين العلوم، والتداخل الحاصل بين مختلف أصحابها، مما ساهم في ظهور تخصصات تجمع التاريخ بالعلوم الإنسانية الأخرى، لتظهر عدة تخصصات؛ كالديموغرافية التاريخية، الأنثروبولوجيا التاريخية، التاريخ الإحصائي[11].

وبذلك استطاع الباحثون والمؤرخون الجزائريون تقديم دراساتهم اعتماد على الوثيقة الأرشيفية الموجودة على مستوى دور الأرشيف الوطني، أو تلك التي تظل حبيسة في دور الأرشيف فيما وراء البحار بإكس بروفانس، فانسان، وزارة الخارجية الفرنسية، الجيش البري وغيرها من الجهات.

وإن غدا الأرشيف يعتبر شاهدًا، والشاهد بطبعه لا يتحدث الا بعد استجوابه واستنطاقه، وإن نجاح عملية الاستنطاق هي التي ستحدد القيمة المضافة والتاريخية للبحث العلمي[12].

لقد أصبحت الوثيقة الأرشيفية من المصادر الهامة التي يحتاجها المؤرخ لبناء مادة تاريخية موضوعية، تتعلق بالتاريخ الوطني، وأصبح من الضروري على كل شخص أو هيئة عمومية أو خاصة أو إدارة: أن تعي أهمية الوثيقة الارشيفية وطريقة التعامل معها[13].

فالوثيقة تعتبر دليلا على استمراريتها، وشاهدٌا على مختلف الأنشطة الاجتماعية السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الواقع المعيش؛ فهي ماضٍ، تاريخ، هوية، تراث، استشراف، كما أنها تساعد على دفع عجلة التنمية الاقتصادية في بلادنا فهي ضمان لاستمراريتها، فالاعتناء بالوثائق الارشيفية يعتبر وفاء للماضي، ورسالة الشهداء، واستشعار متقن للحاضر، واستشراف لمستقبل الناشئة وعليه فإن قضية الأرشيف لا ترتبط بالماضي فقط، بل إنها أيضًا قضية مستقبل الأمة، ووفاء بوعد، وتحدي لبناء جزائر جديدة.

إن هذه الورقة البحثية تهدف إلى التعرف على أهمية الوثيقة الأرشيفية الورقية كانت أو الإلكترونية في مجال الدراسات التاريخية، فهي ذاكرة تاريخية، فهي توفر الوثائق التي واكبت الأحداث وتعتبر بمثابة مادة أولية لكتابة التاريخ، ولا غنى لأي باحث أو طالب تاريخي عنها، فتوفرها يضفي أهمية كبيرة للدراسات التاريخية المنجزة، رغم ما تكتنف عملية الحصول عليها في الكثير من الأحيان من الصعوبات والعقبات، وقد اعتمدت دور الأرشيف الوطنية والعالمية على مناهج وأساليب علمية متطورة جدا من أجل الحفاظ على أرشيفها الوطني والعالمي من التلف والضياع، وفي نفس

الوقت إتاحته للباحثين بغية تشجيع البحث العلمي، ولمواجهة إشكال غياب الوثيقة أو تعرضها للتلف، تم اعتماد سياسة الرقمنة للأرشيف؛ أي عرضه على الموقع الإلكتروني لدور الأرشيف المعنية، إلا أن ما يواجهه الباحثون الجزائريون، صعوبة الإلمام بكل الوثائق الأرشيفية المكتوبة، ما اضطرهم إلى الاعتماد على الأرشيف الإلكتروني الرقمي الخاص ببعض المكتبات ودور الأرشيف الفرنسية التي تضم وثائق أرشيفية، تؤرخ للحقبة الاستعمارية التي تساعد المؤرخين والباحثين الجزائريين في كتابة تاريخ الجزائر[14].

- الهوامش

1. ابن الصلاح مقدمة ابن صلاح ومحاسن الاصطلاح. تحقيق عائشة عبد الرحمن. دار العارف. **1964**. المجلد **1**. ص**312**.

2. محمد غالم: من أرشيف إدارة الاستعمارية في الجزائر الوثائق الفرنسية وهجرة إلى الديار الإسلامية، المجلة الجزائرية في انثروبولوجيا وعلوم اجتماعية على خط:

HMPS.JOURNAL.OPEN EDITION.ORG

تاريخ الزيارة: **25.05.2024**

3. أحمد بودوشة: التشريعات الأرشيفية وتكنولوجيا ودورها في دعم وتطوير الأرشيف الوطني، مجلة المكتبات والمعلومات، المجلد **2**، العدد **3**، ديسمبر **2003**.

4. سالم عبود الألوسي ومحمد محجوب مالك: الأرشيف تاريخيه أصنافه إدارته، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، **1979**.

5. عبد الله مقلاتي: أرصدة أرشيف الثورة الجزائرية، مركز الأرشيف الوطني الجزائري، أعمال الندوة الوطنية الدكتورالية وإشكالية كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر **2** نوفمبر **2016**، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، د ت، ص**19**.

6. العسكري بفانسان باريس أعمال الندوة الدكتورالية **02** نوفمبر **2016**. ص**53**.

7. لخضر عمراني: النزاع الارشيفي الفرنسي مبدا الإقليمية والسيادة الوطنية، مجلة العلوم الإنسانية، ص**141**.

8. سامية عزي: أهمية الأرشيف السمعي البصري في بناء الذاكرة الوطنية. مذكرة ماجيستر، جامعة الجزائر، **2013**، ص**137**.

9- LAGUERREDALGERIE**9**L**9**SECRET ENTRE VIOLANCE ET MEMOIr, EDITION BOOKS **2012** P**34**.

10. نور الدين مقدر: مصير وثائق الأرشيف الجزائري خلال العهد العثماني بعد استقلال الجزائر **1962**، أعمال الندوة الدكتورالية **02** نوفمبر **2016**، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، د ت، ص**108**.

11. بودويرة الطاهر: التنظيم والتشريع الأرشيف الجزائرية بين حجم النص وحقيقة التحديات قراءة في حقيقة التشريع الأرشيفي، مجلة العلوم الإنسانية، ص**171**.

12. عبد القادر دوحة: الأرشيف الجزائري بفرنسا من منضور القانون الدولي، مجلة الحوار المتوسطي، العدد **06**، مارس **2014**، ص**45**.

تـاريخ الجزائر المعـاصر في سجلات المحـاكم الشرعية
دراسة مركزة على سجلات مدينة الجزائر

الأستـاذ: عبد البـاسط قلفـاط
جـامعة جيلالي بونعـامة - خميس مليـانة

- مقدمة

إذا كانت الدراسات العلمية في الجامعات الجزائرية والأجنبية قد اهتمت بوثائق المحاكم الشرعية كمادة أساسية للبحث في قضايا تاريخ الجزائر الحديث منذ أكثر من نصف قرن، فإن البحوث الجادة التي تعتمد على هذه الوثائق للفترة المعاصرة مازالت محدودة رغم حاجة الباحثين إليها، خاصة وأنها تقدم مادة علمية ثرية للموضوعات المرتبطة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية، ومن ناحية ثانية تتوفر هذه الوثائق بآلاف السجلات على المستوى الوطني، تنتظر الباحثين في مختلف التخصصات العلمية والمعرفية؛ تسعى هذه الدراسة للتعريف بهذه الوثائق وخصائصها الفنية والموضوعات التي تناولتها وقيمتها العلمية بين مختلف الوثائق والمصادر المحلية والأجنبية التي تناولت تاريخ الجزائر المعاصر.

1- التعريف بوثائق الدراسة

أ- الخصائص العامة لسجلات المحاكم الشرعية

نشير في البداية إلى غلبة تسمية هذه الوثائق في الفترة المعاصرة بـ: "سجلات المحاكم الشرعية أو الإسلامية"، في حين كانت تسمى في الفترة الحديثة بوثائق المحاكم الشرعية، ولعل أبرز أسباب التسمية المعاصرة أن

هذه الوثائق أصبحت أكثر تنظيما وتحسنت بالتدريج خلال الخمسينيات والستينيات من القرن **19**، وأصبح السجل يضم مجموعة من عقود القضاة في موضوع واحد أو موضوعات متقاربة، في حين لم تكن كذلك خلال الفترة الحديثة، بل كانت في الغالب عبارة عن وثائق ولفائف، وقلما نجد سجلات تضم وثائق، مثل سجل صالح باي في قسنطينة.

إن هذه التغيرات والتحسينات التي لحقت بالسجلات تدريجيا كان الغرض منها في البداية تسهيل عملية المراقبة والمتابعة لعمل القضاة[1]، وفي المرحلة الثانية -بعد ستينيات القرن **19**- تمت العملية بالتعاون مع القضاة والفقهاء، عبر مجموعة من التشريعات بهدف "تنظيم" هذه السجلات في إطار عملية فرنسة القضاء الإسلامي[2]، وهي العملية التي استمرت طيلة القرن، فبعد السبعينيات أخذت هذه الوثائق طابعا جديدا في الشكل والمضمون، وانتقلت من سجل لعدة موضوعات إلى حالة السجل في موضوع محدد، معنون ومرقم، يصدر عن مصلحة إدارية قضائية محددة، ويؤشر عليه قبل التسليم للمحاكم، ثم يراقب بعد أن يملأ بأحكام القضاة، وقد سهلت هذه الإجراءات للإدارة الاستعمارية مراقبة عمل القضاة.

جاءت عملية المراقبة لعمل المحاكم الإسلامية في إطار اعتداءات الاحتلال على مؤسسة القضاء الشرعي، هذا الاعتداء الذي شمل تحديد صلاحيات القضاة ومراقبة عملهم وإصدار الأحكام وتطبيقها، بدأت هذه العملية منذ الشهر الأول لنزول جيش الاحتلال بمدينة الجزائر، لأن القضاة والعلماء كانوا متهمين بالسعي لعودة نظام الحكم الإسلامي والتعاون مع المقاومات الشعبية المسلحة، خاصة وأن آلية المتابعة والمراقبة الأمنية لم يعرفها القضاة في تاريخ هذه المؤسسة منذ فجر الإسلام، ولا في الفترة الحديثة حيث تبلورت مؤسسات الدولة والمجتمع في الجزائر؛ لقد سعى الجيش والإدارة للاطلاع على مختلف قضايا وتعاملات الجزائريين اليومية، والتعرف على الأشخاص والملكيات، في مرحلة -قبل **1850**- كانت المقاومة السياسية والعسكرية نشطة في مدينة الجزائر وضواحيها، ومساهمة العلماء

والقضاة فيها كانت قوية[3]، كما عرفت هذه المرحلة مجموعة من الاعتداءات من مختلف المصالح والموظفين على القضاء والشريعة والأوقاف والملكيات.

هذا ما جعل النخب العلمية والسياسية بصفة عامة تتوجس خيفة من كل تدخلات الإدارة الاستعمارية التي لم تكن بريئة، في هذه الظروف جاء موقف القضاة الرافض لإدخال هذه الإصلاحات على شكل السجل ومحاور ومضمون الرسوم[4].

- الخصائص الخارجية للسجل: قبل البدء في دراسة مضمون ومواضيع عقود القضاة التي ضمتها سجلات المحاكم يجدر بنا التعرف على خصائصها الخارجية، وهي محطة ضرورية تساعد الباحث على تتبع تطور هذه الوثائق ومعرفة أهميتها ومقارنتها بنظيرتها في البلاد العربية والإسلامية، وكذلك بوثائق المحاكم الشرعية في الجزائر للفترة الحديثة، بل وعلاقتها بكتب النوازل التي ضمت فتاوى وأحكام القضاة لعدة قرون سابقة قبل الفترة المعاصرة.

لقد حررت أحكام القضاة في سجلات متنوعة في الحجم وعدد الصفحات، فبعد الاطلاع على أزيد من أربعمائة سجلا (**400**) بين مالكي وحنفي وبعض السجلات الإباضية، وجدنا مقاييسها تتراوح بين **20**/**34**سم و**35**/**45**سم، ولهذا قمنا بتصنيفها من حيث الحجم -أو المقياس- إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول وهي قليلة العدد، مقياسها **20**/**30**سم، أغلب سجلات هذا المقياس تتضمن جرد لأحكام القضاة في مختلف السجلات، كما نجد هذا الصنف خاصة في السجلات الإباضية، وأغلب السجلات المالكية في هذا المقياس غير مرقمة الصفحات والأحكام، وترقيم الحكم يبدأ من أول جانفي لكل سنة، وإذا انتهى السجل بصفحاته المعلومة والمحددة يبدأ سجل آخر بصفحات جديدة وأرقام مستمرة للسجل السابق، ويتجدد الترقيم مع بداية كل سنة، ويمكن للسجل أن يشتمل على عدة سنوات[5].

والصنف الثاني مقياسه **24/34**سم، وجاء في مرحلة الستينيات حيث عرفت السجلات تنظيما أكثر، ويلاحظ في هذا الصنف انتظام السجلات في عدد الصفحات؛ ويصبح هو المقياس الغالب بعد السبعينيات، وتنتظم عدد الصفحات بـــ: **220** صفحة.

والصنف الثالث وهو قليل جدا مقياسه **35/45**سم، نجده في السجلات المالكية والحنفية، خاصة للسنوات السابقة لسنة **1870**، لا سيما سجلات المجالس الشرعية، التي اختفت تدريجيا بعد **1870**، أما عدد الصفحات فهي غير منتظمة وفي الغالب غير مرقمة، فسجل المحكمة المالكية رقم **001** لسنوات **1845-1852** غير مرقم، والسجلان رقما **004** و**005** الخاصان بالمجلس الشرعي عدد صفحاتهما على التوالي **148** و**284** صفحة، ونجد سجلات أخرى بعدد **110** صفحة[6]؛ مع التنبيه إلى خروج بعض السجلات على المقاسات السابقة بسنتمتر واحد أو اثنين في الطول والعرض لكل صنف[7]؛ أما من حيث عدد الصفحات فمعظم السجلات بعد سنة **1870** يبلغ عدد أوراقها **110** بـــ: **110** صفحة أو **220** صفحة[8].

سجلات المحاكم للفترة المدروسة متشابهة في الإخراج العام، باعتبارها تصدر من مصلحة إدارية واحدة، فالكتاب يسجلون أحكامهم باللغة العربية معتمدة الخط المغربي القديم، على صفحات مخططة ومقسمة إلى مجموعة من الخانات، عادة ما يبدأ النص بعنوان باللون الأحمر في وسط الصفحة أو الخانة المخصصة لتسجيل الأحكام، ويترك الكاتب فراغ في آخر الحكم من سطر واحد فقط يفصل بين الحكم السابق والآتي.

ب- أقسام عقد القاضي

حكم القاضي أو القضية التي تضمنها السجل هي عبارة عن شكوى أو نزاع أو معاملة بين اثنين أو أكثر، وتأتي تحت تسميات مختلفة مثل: شراء، بيع، وكالة، زواج، طلاق، نفقة، إيصاء وغيرها؛ ولمختلف القضايا عادة عنوان وثلاثة أقسام رئيسة، والعنوان يخبر بمضمون الحكم، ونجده في أغلب السجلات في وسط الورقة باللون الأحمر[9]، والقسم الأول يتضمن افتتاحية

الحكم، والقسم الأوسط الأساسي يتعلق بمحور القضية من ذكر للخصوم أو أطراف المعاملة وتفاصيل القضية ثم إعلان حكم القاضي، والقسم الثالث هو الخاتمة التي يعود فيها النص لإثبات السيادة الفرنسية على القضاء الإسلامي، ثم تاريخ الحكم وتوقيع الشهود والقاضي، هذه هي المحاور العامة، التي يلتزم بها الكتاب وفق نموذج تخريج النصوص الممنوح لهم، فهي من هذه الناحية ذات صبغة إدارية، تشبه باقي رسوم القضاة الشرعيين في البلاد العربية والإسلامية في هذه الفترة[10]، إلا أن رسوم القضاة في الجزائر بعد منتصف القرن **19** أصبحت تتضمن تفاصيل أكثر عن المتقاضين والشهود وموضوع القضية، وهو ما أعطى قيمة علمية لهذه الوثائق.

إن سجلات المحاكم الشرعية في المرحلة الاستعمارية أدخلت عليها بعض التعديلات والإضافات، منها ما يتعلق بالشكل الذي يثبت تبعية القضاء الإسلامي للدولة الاستعمارية، وهو ما تضمنه مدخل الحكم ونهايته، ومنها ما يتعلق بالمضمون، وهو ما شملته المعلومات المفصلة حول طبيعة الخصومة والمتقاضين والشهود خاصة، لتفادي تجدد المنازعة.

لعل أبرز محطات العقود التي تمدنا بمعلومات دقيقة وصحيحة ومن ثم مادة علمية قيمة هي مضمون القضية التي تعرفنا بطرفي المعاملة: اللقب، العنوان، الحرفة أو الوظيفة، رقم بطاقة الهوية، اسم الوكيل، ثم وقائع الدعوة، كما يستمع القاضي ويسجل شهادة الشهود من خارج المحكمة، حسب مواضيع بعض القضايا؛ لقد تميّزت النصوص بذكر عدة صيغ متشابهة تتضمن أسماء الشهود في الأحكام، مع التعريف بهم تعريفا مختصرا كافيا لمعرفتهم، بذكر الأسماء كاملة ووظائفهم وحرفهم[11]؛ وإذا تعلق النص بنزاع أو معاملة حول عقار تحدد حدوده، وكل ما يتعلق به واثبات ملكية صاحبه له وكيف انتقل إليه[12].

يشير عدول المحكمة في بعض المسائل إلى المصادر الفقهية التي رجع إليها القاضي، وأحيانا النصوص التشريعية للإدارة الاستعمارية التي تسمح له أو تعفيه من النظر في القضية[13]، وأحيانا تتوسع النصوص في ذكر

ومناقشة المصادر الفقهية لأحكام القضاة وتأخذ عدة صفحات، خاصة اذا تدخل المفتي في المسألة، أو عرضت من قبل على محكمة أخرى، وتبين للقاضي رأي آخر وحكم مخالف؛ وهو ما يكشف على الجانب الفقهي والثقافي للقضاة، عندما يرجعون لمختلف المصادر ونوازل وفتاوى العلماء من قبل، وتقاليد وعادات المجتمع التي كثيرا ما تؤخذ بعين الاعتبار ويشار إليها في مضمون النص.

في آخر الحكم نجد ما يعرف بالفقرة الختامية التي تشتمل على مجموعة من العبارات والصيغ لإضفاء الصفة الشرعية والقانونية على الحكم، وضمان تنفيذه، خاصة عندما يطلب من الولاة والموظفين الفرنسيين السهر على عملية التنفيذ، بصيغة: "الحكم الجمهوري الذي أوصى وأمر جميع الولاة والعمال المتصرفين في خدمة الدولة بقيامهم ووقوفهم على تنفيذ هذا الحكم وبصحة ما ذكر"[14]، وتختفي هذه العبارة في بعض الرسوم التي لا تتسم بطابع المنازعة، وبعده يذكر الكتاب كلفة الرسم الواجبة على طالب الدعوة[15].

آخر ما يذكر في الرسم تاريخه، فنجد التاريخ الهجري والميلادي أو أحدهما، وقد تعددت صيغ ذكر التاريخين الهجري والميلادي وترتيبهما، تبعا لأشكال ومراحل فرنسة القضاء، ولمدى استجابة العدول لتلك التشريعات[16]؛ بعد الانتهاء من كتابة النص نجد اسم القاضي ونوابه مع التوقيعات، وختم القاضي[17].

ج- أرشيف سجلات المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر

عندما نرجع إلى الأرشيفات المحلية كواحدة من المصادر الأولية في التاريخ الحديث والمعاصر، تعتبر سجلات محكمتي مدينة الجزائر المالكية والحنفية، أهم السجلات المعاصرة وأساس الوثائق المحلية المحفوظة بدور الأرشيف، والتي وصلت إلينا أغلبها بحالة جيدة، نتمكن من خلالها من إعادة بناء واقع المجتمع بصورة حية ودقيقة.

تغطي السجلات الفترة الممتدة بين **1845** إلى **1973**، ويزيد عددها عن الألف سجل، مكتوبة كلها باللغة العربية مع ترجمة ملخصة باللغة الفرنسية، وتنقسم تلك السجلات في مدينة الجزائر كباقي القطر حسب مضمونها إلى خمسة أقسام، حددها أولا قرار الحاكم العام الصادر في **29** جويلية **1948**[18] وهي: سجل الزواج والطلاق، سجل البيوع والأحباس، سجل الودايع والأمانات، سجل المداخيل والمصاريف، وسجل الأحكام المختلفة، إضافة إلى سجل الفهرسة الذي يتضمن جدولة لعناوين وتاريخ العقود[19]؛ ومن صعوبات البحث فيها غياب فهرس مفصل يوضح أقسامها، ويبين مضمونها، ويجمع مادتها التاريخية في جداول تمكن الباحث من استغلال محتوياتها، والانتفاع بما تتضمنه من معلومات عن الحياة اليومية في مجتمع المدينة؛ أما أنواعها من حيث تبعيتها للمذهب الفقهي فهي على ثلاثة:

- أولا: سجلات المحكمة المالكية(محكمة القسم الأول)، وهي أكثرها عددا، مقر المحكمة بالجامع الكبير[20]، وتسمى بالمحكمة "القبلية" والمقصود بها الاختصاص الجغرافي الإداري في مدينة الجزائر وضواحيها الجنوبية، وتتوزع هذه السجلات بين مركز الأرشيف الوطني(من **1845** إلى **1920**)، كما نجد به سجلات المجلس الشرعي الذي كان يجمع المحكمتين المالكية والحنفية، وكذلك أرشيف وزارة العدل (**1921-1973**)[21].

- ثانيا: سجلات القاضي الحنفي، وهي تابعة لما يسمى في التشريعات الفرنسية بمحكمة القسم الثاني، أو المحكمة "الظهراوية" المقابلة للبحر ومقرها بالجامع الجديد، وتخص -رسميا- سكان المدينة فقط، ولكن في الفترة المدروسة أصبحت مقصودة من الضواحي والمدن الداخلية، وكثيرا ما تنتقل القضايا والمنازعات بين المحكمتين؛ تتواجد كل هذه السجلات عند أحد الموثقين بساحة الشهداء التابع لوزارة العدل، وبعضها موجود بمركز الأرشيف الوطني.

- ثالثا: سجلات قضاة المحكمة الاباضية وهي قليلة جدا، أغلبها تخص القضايا التي تقع بين أتباع المذهب الاباضي، الذين يسكنون مدينة الجزائر والمدن القريبة منها **22** تتواجد هذه السجلات بمركز الأرشيف الوطني

وبأرشيف وزارة العدل، ولا يتجاوز عددها بمركز الأرشيف الوطني خمسة عشر سجلا[23].

لقد قصد محاكم مدينة الجزائر إضافة إلى أهالي المدينة سكان الضواحي والمدن المجاورة، الذين يقصدون المدينة يوميا أو أسبوعيا، ويرفعون قضاياهم لقضاتها، وكذلك سكان المدن الداخلية، خاصة القادمين من السلسلة التلية وبلاد القبائل ومنطقة الزيبان وحتى من الجنوب مثل الاغواط وغرداية؛ لقد كون كل هؤلاء مجتمع المدينة المرتبط بعمق البلاد بروابط اقتصادية واجتماعية وحضارية.

وقد تناولت تلك الوثائق الكثير من الظروف الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدن الداخلية[24]، وقدمت مادة تاريخية معتبرة وقيّمة سمحت بتتبع فضاءات مجتمع مدينة الجزائر في هذه المرحلة التاريخية، وتسجيل التغيرات التي طرأت عليه حالة بحالة ويوما بيوم؛ إضافة إلى أنها كانت أول مدينة تتأثر بالوجود الاستعماري، بعدما ألغيت أو همشت مؤسسات الدولة والمجتمع، وتأثرت بدخول العنصر الأوروبي الجديد، فتراجع عدد سكانها[25]، وتغيرت تركيبتها الاجتماعية، مما أثر في العقود التالية على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسكانها، وهو ما تكشفه وثائق المحاكم الشرعية التي كانت شاهدة على مختلف التغيرات بعد نصف قرن من الاحتلال.

2- الموضوعات التي تناولتها السجلات

تتجلى أهمية دراسة تغيرات المجتمع الجزائري في الفترة المعاصرة، إذا وضعنا في الاعتبار المرحلة التاريخية الجديدة التي دخلها المجتمع بعد **1830**، حيث شهدت تحولات عميقة، ويتضح هذا في تغييب وتحييد وتراجع دور مؤسسات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مثل الأوقاف والقضاء والجماعات الحرفية والمساجد وغيرها، بسبب دخول عناصر جديدة على المجتمع ذات طابع استيطاني، محمية بسلطة استعملت كل الوسائل العسكرية والتشريعية والسياسية لاستبدال مؤسسات بأخرى، في إطار نظام

استعماري رأسمالي استغلالي يسعى إلى إلغاء الآخر؛ وقد أسفرت هذه الاستراتيجية عن هجرة كبيرة من المدينة كان من أبرز نتائجها تغيرات في الخريطة الاقتصادية والاجتماعية خاصة.

إن سجلات المحاكم الشرعية تشتمل على أحكام القضاة واجتهاداتهم في كل ما يعرض عليهم من مسائل ومنازعات ومعاملات، في حدود ما سمحت به التشريعات الفرنسية من اختصاصات وصلاحيات للقضاة عبر مسيرة الاعتداءات طيلة القرن **19**؛ ورغم فقدان القضاة إلى الكثير من صلاحياتهم في المجالات الجنائية والمعاملات المالية والاقتصادية مع تدخل المحاكم الفرنسية ومؤسسات الإدارة الاستعمارية حتى في قضايا الأحوال الشخصية، فإن عقود القضاة بقيت تشتمل على معلومات وحقائق مهمة في مختلف جوانب حياة الأفراد والمجتمع، خاصة منها الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية.

أ- الحياة الاقتصادية

تغطي وثائق المحاكم الشرعية للفترة المعاصرة مختلف الأنشطة الاقتصادية للمجتمع الجزائري، سواء كانت في الريف أو المدينة، وتشمل النشاط الزراعي وتربية الحيوانات والحرف في المدينة وكذلك الأنشطة التجارية داخل المدن وخارجها.

إذا كان اقتصاد المجتمع الجزائري خلال الفترة الحديثة والمعاصرة يرتكز أساسا على الأرض، فان عقود القضاة قد أمدتنا بمادة ثرية عن الملكية العقارية وكيفية انتقالها خاصة بين الجزائريين، وإذا رجعنا إلى السجلات الحنفية والمالكية لمدينة الجزائر نجدها غطت النشاط الفلاحي بضواحي المدينة وبالمدن الداخلية، بداية من طرق انتقال ملكية الأرض، وعددها سبعة هي: البيع الكامل وتسميه هذه الوثائق "ببيع البت"، وهي مصطلحات فقهية موجودة في نوازل العلماء والفقهاء خاصة في المدرسة المالكية بالمغرب والأندلس، وهنا عادة ما تسبق معاملة البيع عقد إثبات الملكية للأرض التي يريد صاحبها بيعها[26]، وأبرز ما تقدمه هذه العقود معلومات مفصلة

ودقيقة عن الأرض أو العقار وأطراف المعاملة -البائع والمشتري- والشهود وطريقة دفع حقوق البيع[27]؛ ومن صيغ انتقال ملكية الأرض بيع الثنيا وهو بيع رغم وروده بكثرة عند القضاة فهو مسموح به عند فقهاء المالكية فقط، وهو بيع مؤقت يشبه الرهنية، هذه الأخيرة هي الوسيلة الثالثة لتحول الأرض من مالك لآخر، إضافة إلى الشفعة التي عادة ما تنتقل به الملكية داخل العائلة أو العرش فقط، وهي تشبه المناقلة أو المعاوضة، وآخر هذه الصيغ "الهبة" التي نادرا ما تخرج من العائلة إلى فعل الخير[28].

تقدم هذه الوثائق أيضا معلومات كثيرة عن طرق استغلال الأرض في مختلف الأنشطة الزراعية بين الأراضي الغابية والمزروعة حبوب وخضروات وبساتين وتربية الحيوانات، ويمكن إجمال تلك الطرق في طريقتين أساسيتين هما: الاستغلال المباشر حيث يستغل الفلاح أرضه بنفسه وبإمكانياته وعناصر رأسمال النشاط الزراعي، أو الاستغلال غير المباشر، وهنا ترد مجموعة من المصطلحات الفقهية والتراثية التي تضمنتها عقود القضاة مثل: المغارسة، المزارعة، المناصفة، الخجة وبلفرد... الخ، وجل تلك الصيغ تتفرع عن آلية الشركة في النشاط الزراعي وكذلك تربية الحيوانات[29].

أما النشاط الحرفي في مدينة الجزائر فقد تناولته سجلات المحكمة الحنفية أكثر عكس النشاط الزراعي الذي نجده بعقود القاضي المالكي، وغطت هذه السجلات أزمات القطاع بدقة مع إبراز تجاوز أزمة الحرفي وضعه الاقتصادي إلى حياته الأسرية والاجتماعية، نجد هذا خاصة في عقود "الإفلاس" و"بيع المنزلة" وسيطرة اليهود على بعض الحرف وتدخلهم في معظمها عن طريق وسيلتي القروض الربوية والتحكم في المواد الأولية للحرف[30]؛ تغيب في وثائق المحاكم الشرعية بسرعة التنظيمات (الجماعات) الحرفية ودورها الحضاري المعهود في مجتمع المدينة، وقد كان مصيرها كباقي مؤسسات المجتمع التي همشت وسيطر عليها الاحتلال.

شهدت عقود القضاة على التراجع السريع لفئة التجار الجزائريين الكبار وترك مكانهم للتجار المستوطنين بعدما امتلكوا الوسائل والقدرات، حتى أصبح التجار الجزائريون يزاحمون الحرفيين في نشاطاتهم داخل

المدينة في عقود الشركة بكل صيغها، وفي استثمار أموالهم تحت اسم "القراض"[31]، وتقدم هذه الوثائق الكثير من النماذج لإفلاس هذه الفئة الاقتصادية وخروجهم من السوق رغم حضورهم القوي، ومما تعرضت له هذه الوثائق ظروف ومراحل تطبيق النظام المتري في الجزائر مع بقاء تداول المقاييس والأوزان والمكاييل التقليدية.

ب- الأسرة والعلاقات الاجتماعية

مسائل الأسرة والعلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري أخذت حجما كبيرا في سجلات المحاكم الشرعية، وذلك لعدة اعتبارات أهمها: أن القضاة وهم العلماء الفقهاء المكلفون شرعا وقانونا منذ قرون بالسهر على حقوق كل أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة، ولذلك نجد هذه المسائل في سجلات خاصة بقضايا الأحوال الشخصية وفي السجلات الأخرى التي تتناول قضايا البيوع والوكالات والأحكام العامة، ومن جهة أخرى فان قضايا الأحوال الشخصية لم تستول عليها سلطة الاحتلال الفرنسي كما استولت على كل صلاحيات واختصاصات القضاة في المسائل المالية والجنائية وغيرها، بل كان القضاء عموما وقضايا الأحوال الشخصية خصوصا تمثل الدين عند المجتمع، ورفض الجزائريون أن يتحاكموا فيها لدى المحاكم الفرنسية أو قوانينها، وتعددت احتجاجاتهم وعرائضهم طيلة فترة الاحتلال.

نجد القضايا الأسرية في سجلات خاصة بها مثل سجلات الزواج (العصمة) والطلاق والرجعة، وتوزعت تلك القضايا أيضا في سجلات وعقود تشترك مع المسائل الاقتصادية والثقافية والدينية، مثل سجلات البيوع والحبوس والوكالات والأحكام العامة، فنجد في الأولى عقود الزواج وما تحتويه من حقوق الزوجين وحضور الشهود وأركان الزواج، وكذلك أحكام الرجعة والطلاق وما تتضمنه من حقوق الأولاد والحرص على حماية الأسرة من الضياع في مثل رسوم "السكن بالزوجة عند أمين"؛ أما في السجلات غير الخاصة بالأسرة، فتظهر أفراد الأسرة وحقوقهم في مسائل الفريضة والكفالة والأوقاف والإفلاس والإيصاء على القصر واليتامى ثم ترشيدهم عند البلوغ، وكذلك حقوق الورثة في قضايا البيوع وحق الزوجة أو المطلقة في مؤخر

الصداق عند تصفية أملاك الزوج وغيرها من عشرات عناوين الرسوم التي يحررها عدول المحكمة في مختلف السجلات[32].

نشير كذلك إلى خاصية في موضوعات هذه الوثائق، وهي تداخل الموضوعات الاجتماعية مع الاقتصادية والثقافية في عدد من الرسوم، فكل الرسوم التي تتضمن تصفية أملاك المتوفى أو المفلس وهي عادة تلي رسم انجاز "فريضة" المتوفى أو إعلان إفلاس المعني الذي عادة ما يكون صاحب صنعة وله نشاط معين كتاجر أو حرفي أو فلاح، وعند تحصيل حقوق الورثة والغرماء نجد على رأسها حقوق الزوجة أو الأرملة من مؤخر الصداق أو دين الزوجة على زوجها قبل دفع حقوق غرماء السوق؛ ومن نماذج تداخل هذه القضايا معرفة الحالة الأسرية لمختلف الشخصيات ومنها العلمية، حيث نتعرف على نسبها وأفراد الأسرة من زوجة وزوجات وأبناء، بدقة الأسماء والتواريخ والسن ونصيب كل واحد من الإرث العائلي أو الأملاك.

من الموضوعات التي تتداخل فيها الجوانب الاقتصادية بالاجتماعية الوقف العائلي (أو الذري) الذي من وظائفه الحفاظ على تماسك العائلة، التي يبقى أفرادها يرتبطون بذلك الوقف ويستفيدون من ريعه حسب وصية صاحبه، وحتى الوقف الخيري على قلته في هذه المرحلة فله بعده الديني والاجتماعي والثقافي ومساهمته الاقتصادية في المجتمع.

يكشف حضور المرأة في مجتمع المدينة على دورها الاقتصادي والاجتماعي، خاصة وأن المجتمع الجزائري في هذه المرحلة الحرجة من تاريخه انهارت قدراته المادية ومقوماته الاقتصادية؛ لقد كشفت البحوث التي اعتمدت على هذه الوثائق على أهميتها لدراسة تحولات المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، ومنها ظاهرة الهجرة الطوعية أو الاضطرارية التي مست المدن والريف على السواء، فلقد عايش القضاة والعلماء ظروفا سياسية واجتماعية واقتصادية وأمنية صعبة خلال فترة الاحتلال، أضرت بالمجتمع الجزائري في مقوماته المادية والحضارية، وعقود القضاة كانت شاهدة على تلك التحولات بالتصريح أحيانا وبالتلميح حينا آخر، لأنها وثائق ذات طابع إداري ومراقبة من المصالح المدنية والعسكرية.

لقد غيّبت تلك الظروف الزوج بالوفاة أو الهجرة أو الخروج من سوق العمل، مما اضطر المرأة كزوجة أو أم أن تخوض غمار الحياة الاقتصادية لتعول أسرتها، وبعضهن استثمرن أموالهن وحليهن في أنشطة اقتصادية صغيرة ومتوسطة، وفي كل الأحوال تحملت المرأة أعباء وأزمات مختلف الأنشطة الاقتصادية، فدفعت ديون الزوج والولد لإخراجهما من السجن أو ضمان استمرار نشاطهما، وأعانت الزوج ووالده لشراء أدوات الفلاحة وورشة الحرفة، بل شاركت أفراد الأسرة وأطراف السوق في أنشطة تجارية وحرفية وغيرها[33].

لعل من أبرز الموضوعات التي تناولتها هذه السجلات قضايا المهاجرين الجزائريين، حيث توزعت أخبارهم وقضاياهم في مختلف السجلات الشرعية خلال الفترة الاستعمارية، ولكننا نجدها بكثرة في سجلات: الأوقاف، الأحكام المتنوعة، التركات والبيوع؛ لقد قدمت هذه الوثائق معلومات قيمة عن الظروف التي هاجر فيها الجزائريون من بلادهم ومصير أسرهم وأموالهم وحرفهم وممتلكاتهم العقارية داخل المدن وخارجها، وهي هجرة عادة ما يقسمها الباحثون من حيث وجهتها إلى مرحلتين، الأولى كانت نحو البلاد العربية والإسلامية خلال القرن **19**، والثانية نحو فرنسا التي اشتدت مع الحرب العالمية الأولى خاصة[34]؛ وبالتالي تساعد هذه الوثائق الباحثين من سد الكثير من الثغرات في الكتابة التاريخية حول هذه الموضوعات، وتغطية النقص الذي أوجدته المصادر الأوربية والكتابات التاريخية المعتمدة على أحادية المصادر.

ج- الموضوعات الثقافية والدينية

إضافة إلى النصوص التي تتقاطع فيها مختلف الموضوعات التي تمس بالمجتمع، فان سجلات المحاكم الشرعية للفترة المعاصرة تمدنا ببعض القضايا الثقافية والدينية، وهي وان قلت مقارنة بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية فان بعضها يرتقي إلى المستوى العلمي.

تناولت هذه الوثائق الأوقاف المحبسة على المؤسسات التعليمية والدينية كالمدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب، كما قدمت أخبارا مفصلة ودقيقة عن تولية القضاة ونوابهم والمفتين وأئمة المساجد والموظفين بها[35]، وعند وفاة الشخصيات العلمية والدينية تأتينا أخبارهم وأخبار أسرهم في عقود الوفاة والفريضة وتصفية الأملاك، فتتبين إن كان الفقيه له أملاك وأموال أم لا، ونتعرف أحيانا على مكتباتهم التي قد تباع في المزاد العلني أو توقف في إحدى المؤسسات التعليمية والدينية[36]؛ ومن المسائل العلمية التي وردت في سجلات المحاكم الشرعية المصادر الفقهية التي يستدل بها القضاة في أحكامهم وعقودهم، خاصة إذا وقع نقاش بين العلماء والقضاة في مسألة ما، فنجد فقهاء وعلماء من المذاهب الأربعة، لا سيما عندما تحول المسألة إلى المجلس العلمي -قبل أن يختفي في نهاية السبعينيات من القرن **19**- حيث يلتقي المفتيان والقاضيان وعلماء آخرون مع كتاب وعدول المحكمتين للتشاور والنقاش فيما رفع إليهم من قضايا المحاكم.

3- القيمة العلمية للسجلات

أ- اهتمامات الباحثين بهذه السجلات

إن الرجوع إلى هذه الوثائق من طرف الباحثين اليوم لكتابة تاريخ الجزائر المعاصر هو أكثر من ضرورة، فبالرغم من أهمية فترة القرن **19** الذي شهد تحولات كبيرة في المجتمع الجزائري، وأحدثت انقلابا في أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فان الدراسات التاريخية والاجتماعية المعتمدة على هذه الوثائق قليلة جدا، ورغم توفر هذه المادة الوثائقية لدى الباحثين الفرنسيين قبل الاستقلال إلا أننا لم نعثر لهم على دراسات علمية تعتمد على هذه الوثائق كمادة أولية[37]؛ بالنسبة للفترة الحديثة ظهرت منذ أواخر القرن الماضي مجموعة من الدراسات في هذا المجال لباحثين جزائريين وأجانب[38]، تعتمد على عقود المحاكم الشرعية أساسا[39]، تناولت الجوانب العمرانية والسكانية والاجتماعية، وخاصة ما تعلق منها بدراسة وضعية الأسرة ومسائل الزواج، واختصت كذلك بمدينتي الجزائر وقسنطينة في الفترة الحديثة وبداية الفترة المعاصرة[40].

أما الدراسات الأكاديمية في الجزائر التي اعتمدت على سجلات الفترة المعاصرة فهي محدودة جدا، وبدأت تظهر منذ عقدين فقط، ومنها أطروحتي للدكتوراه التي نوقشت سنة **2016** بجامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، تحت إشراف الدكتور جمال قنان وطبعت تحت عنوان: "الحياة الاقتصادية لمجتمع مدينة الجزائر من خلال وثائق المحاكم الشرعية**(1886–1930)**"، واعتمدت فيها على سجلات المحكمتين المالكية والحنفية لمدينة الجزائر؛ وناقشت كذلك الباحثة يامنة بحيري رسالة ماجستير وأطروحة دكتوراه بنفس الجامعة، وصدرت الأولى في كتاب تحت عنوان: "المعنى الظريف في تاريخ شرشال الحديث: مجتمع شرشال في النصف الثاني من القرن 19 من خلال وثائق المحاكم الشرعية"، وأطروحتها للدكتوراه عنوانها: "الأسرة والمجتمع في منطقة شرشال من **1873** إلى **1914** من خلال وثائق المحاكم الشرعية"، وقد اعتمدت على سجلات محكمة شرشال؛ إضافة إلى أطروحة الدكتوراه للباحث عبد الله بابا من جامعة أدرار تحت عنوان: "الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي **1900–1962** من خلال سجلات المحكمة الشرعية"، نوقشت سنة **2019**. وفي جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة قدم الباحث عثماني الجباري رسالة الماجستير بعنوان: "مدينة الوادي... الحياة الاجتماعية والاقتصادية في النصف الثاني من القرن 19م من خلال سجلات المحاكم الشرعية" سنة **2009**م؛ ثم قدم أطروحة الدكتوراه بنفس الجامعة سنة **2017** تحت عنوان: "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في وادي سوف بين **1918–1954** من خلال سجلات المحاكم الشرعية"[41].

تفتح هذه الوثائق آفاقا واسعة أمام الباحثين خاصة وأنها متوفرة بعدد من مراكز الأرشيف الوطنية وبالبلاد العربية والإسلامية وهي متشابهة في موضوعاتها وخصائصها الفنية الداخلية والخارجية مما يسمح بمقارنتها بنظيرتها في الحواضر العربية وكذلك بفتاوى ونوازل الفقهاء قديما وحديثا في مختلف البلاد العربية؛ ويمكن اقتراح هذه السجلات على طلبة الماستر كمرحلة أولية للتعرف عليها، ثم مواصلة دراسة مضمونها في مرحلة

الدكتوراه من خلال تناول موضوعا من موضوعاتها وهي كثيرة وترتبط بمختلف المجالات العلمية والمعرفية، ويحتاجها الباحثون في تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية والعمرانية، وتمكنهم من التحرر من النظرة التي حملتها معظم المصادر الغربية والاستشراقية منها على وجه الخصوص.

تكمن أهمية هذه الوثائق أولا في حجم ونوعية المعطيات التاريخية التي تحتويها وثانيا توفرها بكامل القطر الجزائري[42]؛ كما تتوفر بالأقطار العربية والإسلامية وترتبط بفتاوى الفقهاء ونوازلهم، بل كان الكثير من الجزائريين يطرحون قضاياهم ومنازعاتهم ويسجلون عقودهم الاجتماعية ومعاملاتهم الاقتصادية عند قضاة المغرب والمشرق؛ ومصادر القضاة العلمية والشرعية واحدة أو متقاربة، وفي الجزائر تعاون قضاة وفقهاء المذهبين المالكي والحنفي في توثيق معاملات الأهالي وحل منازعاتهم وتسجيل تبرعاتهم الوقفية؛ وخلال القرن **19** تعددت عقود القضاة في مسائل الأحوال الشخصية والمعاملات الاقتصادية التي تتضمن أسماء الفقهاء في المشرق والمغرب الذين ينتمون للمذهب المالكي وغيره من المذاهب الفقهية؛ وهذا رغم محدودية التخصصات القضائية التي أبقتها إدارة الاحتلال للقضاة نهاية **19**[43].

ب- الأهمية العلمية لسجلات المحاكم الشرعية للفترة المعاصرة

إن لوثائق سجلات المحاكم الشرعية في الفترة الحديثة والمعاصرة مكانة كبيرة وأهمية بالغة، لما تحمله من مادة خام عن الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسكانية، ولما ترصده من أحداث تكشف عن التغيرات التي طرأت على المجتمعات؛ لذلك فهي تشكل مصدراً صافياً عن الوقائع والحقائق، وتمد الباحثين والدارسين بمادة أساسية في المجالات المختلفة، كالتاريخ والآثار واللغة والقانون والعمران والاقتصاد والاجتماع، وتفسر بعض الحوادث والتشريعات الإدارية والتنظيمية؛ ورغم تراجع اختصاصات المحاكم الشرعية في بعض الأقطار سواء نتيجة لتبعيتها للإدارة الاستعمارية أو لصالح القضاء المدني المعاصر، فإن وثائقها تشتمل إجمالا على معلومات وحقائق في عدة مجالات، مع الكشف عن دور مختلف الفئات

الاقتصادية والاجتماعية في الريف والمدينة، كما تحدد لنا أيضا الوظائف الدينية والحربية والإدارية والقضائية والألقاب، وتغطي النواحي الاقتصادية كالإنتاج الزراعي وأنواع الحرف وتنظيماتها المختلفة، وأشكال وطرق الاستغلال والاستثمار في مختلف القطاعات الاقتصادية، كما تعرفنا بالقطاع الخدمي والأسعار والموازين والمكاييل.

فضلا عن ذلك فهي توفر لنا معلومات عن الحالة التعليمية والشخصيات الثقافية والمصنفات العلمية والثقافية، والأماكن الأثرية وتاريخها وأحوالها، والمساجد والقرى والحواضر التي ترد في الوثائق؛ وفي الجزائر – على سبيل المثال– تكشف هذه الوثائق على تأثير اللغة الفرنسية في اللغة العربية، من قبيل دخول الألفاظ والمصطلحات وأسماء المدن والشوارع وتأثر لغة وتركيب الجملة العربية بها[44]؛ ومن خلال ذلك يتبين لنا المستوى العلمي للقضاة والفقهاء في هذه المرحلة ومدى تأثرهم بشروط وظروف التكوين الجديدة، إضافة إلى أن هذه الوثائق تبرز دور الحواضر الكبرى وعلاقتها الاقتصادية والحضارية بالريف والمدن الأخرى، وارتباطاتها بالعالم الخارجي ومدى تأثر المجتمعات بذلك.

إن اعتماد الدراسات العلمية والأكاديمية ذات الاختصاصات المختلفة على هذه الوثائق أمر مهم وضروري، والعودة إليها تمثل استجابة ضرورية لشروط البحث الأكاديمي وجدته، وهذا لما تتميز به من موضوعية وصدق، وما تضيفه دائماً من حقائق جديدة تمكننا من إعادة بناء الوقائع التاريخية، وتفسير الظواهر والأحداث الغامضة، ولاسيما عندما تشح وثائق الأرشيف الوطني وتقل المصادر المحلية، في حقبة زمنية قريبة منا، وفي بلد –الجزائر– كان مركزا استراتيجيا وحضاريا في الفترة الحديثة. لقد وفرت لنا هذه السجلات معطيات مهمة عن هذه المرحلة تسمح بتغطية الكثير من الثغرات، وتفند الحجة القائلة بغياب الوثائق المحلية، مع زخم وتنوع وثائق الإدارة الاستعمارية، وتعدد كتابات الفرنسيين ومؤرخي المدرسة الفرنسية.

إن مصدرا تميز بالصدق والحياد والدقة والشمولية لهو جدير بالاعتماد عليه لإعداد مختلف الدراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية

خاصة، وان ما دون بهذه السجلات من معلومات يصعب على أي باحث أن يصل إليها لو لم تكن مسجلة بها، كما تفرض أهمية هذه الوثائق على الجهات المعنية الاهتمام بها عن طريق جمعها في مكان مخصص، والمحافظة عليها وترتيبها ووصفها وتسهيل الاطلاع عليها للباحثين والمهتمين[45].

- الخاتمة

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التنبيه لقيمة هذه السجلات في تاريخ الجزائر المعاصر، ومساهمتها في سد الثغرات التي هي في حاجة إلى ترميم، وتغطية النقص الذي أوجدته الكتابات التاريخية المعتمدة على أحادية المصادر.

إن هذه الوثائق تحفز الباحثين على طرق عدد من المواضيع التي تتسم بالتجديد والابتكار والأهمية، خاصة ما يتعلق بإيضاح الحقائق التاريخية عن ظروف ومظاهر تدهور الوضع الاقتصادي في مجتمع المدينة، وكذلك تغير الذهنية واختفاء بعض عادات الجزائريين وظهور أخرى، وتتم هذه العملية اعتمادا على تمحيص المادة التي أوردتها عقود القضاة لفترة غطت أكثر من قرن؛ ما زالت تلك السجلات في أغلبها في حالة جيدة، ولكنها تحتاج إلى رعاية من المختصين في عمليتي الحفظ والتخزين، وكذلك تحتاج إلى جهود أخرى من الأرشيفيين لتهيئتها للباحثين في شتى التخصصات المعرفية والعلمية.

وما يميز هذه الوثائق خلال الفترة الاستعمارية أنها كانت شاهدة على تراجع وانهيار القدرات الاقتصادية للمجتمع الجزائري، كما تبرز دور العلاقات الحضارية بين أهالي المدن الكبرى والريف، وظروف الهجرة الداخلية والخارجية، إضافة إلى أنها تمثل استمرارية للمصادر التاريخية للعصر الوسيط، والمتمثلة في المصنفات الفقهية وكتب النوازل، التي غطت مختلف جوانب حياة المجتمع.

لقد كشفت البحوث التي اعتمدت على هذه الوثائق على أهميتها لدراسة تحولات المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، فبعد نصف

قرن من مشاريع الاحتلال المتعاقبة، وخاصة ما تعلق منها بالهوية والقضاء والملكية، أصبح من الضروري البحث في مدى ما تحقق من تلك المشاريع، وما هي مظاهر التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي برزت في مجتمع المدينة خاصة؛ لا سيما وأن القضاة قد عاصروا مجموعة من الأحداث والظواهر الهامة في هذه المرحلة التاريخية، والمرتبطة بالظروف السياسية والاقتصادية ومظالم السياسة الفرنسية تجاه مقومات المجتمع، مثل سياسة الإدماج وحركة الهجرة في نهاية القرن **19**، والحرب العالمية الأولى، وكذلك سيطرة المستوطنين على مقومات النشاط الاقتصادي ومؤسساته، ودور النخب السياسية والعلمية في إقناع الرأي العام المحلي بضرورة البحث عن آليات جديدة للمقاومة ضد الاحتلال وسياساته.

- المصادر والمراجع

1- وثائق الدراسة

أ- سجلات المحكمة المالكية

- D128 -163 -D299 -D410 -D01 - D12 -D96 -D149 -D176 -184 - D189 -405

- D04 -D14 -D96 -D91 -D196 -D209 - D210- D407- D257- D276

-ح 645 في 23/9/1899، D245 .

-ح 1417 في 24/12/1919، D414 .

- 59- 60 – 91- 123، D257. وح 658، D351.

- حكم 77 وحكم 78 في 29/6/1890، D175

- حكم 21 في 25/8/1902،D260.

- حكم57 في 17/1/1910، D312

- حكم 897 في 18/10/1913،D351.

- حكم **77** و**78** في **29/06/1890**، D**175**.

ب- سجلات المحكمة الحنفية

سجلات سنوات **1890-1896/1913-1918**

سجل من جانفي إلى جوان **1913**، وسجل آخر من أكتوبر **1917** إلى فيفري **1918**.

- الحكمان: **09-** و**14** في **10/08/1887** سجل للمفاصلات من **1887** إلى **1891**. وحكم **578** في **4/8/1896** سجل من ماي إلى نوفمبر **1896**.

- حكم **1064** سجل سنة **1913**.

- حكم **542** في **17/07/1896** سجل من **16** ماي إلى **12** نوفمبر **1896**.

- حكم **07** في **25/04/1899** سجل للمفاصلات من **21** جوان **1898** إلى **26** فيفري **1901**. وحكم **03** في **29** جانفي **1901** من نفس السجل الحنفي.

ج- سجلات المحكمة الاباضية

- سجلات: D**200**- D**209**- D**276**- D**199**- D**358**

2- المصادر والمراجع العربية

- الحكومة العامة، تحديد الاصول وتيسير الوصول فيما على القضاة والعدول"، طبع بمطبعة يورسي بمحروسة الجزائر، سنة **1869**، أرشيف ولاية الجزائر.

- حمودة محمود عباس، وثائق المحاكم الشرعية في مصر، تحقيق وثيقة بيع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، **1984**.

- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج**2**، ط**1**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط**1**، **1986**.

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ج**1** (**1860-1900**)، دار الغرب الاسلامي، ط**1**، بيروت، **2000**.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية - الفترة الحديثة-، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **2001**.

- سعيدوني ناصر الدين، "موظفو مؤسسات الاوقاف بالجزائر في اواخر العهد العثماني من خلال الارشيف الجزائري"، المجلة التاريخية المغربية، ع **57** و**58**، جويلية **1999**،

سعيدوني ناصر الدين، وثائق الأوقاف بالأرشيف الجزائري وامكانية استغلالها في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، المجلة التاريخية المغربية، ع **93** و**94**، ماي **1999**.

- قلفاط عبد الباسط، الاستعمار الفرنسي والقضاء الإسلامي في الجزائر خلال القرن **19**، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ع **04**، **2011**.

- قلفاط عبد الباسط، الجزائريون في الحرب العالمية الأولى من خلال سجلات المحاكم الشرعية، ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني، جامعة خميس مليانة، **18/11/2018**، دار التل للطباعة، البليدة (الجزائر)، **1018**.

- قلفاط عبد الباسط، الحياة الاقتصادية لمجتمع مدينة الجزائر من خلال وثائق المحاكم الشرعية (**1886-1930**)دار العثمانية، ط**1**، الجزائر، **2023**.

- قلفاط عبد الباسط، دور المرأة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر بين **1850-1920** من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد **23**، العدد **01**، في **30/12/2021**.

- قلفاط عبد الباسط، سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه القضاء الإسلامي في الجزائر ما بين **1830-1892**، دار قرطبة، الجزائر، **2015**.

2- المصادر والمراجع الأجنبية

- Charnay Jean-Paul, La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du **20**e siècle, presses universitaires de France, Paris, **1965**.

-Saadeddine Benchnèb, Un acte de vente dréssé à Alger en **1648**, in RA, N°**89**,**1945**,

- Christelow (Allan), Muslim law courts and the French Colonial state in Algeria, princeton university press, princeton Newjersey, **1985**.

-Bulletin Officiel des actes du Gouvernement (**1855**-**1857**) , imprimerie du Gouvernement, Alger, Anné,**1855**

-Bulletin Officiel du Gouvernement Générale(**1861**-**1926**). Imprimerie du Gouvernement, Alger, Anné**1926**.

- Benchnèb Saadeddine, Un acte de vente dréssé à Alger en **1648**, in RA, N°**89**,**1945**, pp. **287**-**290**.

- Benchnèb Saadeddine, Un contrat de mariage algérois au début de **18** siècle, in : Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, T **13**,**1955.**

- الهوامش

1- عبد الباسط عبد الباسط قلفاط، سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه القضاء الإسلامي في الجزائر ما بين **1830-1892**، دار قرطبة، الجزائر، **2015**، ص**145**، **146**.

2- منها قرار**22**/**10**/**1861** وقرار آخر في بداية سنة **1965** في الجريدة الرسمية:

Bulletin Officiel du Gouvernement Générale (**1861-1926**), Imprimerie du Gouvernement, Alger, Anné **1926**.

3- عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص**200**، **201**.

4- أسست إدارة الاحتلال على عهد الحاكم العام ماكماهون (Mac-Mahon) (**1864-1870**) لجنة بهدف توحيد المصطلحات ومحاور العقود وتنظيم السجلات، وتوصلت إلى إعداد تقرير عام حول المصطلحات الواجب استعمالها في المحاكم ابتداء من جانفي **1870**، وقد صدر التقرير في كتيب وزع على القضاة، عنوانه: "تحديد الأصول وتيسير الوصول فيما على القضاة والعدول"؛ وبررت اللجنة في مقدمة الكتيب دوافع إعداده "بسبب المشاكل الناتجة عن قلة المعلومات وسوء التصريح بالمتخاصمين، والغموض الناتج عن ذلك،.. وقد جرت العادة من قبل أن يخلط القاضي بين الحجج الشرعية وموجبات الحكم وأسبابه ولا يحسن ترتيبها". أنظر: الحكومة العامة، تحديد الأصول وتيسير الوصول فيما على القضاة والعدول"، طبع بمطبعة يورسي بمحروسة الجزائر، سنة **1869**، أرشيف ولاية الجزائر؛ نشر الكتاب كذلك بجريدة المبشر في أفريل **1869**.

5- سجلات هذا المقياس (نماذج): سجلات المحكمة الاباضية: D**200**-D**209**-D**276**-D**358**-D**199**، وسجلات المحكمة المالكية:D**128**-D**163**-D**299**-D**410**، وسجلات المحكمة الحنفية لسنوات **1890-1896-1913-1918**.

6- سجلات مالكية: من D**01** إلى D**12**- D**96**- D**149**- D**176**- **184**- D**189** -D**405**

7- أنظر سجلات مالكية: D**04**-D**14**-D**96**-D**91**-D**196**-D**209**-D**210** وغيرها.

8- نجد في بعض السجلات رقما في كل صفحة فيصل عدد الصفحات إلى **220**، مثل السجل رقم D**148**، وD**414** وأخرى نجد نفس الرقم لكل صفحتين متقابلتين فيصل عدد الصفحات إلى **110** كما هو حال السجل D**156** وD**157**. كما تصل عدد صفحات السجلات المالكية للفهرسة إلى **398** صفحة، مثل سجل وزارة العدل لفهرسة الأحكام المتنوعة، من **1**/**1**/**1929** إلى **31**/**6**/**1941**.

9- السجلات التي لا تورد عنوان للأحكام مثل: D**175**- D**229** – D**256**.

10- يؤكد عباس حمودة عن محدودية مضمون النصوص تبعا لطبيعتها الإدارية فهي "بحسب واقع عملها لا تذكر من الوقائع إلا ما يعرض عليها للنظر فيه أو تقريره أو إصداره ضمن اختصاصاتها المحددة لها بموجب اللوائح المعمول بها"، أنظر: محمود عباس حمودة، وثائق المحاكم الشرعية في مصر، تحقيق وثيقة بيع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، **1984**، ص**67**.

11- إذا لم يكن أحد أطراف القضية يملك بطاقة هوية تشير الرسوم إلى السبب، وعامة هو السكن "بالإقليم العسكري" الذي لم تنتشر فيه الحالة المدنية، وتتكرر عبارة "لا لقب له باعتباره من الحكم العسكري". ح **645** في **23**/**9**/**1899**، س م م، **245**D.

12- كل رسوم البيع تأتي بهذه الصيغة "وأشهد الأول على المرجع نفسه بحال جايزة شرعا أنه باع من الثاني بيع بت وأمضاه جميع منابه من الدار...". ح **1417** في **24**/**12**/**1919**، س م م، **414**D.

13- أهم النصوص التشريعية التي يرجع إليها القضاة لإثبات صلاحياتهم من عدمها في النظر في القضايا المطروحة عليهم مرسومي **1886** و**1889**، أنظر الأحكام: **59**-**60**-**91**-**123** من السجل المالكي**257**D. وحكم **658** سجل مالكي، **351**D.

14- كل أحكام السجل المالكي، **257**D.

15- أحيانا نجد تقديم وتأخير في بعض العناصر في الخاتمة، حسب طبيعة المنازعة وطريقة العدول في الكتابة.

16- بعض الرسوم لا تذكر التاريخ في آخر النص وتكتفي بالإشارة بذكره في بداية النص، أنظر سجل مالكي، **407**D.

17- توقيع القاضي يكون عادة باللون الأحمر وقلما يستعمل الطابع، في حين نجد أختام القضاة والمفتين في سجلات المجالس الشرعية في الخمسينيات والستينيات، وبداخلها سنة التولية في المنصب. سجلات المجلس الشرعي، **26**D و**28**D و**38**D .

18- (Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie **1830**-**1854**) لكن تختلف بعض عناوين السجلات في العقود التالية، فتظهر سجلات الترايك والمفاصلات والرجعة، وتتضمن سجلات الأحكام المختلفة مسائل متنوعة.

19- ظهرت هذه سجلات الفهرسة خلال التسعينيات وهي فترة متأخرة وتستمر للعقود التالية.

20- المحكمة المالكية كان مقرها بالجامع الكبير طيلة الفترة الحديثة والمعاصرة ثم انتقلت إلى مقرها الجديد بجوار مسجد كتشاوة بشارع (Rue Brice) سابقا سنة **1942** على عهد القاضي المالكي شاندرليه الضابط السابق بالجيش الفرنسي. أما المحكمة الحنفية التي كانت بالمسجد الجديد -ويسمى بمسجد المسمكة وهو يقع بجوار المسجد الكبير- فقد تحولت إلى مقرها الجديد بمكتب الموثق بن عبيد حاليا بساحة الشهداء بجوار مركز الصكوك البريدية ومقابل الخزينة العمومية سنة **1859**، معلومات أفادنا بها أحد الموظفين عند الموثق بن عبيد.

21- سجلات المجالس الشرعية تتوقف عند سنة **1875**.

22- منها: سجل مراسلات رقم D**209** وسجل الأحكام المختلفة رقم D**276** وسجل الترايك والتحجير رقم D**199**.

23- نفس هذا التقسيم نجده في المدن التالية: قسنطينة - وهران - المدية - تلمسان، وفي كثير من المدن الأخرى توجد سجلات المحاكم الشرعية للفترة المعاصرة وهي محاكم مالكية، وأغلبها مهملة في حالة يرثى لها، وغير متوفرة للباحثين، احتوت عليها أرشيف المحاكم والمجالس القضائية، وحتى مكاتب الموثقين لحاجة الناس إليها في مرحلة سابقة لشؤون الحالة المدنية.

24- منها ظروف الهجرة إلى فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى. أنظر عبد الباسط عبد الباسط قلفاط، "الجزائريون في الحرب العالمية الأولى من خلال سجلات المحاكم الشرعية"، ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني، جامعة خميس مليانة، **18**/**11**/**2018**، دار التل للطباعة، البليدة (الجزائر)، **1018**، ص ص**252**–**271**.

25- انخفض سكان مدينة الجزائر بأكثر من الثلثين خلال ربع قرن فقط، فبعدما كان عددهم مائة ألف نسمة سنة **1830** انتقل إلى ثمانية عشر ألف نسمة في الخمسينات، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ج**1** (**1860**-**1900**)، دار الغرب الإسلامي، ط**1**، بيروت، **2000**، ص**80**.

26- عقود إثبات الملكية تأتي تحت عدة عناوين مثل: "فيف بملكية"، "موجب عقار" و"لفيف عقار". أنظر: سجل محكمة حنفية من جانفي إلى جوان **1913** وسجل آخر بنفس المحكمة من أكتوبر **1917** إلى فيفري **1918**، وحكم **899** في **16**/**10**/**1893** سجل مالكي D**351**.

27- حكم **1091**-**1092** في **12**/**10**/**1919** سجل مالكي رقم D**414**.

28- للمزيد عن هذه الصيغ أنظر: عبد الباسط عبد الباسط قلفاط، الحياة الاقتصادية لمجتمع مدينة الجزائر من خلال وثائق المحاكم الشرعية(**1886-1930**)، دار العثمانية، ط**1**، الجزائر، **2023**، ص ص**80-95**.

29- المرجع نفسه، ص ص**140-158**.

30- أنظر الحكمين: **09** و**14** في **10/08/1887** سجل حنفي للمفاصلات من **1887** إلى **1891**. وحكم **578** في **4/8/1896** سجل حنفي من ماي إلى نوفمبر **1896**.

31- حكم "قراض" صفحة **173** من السجل المالكي **D133**. وحكم **1064** سجل حنفي لسنة **1913**. حكم **155** في **13/9/1892** سجل مالكي **D195**.

32 - حكم **02** في **21/01/1902**، سجل التركات مالكي رقم **D260**. وحكم **36** في **16/02/1888** سجل مالكي **D157**. وحكم **542** في **17/07/1896** سجل حنفي من **16** ماي إلى **12** نوفمبر **1896**.

33- عبد الباسط قلفاط، دور المرأة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر بين **1850-1920** من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد **23**، العدد **01**، في **30/12/2021** ص ص**200-210**.

34- عبد الباسط قلفاط، الجزائريون في الحرب العالمية الأولى...، المرجع السابق.

35- أنظر مكتبة علي بن امحمد بن فوضيل المدرس بجامع سيدي رمضان الذي بيعت مكتبته بالدلالة وسجلت عملية البيع بال حكمة الحنفية في **12/03/1893**، سجل حنفي للترايك والمفاصلات من جويلية **1891** إلى جانفي **1894**.

36- تتعرض الوثائق إلى بعض الشخصيات العلمية ووظائفها التعليمية ومناصبها الدينية، وعند وفاتها يتم حصر متروكها ومن جملتها المكتبات، وفي رسوم "الفريضة" نتعرف على مدى استمرارية المناصب الدينية والثقافية في العائلة. أنظر متروك المفتي المالكي علي بن عبدالرحمان بن الحفاف في: سجل محكمة مالكية، **D175**، حكم **77** و**78** في **29/06/1890**. وكذلك بيع مكتبة علي بن الحاج محمد المتوفى ضمن متروكه في حكم **07** في **25/04/1899** سجل حنفي للمفاصلات من **21** جوان **1898** إلى **26** فيفري **1901**. وحكم **03** في **29** جانفي **1901** من نفس السجل الحنفي.

37- كتب بول شارناي، دراسة عن حياة المسلمين الجزائريين من خلال المحاكم الفرنسية بعنوان:

JEAN-PAUL Charnay, La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du **20**e siècle, presses universitaires de France, Paris, **1965**.

38- نشر سعد الدين بن شنب مقالتين حول هذه الوثائق منذ سنة **1945** ونبه إلى أهميتها في الكتابة التاريخية

Saadeddine Benchnèb, Un acte de vente dressé à Alger en **1648**, in RA, N°**89**,**1945**, pp. **287**-**290**.

Saadeddine Benchnèb, Un contrat de mariage algérois au début de **18** siècle, in : Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, T **13**,**1955**

39- نبه أبو القاسم سعد الله كذلك في دراسته الاجتماعية حول سجل محكمة المدية عن أهمية هذه الوثائق في الدراسات التاريخية، الدراسة بعنوان: "دراسة اجتماعية في دفتر محكمة المدية أواخر العهد العثماني (**1821**-**1839**)"، للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج**2**، ط**1**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط**1**، **1986**، ص ص**269**-**298**. ونشر ناصر الدين سعيدوني دراستين في الموضوع الأولى بعنوان: "موظفو مؤسسات الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال الأرشيف الجزائري"، المجلة التاريخية المغربية، ع**57** و**58** جويلية **1999**، والثانية عن: وثائق الأوقاف بالأرشيف الجزائري وإمكانية استغلالها في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، المجلة التاريخية المغربية، ع**93** و**94** ماي **1999**.

40- من بين هذه الدراسات نذكر فاطمة الزهراء قشي، "قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري"، أطروحة دكتوراه نوقشت في تونس سنة **1998**، ودراسة ازابيل قرانغو (Isabelle Grangaud) حول مدينة قسنطينة:

La ville Imprénable: une histoire sociale de Constantine au **18**e siècle

ودراسة عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر **1700**-**1830** مقاربة اجتماعية - اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، رويبة، **2012**. ومصطفى بن حموش، فقه العمران من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، أطروحة دكتوراه بالمدرسة المتعددة التقنيات بالحراش وغيرها.

41- هذا ما تمكنا من حصره ولعل دراسات أخرى قيد الانجاز لم تناقش بعد، إضافة إلى مجموعة من الدراسات العلمية المعتمدة على نوازل وفتاوى علماء الجزائر في كل الحواضر، ومصادرها قريبة من سجلات المحاكم الشرعية وقد نوقشت في معاهد وكليات العلوم الإسلامية بجامعات جزائرية، منها خاصة ما نوقشت بجامعة أحمد دراية أدرار.

42- أول قرار تضمن تحديد المقاطعات القضائية صدر في **30** نوفمبر **1855** أنظر:

Bulletin Officiel des actes du Gouvernement (**1855**-**1857**), Imprimerie du Gouvernement, Alger, Année,**1855**

وثاني قرار صدر في **21** أوت **1860**:

Bulletin Officiel du Gouvernement Générale (**1861**-**1926**), Imprimerie du Gouvernement, Alger, Année **1926**

43- عن مراحل الاستيلاء على صلاحيات القضاة المسلمين وما ذا تبقى لهم نهاية القرن **19** أنظر: عبد الباسط قلفاط، سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه القضاء الإسلامي...، ص ص**368**-**377**.

44- من هذه العبارات: "قبضهم ديركتور القاز" في حكم رقم **21** في **25**/**8**/**1902**، سجل مالكي **260**D. و"الكوميسير بوليس" في حكم **57** في **17**/**1**/**1910** سجل مالكي، **312**D. و"بالة سميد وبالة نخالة" في حكم **897** في **18**/**10**/**1913**، سجل مالكي**351**D.

45- في مدينة الجزائر سجلات المحاكم الشرعية التي تغطي فترة القرن التاسع عشر حتى سنة **1920** والمحفوظة بمركز الأرشيف الوطني مرقمة ومصنفة، أما السجلات الموجودة بأرشيف وزارة العدل وأرشيف الموثق بن عبيد فهي غير مرقمة.

تـاريخ المغرب الأوسط (55هـ/675م-100هـ/719م)
من خلال كتـاب البيـان المغرب لابن عذاري المراكشي

الأستـاذ: بومداح مرزاق
المدرسة العليـا للأسـاتذة - بوزريعة

- مقدمة

تعالج هذه الدراسة قضية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط خلال فترة تقارب **45** عاما (**55-100**هـ/**675-719**م)، من خلال ذكر أهم الولاة الذين تعاقبوا على حكم بلاد المغرب الأوسط، وأبرز الثورات التي قادها البربر ضد الفاتحين المسلمين، وهذا بالاعتماد على كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (كان حيا في سنة **712**هـ/**1312**م).

ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات التالية: ما هي الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط وفق ما ذكره ابن عذاري؟ وهل وافق غيره من المؤرخين والجغرافيين في هذا التصور؟ وهل وجد قادة الفتح الإسلامي صعوبة في فتح بلاد المغرب الأوسط؟ وفيم تتمثل أهم النتائج الناجمة عن هذا الفتح الإسلامي لهذه المنطقة؟

ولإنجاز هذه الدراسة تم الاعتماد على المنهج السردي والتحليلي للحوادث التاريخية، والمقارنة بين ما ذكره ابن عذاري مع غيره من المؤرخين، وترجيح ما أراه صوابا، وهدفنا من ذلك كله هو الاقتراب من الحقيقة التاريخية.

أولا: التعريف بالمؤلف وكتابه البيان المغرب

نحاول من خلال هذا المبحث ذكر ترجمة موجزة عن حياة ابن عذاري، ثم التعريف بكتابه، والمنهج الذي اعتمده عند التأليف.

1- ترجمة موجزة عن حياة بن عذاري المراكشي

عند دراستنا لحياة ابن عذاري وإنتاجه العلمي الذي خلفه لنا اعترضتنا عدة صعوبات، وهذا راجع لقلة المعلومات وندرتها، سواء من حيث الولادة والنشأة، وعند ذكر أهم شيوخه، وتلامذته، وإنتاجه العلمي، وحتى تاريخ وفاته يبقى إلى حد الآن غير محدد، مما يجعل الباحث عاجزا عن تقديم صورة كاملة ووافية عن حياة هذه الشخصية العظيمة، وأهم الإنجازات التي قدمها وخاصة في المجال العلمي والتاريخي باعتباره مؤرخا كبيرا. ومما يزيدنا حيرة أنه رغم اهتمام المؤرخين ومعاصريه بتدوين السير والتراجم خلال القرن **7**ه/**14**م، والقرن **8**ه/**14**م -على ما يبدو والله أعلم أن ابن عذاري عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي- مما نتج عن ذلك كثرة كتب التراجم والسير[1] خلال تلك الفترة، إلا المادة التاريخية المتعلقة بترجمة هذه الشخصية لا تزال قليلة جدا، حيث تقتصر على ذكر اسمه وكنيته وبعض النقول من تأليفه البيان المغرب[2].

أ- اسمه ولقبه

اشتهر ابن عذاري منذ ظهور المخطوطات الأولى بأبي عبد الله محمد، وقد اعتمدها المستشرق الهولندي دوزي وسركيس والزركلي وكحالة وغيرهم. وبعد ظهور مخطوطات جديدة من الكتاب وجد عليها اسم المؤلف بأبي العباس أحمد بن محمد، ومن بين هذه المخطوطات تلك التي حفظت بالمكتبة الحسنية الملكية بالرباط تحت رقم **334** الذي كتب في أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري رحمه الله" إلا أنه لم تحدد سنة نسخ المخطوط، وفي

مخطوط آخر بنفس المكتبة وتحت رقم **777** حيث كتب اسم المؤلف على الغلاف بنفس الاسم. وذكر محمد بن عبد الله بن عنان أنها نسخت في سنة **1226**هـ/**1811**م، وبالتالي فإن ظهور هذه المخطوطات الجديدة أدى إلى تغيير اسم الشهرة لابن عذاري من أبي عبد الله محمد إلى أحمد بن محمد وبكنيته أبي العباس[3].

وأما عن لقبه بابن عذاري فيذكر السمعاني (ت. **562**ه/**1187**م) وابن الأثير (ت. **630**ه/**1233**م) والسيوطي (ت. **911**ه/**1505**م) وغيرهم أن العِذاري بكسر العين وفتح الذال المعجمة وبعد الألف راء هذه النسبة إلى عِذار وهو اسم لجد المنتسب إليه، وهو أبو بكر محمد بن حامد بن علي بن يزيد بن عذار الفقيه العِذاري البخاري، وذكر سركيس في معجم المطبوعات باسم ابن العذاري، وتبعه في ذلك بروكلمان، وذكره ابن سودة باسم ابن عِذاري بكسر العين، وأما الباحثة لطيفة بن جلون العروي فقد أشارت في كتابها المكتبات بالمغرب إلى أن اسم ابن عذاري يمكن أن يقرأ كما يلي: "ابن العذاري ابن عِذاري ابن عَذاري. ويبقى اسم الشهرة الرائج لمؤرخنا هو ابن عَذّاري، وهو الاسم الذي درج عليه أغلب الباحثين والمؤرخين[4].

ب- مولده

لم تذكر لنا المصادر والمراجع وفي حدود ما اطلعت عليه تاريخ مولد ابن عذاري، والذي يبدو والله أعلم ومن خلال ما ذكره محمد بن شريفة أنه كل ما قيل عنه على سبيل التخمين أنه نبغ في أواخر القرن **7**ه/**13**م. وبالتالي ربما يكون من مواليد النصف الثاني من القرن **7**ه/**123**م. وهو كما يذكر الزركلي من أهل مراكش موطنا، وإن كان أصله الأول من بلاد الأندلس[5].

ج- شيوخه وتلامذته

من خلال ما تم الاطلاع عليه لم تذكر لنا المصادر معلومات يمكننا من خلالها معرفة شيوخ وتلاميذ ابن عذاري. إلا أن هناك نصا نقله ابن عذاري يُفهم من خلاله أنه تتلمذ على يد محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت. **703**ه/**1303**م) صاحب كتاب الذيل والتكملة، حيث روى عنه ابن عذاري

بقوله: "أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الملك قال: ..."، والنص الآخر يبدأ هكذا: "ومن جَدِّه وظهور سعده (يعني عبد المؤمن الخليفة) ما أخبرني أبو عبد الله بن عبد الملك قال: "... ويعلق محمد بن شريفة على هذا النص بقوله: "هذا يؤكد من جهة ما رأينا آنفًا من رواية ابن عذاري عن ابن عبد الملك وسَماعِه منه مباشرة، كما يؤكد من جهة ثانية ما سبق أن قلناه عن موقع ابن عبد الملك ومكانته، وصلاته القريبة والوثيقة بكبار الدولة المؤمنية، ومن المعروف أن الأشياخ كانوا أهل الحلّ والعَقْد في هذه الدولة"[6]. ومن المعروف أن ابن عذاري عاش في فترة ما بعد الدولة الموحدية حيث انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دول: الدولة الحفصية (**625-982**هـ/**1228-1574**م) في المغرب الأدنى، والدولة الزيانية (**633-961**هـ/**1235-1554**م) في المغرب الأوسط، والدولة المرينية (**668-869**هـ/**1269-1465**م) في المغرب الأقصى، وعاش ابن عذاري في كنف دولة بني مرين[7].

د- أهم المناصب التي تولاها ابن عذاري

ذكر هويسي ميراندا أن ابن عذاري تولى وظيفة مهمة في مدينة فاس، ففي سنة **1959**م كتب ميرندا في مقدمة كتابه ظهور المرابطين من صحرائهم وملك يوسف بن تاشفين نشره في مجلة هسبريس (Hesperis) في سنة **1959**م -مجلد النصف الثاني من السنة حيث كتب ميرندا في هذا الفصل أن ابن عذاري كان قائدا لمدينة فاس دون أن يذكر مصدره في ذلك، وقد أثبت فريكو أنه لا يوجد أي نص يذكر توليه ذلك المنصب. وربما وقع ميرندا في هذا الوهم من كون ابن عذاري كان قائدا لمدينة فاس حينما رأى أن ابن عذاري كان ينقل معلومات مهمة ودقيقة من الرسائل والكتب التي كانت تصدر عن الدولة المرينية مما يدل على أنه مطلع على أرشيف الدولة، وقد اتبع ميرندا في هذا الوهم الكثير من الباحثين وعلى رأسهم (Bosch Villa) بوش فيلا في دائرة المعارف الإسلامية[8].

وبما أن ابن عذاري لم يحظ بترجمة من معاصريه، ولا من بعدهم، وبالتالي فإننا لا نعرف شيئا عن تكوينه العلمي، ولا عن وظائفه ولا المناصب التي تبوأها، ولم نجد غير مقدمة ذكرت فيها أوصاف ابن عذاري كتبت على

ورقة عنوان المخطوط رقم **334** بالمكتبة الملكية بالرباط يقول فيها الناسخ: "قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الرواية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري رحمه الله". وعند الاطلاع على كتابه البيان المغرب وما فيه من سعة معرفة بالمصادر وحسن تصرف في رواية الأخبار التاريخية مع دقة التعبير، كل ذلك يدل على الدرجة العالية التي ارتقى إليها ابن عذاري[9].

هـ- وفاته

لم يتمكن الباحثون من تحديد تاريخ وفاة ابن عذاري، فالزركلي في كتابه الأعلام ذكر أنه توفي في حدود سنة **695**هـ/**1295**م، وتبعه في ذلك رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين، وابن سودة ذكر أنه كان حيا في سنة **669**هـ/**1270**م، وبعد ظهور العديد من المخطوطات ظهر لنا أن كل هذه التواريخ كانت بعيدة عن تاريخ وفاة المؤلف، حيث قام ابن عذاري بوصف القيروان ثم قال: "وهي الآن في وقتنا هذا وهو آخر المائة السابعة قد ابتدأت بالعمارة"، وفي نص آخر عند ذكر فرار أبي حفص المرتضى أمير دولة الموحدين ومقتله:" بعد ذكره أولاده... وأخوه محمد بغرناطة في وقتنا هذا وهو عام اثني عشر وسبعمائة (**712**هـ/**1312**م). أي أنه قد أدرك العقد الأول من القرن **8**هـ/**14**م[10].

2- التعريف بكتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

قبل الحديث عن كتابه البيان المغرب نود أن نذكر بعض الكتب التي ألفها ابن عذارى وقد نقلنا أسماء هذه الكتب من كتابه البيان المغرب، وهي إلى حد الآن وعلى حسب اطلاعي لاتزال مفقودة، وهي كالتالي: البيان المشرق في أخبار المشرق، وكتاب أخبار يزيد بن معاوية، وكتاب صلة البيان المغرب الذي ذكره ابن عذاري في الجزء الخامس من كتاب البيان المغرب الخاص بالموحدين[11].

أ- التحقيق في اسم الكتاب

ذكره عباس بن إبراهيم في كتابه الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام باسم: البيان المغرب في أخبار المغرب أو البيان المغرب عن أخبار المغرب، وذكره ابن سودة في دليل مؤرخي المغرب الأقصى باسم: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب أو البيان المعرب عن أخبار المغرب. أما الزركلي في كتابه الأعلام فقد ذكره باسم: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، وأما كحالة والبغدادي فذكروه باسم: البيان المغرب في أخبار المغرب، وذكره يوسف سركيس في معجم المطبوعات وبالثنيا في تاريخ الفكر الأندلسي باسم: البيان المغرب. والحقيقة أن العنوان الصحيح هو الذي أورده المؤلف نفسه في مقدمة كتابه وسمّاه: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ورغم ذلك فإن أكثر الطبعات أوردت عنوان الكتاب مخالفا لما ذكره ابن عذاري نفسه عن كتابه[12].

ب- مخطوطات الكتاب

توجد عدة مخطوطات لهذا الكتاب، ومنها ما يلي: مخطوط بهولندة بالمكتبة الجامعية ليدن برقم **995**، و**67**، ومخطوط بالدانمارك بالمكتبة الملكية ويشتمل على **180** لوحة، ومخطوط بفرنسا بالمكتبة العامة بباريس، ويقع في **151** ورقة، ومخطوط بإسبانيا بالمكتبة الوطنية بمدريد برقم **5351**، ومخطوط بالخزانة الملكية الحسنية بالرباط بسبع نسخ وبالأرقام التالية: **521**/**777**/**6158**/**336**/**2150**/**10301**/**334**. ومخطوط الشيخ الكتاني بمكتبته الخاصة بفاس، ومخطوط بالمملكة العربية السعودية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وهو تحت رقم **1900**-ف[13].

ج- طبعات الكتاب

من أهم الطبعات المتداولة بين الباحثين نذكر طبعة دار الثقافة ودار الغرب الإسلامي في **5** أجزاء، فالجزء الأول والثاني والثالث طبعته دار الثقافة ببيروت، بتحقيق ومراجعة المستشرقين: ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال،

والجزء الرابع طبعته أيضا دار الثقافة ببيروت ولكن بتحقيق ومراجعة الدكتور إحسان عباس، والجزء الخامس طبعته دار الغرب الإسلامي بيروت وأيضا دار الثقافة بالدار البيضاء، وقد حققه مجموعة من المحققين وهم: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر رزمامة.

د- محتويات الكتاب

قسم ابن عذاري كتابه بنفس الطريقة التي اعتمدها المؤرخون في وقتنا الحالي، وهي كالتالي:

- المقدمة: حيث وضع ابن عذارى مقدمة لكتابه في حوالي **05** صفحات تطرق فيها إلى دواعي تأليف لكتابه، ثم ذكر مصادره، وبالتزامه الأمانة العلمية من خلال إسناد الخبر إلى صاحبه، كما أفادنا بذكر معلومات عن مصادر مفقودة، ثم ذكر الخطة التي اعتمدها في تأليف كتابه بحيث ذكر أنه قسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء، ثم خاتمة صغيرة لمقدمته اعتذر فيها عن حصول أي زلل أو خلل، وختم قوله بدعاء الله سبحانه وتعالى بالإرشاد فهو حسبه ونعم الوكيل[14].

2- العرض: قسمه إلى ثلاثة أجزاء

أ- الجزء الأول: بدأه بمدخل تناول فيه الإطار الجغرافي لبلاد المغرب، ثم شرع في سرد تاريخ المغرب ابتداء من سنة **21**هـ/**642**م، حيث اختصر فيه أخبار المغرب الإسلامي من بداية الفتح الإسلامي، إلى عهد الدولة الزيرية والحمادية ومن حكم بعض مدن المغرب الأقصى من ولاة الخلفاء الأمويين بالأندلس[15].

ب- الجزء الثاني: اختصر فيه أخبار تاريخ الأندلس من بداية الفتح الإسلامي لها، إلى حين دخول المرابطين إلى الأندلس في سنة **478**/**1086**م[16].

ج- الجزء الثالث: اختصر في أخبار تاريخ الدولة المرابطية من بداية ظهورها واستيلائهم على بلاد المغرب والأندلس إلى حين ظهور دويلات المغرب الإسلامي على أنقاض الدولة الموحدية المنهارة[17].

خامسا: مصادر كتابه والمنهج المتبع عند التأليف

اعتمد ابن عذاري في تأليف كتابه على مصادر متعددة، ومن المصادر التي اعتمد عليها ابن عذاري في كتابه نذكر ما يلي:

- **المصادر الأندلسية:** منها كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت. **239**هـ/**853**م)[18]، وكتاب أخبار الدولة العامرية لخلف بن حيان (ت. **469**هـ/**1077**م)[19].

- **المصادر المغربية:** كتاريخ إفريقية لإبراهيم بن القاسم القيرواني المعروف بالرقيق (ت. نحو **425**هـ/**1034**م)[20]، للأسف لم يصلنا سوى قطعة صغيرة تؤرخ لفترة قرن وربع من فتح عقبة بن نافع لبلاد المغرب إلى خبر قدوم أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إلى القيروان وتولية الأمر بعد أبيه سنة **196**هـ/**812**م، وقد نقل ابن عذاري عن هذا الكتاب في مواضع عديدة فأفادنا ابن عذاري بأخبار ذكرها الرقيق في كتابه وهي مفقودة لدينا[21]، وكتاب المقباس في أخبار المغرب وفاس: لأبي مروان عبد الملك الوراق (كان حيا سنة **578**هـ/**1183**م)، ذكره ابن عذاري باسم "المقباس في أخبار فاس"، وذكره لسان الدين الخطيب باسم "كتاب المقياس"، وهو من الكتب المفقودة التي لم تصلتنا إلى حد الآن في حدود علمنا[22].

- **المصادر المشرقية: تاريخ الرسل والملوك:** لمحمد بن جرير الطبري (ت. **310**هـ/**923**م)، وقد نقل ابن عذاري عن هذا المصدر عشرة نصوص فقط وبشكل مختصر، وذلك لكون الطبري يركز في كتابه على تاريخ المشرق ولا يورد أخبار المغرب إلا في أحوال قليلة[23].

- **مصادر غير معروفة:** ومنها كتاب المسالك للإشبيلي، وأيضا نقل عن القاضي أبي معاوية ويوسف بن هشام وأبي شبه الصدفي، وغيرهم[24].

وقد اعتمد ابن عذاري في تعامله مع المصادر بمنهج علمي دقيق، وذلك بالإحالة إلى المصادر التي نقل منها نصوصه، ومما يُؤاخذ على ابن عذاري أنه ينقل الأخبار مجردة بدون ذكر سندها وإنما يكتفي فقط بذكر

مصادرها، وربما لم يورد الأسانيد مراعاة للاختصار كما صرح بذلك في مقدمة كتابه بأنه كتاب مختصر، كما اعتمد على الدقة في نقل مضمون الخبر: وذلك بأن يكون نقله للنصوص حرفيا أو قريبا منه، والتزم بالاختصار في سرد الأخبار: وهو منهج سار عليه منذ بداية تأليفه للكتاب بل سمى كتابه البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب وشرط على نفسه أن يوجز في ذكر الأخبار وعلل ذلك بقوله:" وذلك أن التطويل يؤدي إلى الملل"[25].

ثانيا: تاريخ المغرب الأوسط (55هـ/675م-100هـ/719م)

تم التطرق في هذا المبحث إلى جغرافية بلاد المغرب الأوسط ثم تناولنا مراحل الفتح الإسلامي للمنطقة، وأهم الثورات التي قادها البربر والبيزنطيون ضد الفاتحين المسلمين.

1- جغرافية بلاد المغرب الأوسط

قسم ابن عذاري بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام قسم يمتد من الإسكندرية إلى طرابلس وهو الجزء الأكبر من حيث المساحة والأقل من حيث عدد السكان، وقسم يمتد من طرابلس إلى بلاد الجريد ويقال له بلاد الزاب الأعلى، والقسم الثالث يطلق عليه اسم الزاب الأسفل ويمتد من بلاد الجريد إلى مدينة تيهرت. والقسم الرابع يمتد من مدينة تيهرت إلى مدينة سلا وهي آخر بلاد المغرب. وجعل ابن عذارى بلاد الأندلس جزءا من بلاد المغرب وداخلة فيه لاتصالها به[26].

وعند ذكر حدود بلاد المغرب الأوسط أو ما يعرف حاليا بالجزائر نرى أن ابن عذاري لم يذكر لنا بدقة حدود بلاد المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى، وإنما ذكر الحدود على سبيل الاجمال والعموم، ولم يستخدم مصطلح المغرب الأوسط في هذا الموضع رغم أنه استعمله في مواضع أخرى من كتابه[27]. كما أنه ذكر في موضع آخر من كتابه أن تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط[28]. وقد اختلف المؤرخون في تحديد الحدود السياسية لبلاد المغرب الإسلامي بأجزائه الثلاثة، المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى خلال العصور الوسطى لغياب الاستقرار السياسي وحسب قوة

الدولة وضعفها حيث برزت العديد من الدول لها سياسات وعلاقات وحواضر لها من القيمة ما نافست فيها حواضر عريقة، ومن أبرز الدول التي قامت في المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى نذكر: الدول الرستمية وعاصمتها تيهرت، والدولة الحمادية وعاصمتها أشير ثم القلعة ثم بجاية، والدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان[29].

وعند الاطلاع على ما ذكره المؤرخون يذكر لنا البكري (ت. **487**هـ/**1094**م) أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، بينما يعتبر الإدريسي (ت. **560**هـ/**1158**م) أن بجاية مدينة المغرب الأوسط، ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وحدد لنا عبد الواحد المراكشي (ت. **647**هـ/**1249**م) الحدود الشرقية للمغرب الأوسط بمدينة بونة التي كانت أحد حَدَّيْ بلاد إفريقية، وأما الحميري (ت. **900**هـ/**1495**م) فقد جعل كلا من بجاية وتلمسان قاعدتا بلاد المغرب الأوسط، ولا غرابة على حد تعبير الأستاذ بوعقادة أن يكون بينهما مغرب أوسط تلك المساحة الفسيحة ذات الحواضر، وأما ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) فقد ذكر أن تلمسان قاعدته في هذا العهد، وتبعه في ذلك السلاوي (ت. **1315**هـ/**1897**م) حيث أورد لنا أن مملكة المغرب الأوسط قاعدتها تلمسان وجزائر بني مزغنة وجعل حدودها الغربية تمتد إلى نهر ملوية[30].

وقد حدد لنا ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) بعض معالم بلاد المغرب الأوسط فذكر بأنه يقع شرق المغرب الأقصى وأن قاعدته تلمسان وفي سواحلها بلد هنين ووهران والجزائر ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقيها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسطنطينية (قسنطينة) في الشرق منها، وعلى مرحلة من البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) في جنوبي هذه البلاد ومرتفاعتها إلى جنوب المغرب الأوسط بلد أشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدته بسكرة تحت جبل أوراس المتصل بدرن، والقطعة الجنوبية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وتبسة، وعلى ساحل البحر بلد بونة وفي شرقها تقع مملكة إفريقية[31].

وأما حسين مؤنس فيرى أن المغرب الأوسط يمتد من مجرى نهر الشلف حتى مجرى نهر ملوية، وهو الآن يشمل معظم الجمهورية الجزائرية، ويقسم المغرب الأوسط تاريخيا إلى قسمين: شرقي ويسمى إقليم تاهرت (تيهرت)، ويتميز بالجبال والغابات، وإقليم غربي ويسمى إقليم تلمسان، ويتميز بالمراعي والسهول، ويشتهر المغرب الأوسط بمناطقة العمرانية ذات الشخصية التاريخية المتميزة مثل: إقليم القبائل شرقي مدينة الجزائر الحالية، وسهل المتيجة جنوبي مدينة الجزائر وإقليم السيق السهلي الساحلي جنوبي وهران، وأقاليم البابور والبيبان والجرجرة والونشريس، وكلها أقاليم جبلية وعرة، وإقليم الحضنة وهو إقليم جريد أي غابات نخيل يتوسطه شط الجريد، وإقليم الهقار في الجنوب وهو إقليم صحراوي[32].

2- مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط

مرّ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط بعدة مراحل، ومن أهمها نذكر ما يلي:

أ- فتح بلاد المغرب الأوسط بقيادة أبي المهاجر دينار (55هـ/675م)

عند دراستنا للفتح الإسلامي للجزائر أو ما كان يعرف آنذاك بالمغرب الأوسط لم يتطرق ابن عذاري إلى تاريخ فتح بلاد المغرب الأوسط عند حديثه عن ولاية أبي المهاجر دينار. وأورد لنا ذلك عند كلامه عن ولاية عقبة بن نافع[33] الثانية لبلاد المغرب، حيث ذكر أن أبا المهاجر دينار في أثناء ولايته لإفريقية قام بغزو بلاد المغرب الأوسط فنزل عيونا عند تلمسان تعرف الآن بعيون أبي المهاجر دينار، وتمكن هذا الأخير من هزيمة زعيم قبائل البرانس كسيلة بن لمزم، ثم عرض عليه الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، ولم يذكر لنا ابن عذاري تاريخ دخول أبي المهاجر دينار إلى أراضي المغرب الأوسط، إلا أن هناك بعض المصادر قد ذكرت ذلك. فالسلاوي (ت. **1315**هـ/**1897**م أعلمنا بأن أبا المهاجر دينار هو أول قائد جيش مسلم يدخل بلاد المغرب الأوسط. بينما ذكر لنا ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) تاريخ هذا الدخول الذي كان في سنة **55**هـ/**675**م، أي أنه كان مع بداية ولاية أبي المهاجر دينار لبلاد

المغرب الأدنى أو إفريقية، وأعلمنا ابن تغري بردي (ت. **874**هـ/**1469**م) أن أبا المهاجر دينار افتتح ميلة، وكانت إقامته بها في هذا الغزو نحوا من سنتين. أي من سنة **59**هـ/**679**م إلى سنة **61**هـ/**681**م حيث عاد إلى مدينته التي أسسها وبقي مدة عام كامل حتى عزل[34].

وقد اختلف المؤرخون حول اسم أبي كسيلة؛ فابن عذاري وابن عبد الحكم (ت. **257**هـ/**871**م) وابن الأثير (ت. **630**هـ/**1233**م) ذكروه باسم لمزم، وابن خياط (ت. **240**هـ/**855**م) ذكره باسم كيزم، وهو باسم لزم عند ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م)، وأغز عند السلاوي (ت. **1315**هـ/**1897**م) وهي عموما كما يذكر الأستاذ لقبال أسماء متقاربة[35].

وكان كسيلة بن لمزم قبل اعتناقه الإسلام على ملة الشرك، ومن ملوك البربر، ومن قبيلة أوربة البرنسية، وأنه لم يستحكم الإسلام قلبه بعد اعتناقه على حد تعبير ابن عذاري، وقد وضح لنا ابن خياط (ت. **240**هـ/**855**م) بأنه كان نصرانيا، وهذا بقوله:" فلقيه كسيلة بن كيزم وكان نصرانيا"، كما أشار ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) أن كسيلة كان يعتنق الديانة النصرانية من خلال قوله:" وكانت رياسة البربر يومئذ في أوربة لكسيلة بن لمزم، وهو رأس البرانس، ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرت من أوربة، وكان على دين النصرانية فأسلما في أول الفتح. ثم ارتدا عند ولاية أبي المهاجر واجتمع إليهما البرانس"[36].

وبعد أن تولى عقبة بن نافع ولاية المغرب للمرة الثانية وكان ذلك في حدود **62**هـ/**682**م في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (**101**-**105**هـ/**720**-**724**م) حيث عزم عقبة على مواصلة الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي كله، فذكر لنا ابن عذاري أنه توجه إلى مدينة باغاية[37] وهي من مدن المغرب الأوسط، ووصف هذه المدينة بأنها من نتاج جبل الأوراس، وكان الروم البيزنطيون[38] بعد هزيمتهم من طرف الجيوش الإسلامية قد لجأوا كما يذكر ابن عذاري إلى باغاية وكانت من المدن الحصينة، فقام عقبة بن نافع بحصار المدينة، وجرى قتال كبير بين

الجيشين الإسلامي والبيزنطي، تمكن المسلمون من هزيمة الروم البيزنطيين، والحصول على الكثير من الغنائم[39].

ومن مدن المغرب الأوسط التي قام عقبة بن نافع بفتحها نذكر إقليم الزاب[40]، حيث تمكن المسلمون من قتال جيش الروم على وادي المسيلة حيث انهزموا، وذهب عزهم من الزاب إلى آخر الدهر على حد تعبير ابن عذاري[41].

ويورد لنا ابن عذاري غزوة عقبة بن نافع لمدينة تيهرت، حيث اجتمع البربر والروم في هذه المدينة وكانت جموعهم عظيمة، وخطب عقبة بن نافع في جيشه خطبة عظيمة ثم زحف إلى الجيش الرومي والبربري حيث تمكن المسلمون من هزيمتهم، ودخول مدينة تيهرت[42].

وبعد حديثه عن فتح المسلمين لمدينة تيهرت قام ابن عذاري بوصف هذه المدينة، وذكر لنا أن تيهرت مدينتان: القديمة ولا يعرف تاريخ بنائها، والتي غزاها عقبة بن نافع، وتبعد عن تيهرت الحديثة بخمسة أميال، وقد أفادنا ابن عذاري أن مدينة تيهرت مدينة عريقة لا يعرف تاريخ بنائها خلافا للبعض الذي يظن أن تيهرت مدينة مستحدثة قد تم بناؤها في عهد الرستميين, ثم يذكر ابن عذاري أن تيهرت الحديثة فقد بناها عبد الرحمن بن رستم بعد سنة **140**ه/**758**م، وذكر لنا أن لها أربعة أبواب: باب الصف، باب المنازل، باب الأندلس، باب المواجن، وحدد لنا موقعها الجغرافي في سفح جبل يقال له جزول، كما أن لتيهرت الحديثة قصبة مشرفة على السوق يقال لها المعصومة، وهي على نهر يأتيها من القبلة، وهي كثيرة البرد والثلج والأمطار، وبقبليها من القبائل ذكر لنا لواتة وهوارة، وبغربيها زواغة، وبجوفها مطماطة وزناتة، كما يذكر ابن عذاري أن تيهرت الحديثة بها أسواق كثيرة عامرة، وبها إثنا عشر حماما، وحواليها من قبائل المغرب أمم كثيرة، وهي في آخر إفريقية[43].

وبعد ذلك واصل عقبة بن نافع فتح بلاد المغرب الأقصى وتوغل في بلاد السوس الأقصى[44] حتى بلغ البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، ووصل حتى فتح كورة[45] من كور بلاد السودان، وبعدها رجع إلى بلاد المغرب

الأوسط، ولما وصل إلى مدينة طُبْنَة[46] سمح لمعظم جنده بالانصراف إلى منازلهم وعيالهم، وتوجه هو في عدد قليل من جيشه إلى تهودة[47] لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان، فلما وصل إلى المدينة وكان في قلة من أصحابه فطمع فيهم سكان المدينة؛ فقاموا بإغلاق باب مدينتهم، وجعلوا يرمون الجيش الإسلامي بالحجارة والنبال، وأرسلوا إلى كسيلة بن لمزم الذي كان في جيش عقبة بن نافع فانضم هذا الأخير إلى الجيش البيزنطي، ودارت معركة قرب تهودة، وكان ذلك في سنة **63**هـ/**683**م وكان عدد جيش عقبة بن نافع خمسة آلاف والجيش الرومي البربري المتحالف خمسون ألف مقاتل، فانهزم فيها الجيش الإسلامي وقتل الكثير من المسلمين من ضمنهم عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار، وأما من تبقى من المسلمين فقد تم أسرهم، ولكن فداهم صاحب قفصة، وتم إرسالهم إلى زهير بن قيس البلوي الذي كان قد خلفه عقبة بن نافع أميرا على القيروان[48].

وإضافة إلى ما ذكره ابن عذارى فقد أورد لنا ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) أن عقبة بن نافع قد قاتل وأصحابه رضي الله عنهم ولم يفلت منهم أحد. وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين[49].

وقد أورد لنا ابن عذاري أن سبب تمرد كسيلة بن لمزم هو أن هذا الأخير لم يستحكم الإسلام بقلبه فاستخف به عقبة بن نافع وأساء معاملته، وقد أشار أبو المهاجر على عقبة بحسن المعاملة وتأليف قلب كسيلة وهو حديث عهد بالإسلام، إلا أن عقبة بن نافع تهاون بكلام أبي المهاجر دينار ولم يستمع إلى نصيحته، وهذا ما جعل كسيلة بن لمزم يستغل أول فرصة للانتقام، وهذا ما حصل، وقد أشار ابن الأثير (ت. **630**هـ/**1233**م) إلى ذلك بقوله: "فلما ولي عقبة عرفه أبو المهاجر محل كسيلة وأمره بحفظه فلم يقبل واستخف به... فأضمر كسيلة الغدر"، كما ذكر ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) ذلك ما نصه: "كان في غزاته تلك يستهين كسيلة، ويستخفّ به وهو في اعتقاله، وأما المالكي فقد ذكر ما نصه: "وقيل كسيلة إنما أتى ناصرا لأبي المهاجر، لأنه كان صديقه، فقتل أبو المهاجر في التحام القتال ولم يعلم به [50].

وأورد لنا ابن عذاري أن قدوم عقبة إلى بلاد المغرب كان في سنة **61**هـ/**681**م، وقيل **62**هـ/**682**م، وبقي يجاهد في سبيل الله لمدة ثلاثة أعوام رحمة الله عليه، ويفهم من كلام ابن عذاري أن وفاة عقبة بن نافع كان في سنة **64**هـ/**684**م أو في سنة **65**هـ/**685**م[51]. بينما ذكر ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) أن قدومه إلى بلاد المغرب كان في سنة **62**هـ/**682**م، وذكر لنا يحي بن خلدون (ت. **780**هـ/**1378**م) أن أهل الزاب قاموا بقتل عقبة بن ناقع بمكان يسمى تهودة في سنة **63**هـ/**683**م، وذكر ابن خياط (ت. **240**هـ/**855**م)، وابن عبد الحكم (ت. **257**هـ/**871**م) أيضا أن مقتل عقبة بن نافع كان في سنة **63**هـ/**683**م[52].

وقد وصف لنا ابن عذاري مدينة تهودة، فذكر لنا أن بنيانها من الحجارة، ولها أسواق كثيرة، ولها ربض واحد، وبها جامع جليل ومساجد، وفنادق كبار، وأنه يقطنها جماعة من البربر دون أن يذكر لنا أسماء هذه القبائل البربرية[53].

ب- سيطرة كسيلة بن لمزم على بلاد المغرب الأوسط

بعد مقتل عقبة بن نافع تمكن كسيلة البرنسي من السيطرة على جميع بلاد المغرب ومنها بلاد المغرب الأوسط، ودخل القيروان في سنة **64**هـ/**684**م؛ فقام بتأمين المسلمين الذي بقوا في المدينة، وانسحب أمير القيروان زهير بن قيس البلوي، حيث لم يتمكن من مواجهة جموع الروم والبربر الثائرة، وتوجه إلى برقة حيث بقي متحصنا هناك إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[54].

ج- هزيمة كسيلة بن لمزم على يد زهير بن قيس البلوي

يورد لنا ابن عذاري أن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة في سنة **65**هـ/**685**م، وباعتبار كتابه مختصرا وخاصا بتاريخ المغرب، وربما ذكر التفصيل في كتابه البيان المشرق في أخبار المشرق، وهو من الكتب التي لا تزال مفقودة في حدود علمنا إلى الآن، ولذلك فلم يورد لنا الفتن والحوادث

الجسام التي سبقت تولية عبد الملك بن مروان الخلافة، والتي أدت إلى انتقال الحكم من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني[55].

استشار الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وزراءه فيمن يصلح لقتال كسيلة بن لمزم، وإعادة بلاد المغرب إلى الحكم الإسلامي؛ فوقع الاختيار على زهير بن قيس البلوي[56]، فوجه عبد الملك بن مروان الأمر إليه بالذهاب إلى القيروان وتخليصها من حكم كسيلة بن لمزم، وأرسل إليه جيشا كبيرا، وأمده بالأموال والخيل وكل ما يكفيه لإعادة الأمور إلى نصابها[57].

وفي سنة **69**هـ/**689**م توجه زهير بن قيس البلوي إلى بلاد المغرب في جيش عظيم، ولما بلغت الأنباء إلى كسيلة بن لمزم -وكان هو أيضا في جيش عظيم من الروم والبربر، وفي أضعاف مضاعفة من الجيش الإسلامي- أمر جنده بمغادرة القيروان، وبرر ذلك لجنده في كونه قد أخذ عهودا بالأمان للمسلمين المقيمين بالقيروان، وهو يخشى إن بدأ بقتال الجيش الإسلامي في أن ينحاز هؤلاء المسلمين إلى جيش الخلافة، فأمر بالنزول بموضع مَمْس وهي على الماء، وذكر السبب في ذلك فإن تمكنا من هزيمة الجيش الإسلامي اتبعناهم إلى طرابلس فقطعنا آثارهم، وإن هزمونا كان الجبل قريبا منا فنتحصن به[58].

ولما غادر كسيلة بن لمزم القيروان نزل عليها الجيش الإسلامي بقيادة زهير بن قيس البلوي لمدة ثلاثة أيام ولم يدخل المدينة، وفي اليوم الرابع رحل الجيش الإسلامي من القيروان وتوجه إلى جيش كسيلة بن لمزم، وكان وصول الجيش الإسلامي إلى معسكر كسيلة بن لمزم كما يذكر ابن عذاري في آخر النهار، وفي الصباح دارت معركة كبيرة بين الطرفين بمكان يدعى ممس وذكرها ابن خلدون باسم ميس، وهي من نواحي القيروان، وأسفرت في النهاية عن هزيمة جيش كسيلة بن لمزم ومقتل هذا الأخير، وتم مطاردة فلول الجيش المنهزم إلى وادي ملوية، وقتل في هذه المعركة الكثير من ملوك الروم والبربر وأشرافهم وفرسانهم، ثم توجه الجيش الإسلامي إلى القيروان فدخلها، ولكن زهير بن قيس البلوي رأى ملكا عظيما بإفريقيا فخشي أن يفتن بالدنيا، وكان هذا الأخير من كبار العابدين والزهاد فترك القيروان آمنة

وانصرف عنها بعد أن ترك الكثير من أصحابه قد استقروا بها، وتوجه زهير بن قيس البلوي إلى برقة حيث خرج إليه جيش كبير من الروم، فتم قتل زهير بن قيس ومن معه من المسلمين، ومن نجا منهم توجه إلى دمشق فأعلموا الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بمقتل زهير بن قيس البلوي، ومن معه من أشراف العرب على يد الروم البيزنطيين[59].

ومن خلال ما ذكره ابن عذاري يتضح لنا أن القتال بين الجيش الإسلامي بقيادة زهير بن قيس وجيش كسيلة المكون من البربر والروم قد حدث في سنة **69**هـ/**689**م، وهو نفس العام الذي ذكره المالكي (ت. بعد **460**هـ/**1068**م)، وأما ابن عبد الحكم (ت. **257**هـ/**871**م) فيذكر أن مقتل كسيلة كان في سنة **64**هـ/**684**م، وأما ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) فقد ذكر أن القتال جرى في سنة **67**هـ/**687**م، كما لم يذكر لنا ابن عذاري تاريخ مقتل زهير بن قيس البلوي على يد الروم البيزنطيين[60]. واختلف المؤرخون في تاريخ مقتل زهير بن قيس فابن الأثير (**630**هـ/**1233**م) ذكر أنه كان في سنة **69**هـ/**689**م، والذهبي (ت. **748**هـ/**1347**م) أورد لنا تاريخ مقتله في سنة **76**هـ/**696**م[61].

د- الكاهنة في مواجهة الوالي الأموي حسّان بن النعمان

بعد مقتل زهير بن قيس البلوي قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (**65-86**هـ/**685-705**م) بتولية حسّان بن النعمان[62] -الذي كان يلقب بالشيخ الأمين- على ولاية المغرب، وجهزه بجيش تعداده أربعون ألف مقاتل، وأمره بالتوجه إلى إفريقية، وكان ذلك في سنة **78**هـ/**697**م. وتمكن حسّان بن النعمان من هزيمة البربر والروم، فلجأ الروم إلى مدينة باجة، وتحصنوا بها، وأما البربر فقد فروا إلى إقليم بونة (عنابة حاليا)، ودخل الجيش الإسلامي إلى القيروان[63].

وبعدد مرور عدة أيام بلغته الأخبار بوجود امرأة بجبل الأوراس يقال لها الكاهنة، وقد دان لها المغرب كله، وجميع البربر تحت حكمها، وجميع الروم بإفريقية خائفون منها، فتوجه الجيش الإسلامي بقيادة حسان بن

النعمان إلى معقل الكاهنة بجبل الأوراس، فلما علمت بذلك رحلت في عدد كبير لا يحصى وتوجهت إلى باغاية، فأخرجت منها الروم، وقام بتهديم المدينة حيث ظنت أن حسان بن النعمان كان يريد التحصن بها، فلما بلغ الخبر إلى حسان بن النعمان نزل بوادي مَسْكِيَانة، كما نزلت الكاهنة بنفس الوادي، وكان الجيشان يتزودان بنفس ماء الوادي، الجيش الإسلامي من أعلاه وجيش الكاهنة من أسفله، وأبى الجيش الإسلامي القتال في آخر النهار، فبات الطرفان ليلتهم على سروجهم، وفي الصباح نشبت معركة بين الجيشين، انهزم فيها الجيش الإسلامي، وقُتل الكثير من المسلمين، وأسرت الكاهنة ثمانين رجلا من أعيان المسلمين، وسُمي ذلك الوادي بواد العَذَارى، وقامت الكاهنة بمطاردة فلول الجيش الإسلامي المنزم حتى ألجأتهم إلى الخروج من قابس، وعلى إثر هذه الهزيمة توجه حسّان بن النعمان إلى برقة، ووجه رسالة إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يُعلمه بما حدث؛ فأمره بالتحصن ببرقة وانتظار رده، فأقام بها، وبنى هناك قصورا بقيت إلى الآن تسمى قصور حسّان[64].

ولم يذكر لنا ابن عذاري اسم الكاهنة وإلى أي قبيلة تنتمي، وقد أشار ابن خلدون (ت. **808**هـ/**1406**م) إلى أن الكاهنة كان اسمها دهيا بنت ماتية بن تيفان، وفي موضع آخر يذكر نسبها كالتالي: "دهيا بنت بن نيعان بن بارو بن مصكسرى بن أفرد بن وصيلا بن جراو، فهي من قبيلة جراوة- إحدى بطون زناتة، وهي من القبائل البترية، وذكر لنا ابن خلدون بأن لها ثلاث بنون، وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة، كما أشار ابن خلدون إلى الديانة التي كانت تعتنقها الكاهنة مع قومها من قبيلة جراورة بقوله: "وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم، لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراءة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح"، ويعلق الأستاذ بن عميرة على مسألة تهود قبيلة جراوة بقوله: "وتذكر بعض المصادر أن جراوة قد تهودت قبل الإسلام لكن الباحثين في تاريخ المغرب لم يقتنعوا بذلك وراح بعضهم يشك في الأمر بينما راح البعض الآخر ينفيه تماما،

وسيبقى المشكل مطروحا طالما لم يعثر على دليل يؤيده أو ينفيه". أما المالكي فيعلمنا أن الكاهنة كانت على الديانة الوثنية تعبد الأصنام وهذا من خلال النص التالي: "وهربت الكاهنة... تريد جبال أوراس، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده، يحمل بين يديها على جمل"[65].

وبعد رحيل الجيش الإسلامي بقيادة حسّان بن النعمان عن بلاد المغرب، وتحصنه ببرقة، تمكنت الكاهنة من حكم بلاد المغرب كله لمدة خمس سنوات، فلما رأت تأخر الجيش الإسلامي في محاربتها قالت للبربر كما يذكر ابن عذاري: "إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة؛ ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها حتى يئس منها العرب؛ فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر"[66].

ومن خلال هذا النص نلاحظ أن الكاهنة ومن معها من البربر كانوا يظنون أن قدوم الجيش الإسلامي إلى بلاد المغرب كان هدفه هو النهب والسلب، وأنهم كغيرهم من المحتلين السابقين كالرومان والوندال والبيزنطين لهم نفس الهدف، ولما يدركوا أن غاية الفاتحين المسلمين إنما كان هو نشر الدين الإسلامي الحنيف بمبادئه السامية القائمة على العدل والمساواة والإنصاف وتخليصهم أيضا من قبضة الاحتلال البيزنطي الغاشم[67]. وقد أشار عبد الرحمن الجيلالي إلى أن الكاهنة لم تدرك سياسة الفاتحين، وأنهم لا يريدون من مغازيهم إلا استكمال الفتح بإدخال الإسلام على أهل البلاد، ولكن الكاهنة لم تدرك ذلك[68].

ويذكر لنا ابن عذاري أن الكاهنة ملكة بلاد المغرب التي اتخذت من جبل الأوراس مقرا لملكها قد أمرت بتخريب مدائن بلاد المغرب، فتم قطع الأشجار وتهديم الحصون، وهرب الكثير من النصارى والأفارقة مستغيثين بما نزل بهم على يد الكاهنة؛ فتقرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية. وأحسنت الكاهنة إلى أسرى المسلمين وكان عددهم ثمانين رجلا، وحبست عندها خالد بن يزيد، وأرادت أن تتخذه ابنا لها، وكان للكاهنة ابنان أحدهما بربري والآخر يوناني، فعمدت الكاهنة إلى دقيق الشعير فلثته بزيت، وجعلته

على ثدييها ودعت ولديها وقالت لهم كلا معه على ثديي ففعلا, فقالت لهم قد صرتم إخوة[69].

وقد أثار صنيع الكاهنة هذا كما يذكر عبد الرحمن الجيلالي وغيره أحقاد الكثيرين من أهل البلاد، وأدركوا أنها سياسة خرقاء؛ ففيهم من أظهر الاعتراض فأرهقته، وفيهم من سالم على مضض، وعم الاستياء البلاد، حتى دفع ببعضهم إلى استقدام جيوش المسلمين التي كانت آنذاك تحت قيادة حسان بن النعمان للتخلص منها[70].

أرسل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى والي المغرب حسّان بن النعمان العديد من الجند والفرسان، فدعا حسّان بن النعمان رجلا ممن يثق به، وأرسله إلى خالد بن يزيد بكتاب، فأعلمه خالد بأن أمر البربر متفرق ولا نظام لهم فاستعد لقتالهم، وجعل الكتاب في خبزة وجعلها زادا للرجل، ووجهه إلى حسّان بن النعمان، وعلمت الكاهنة بخبر الخبز؛ فأرسلت من يطلب الرجل لكن الله ستره ووصل إلى حسّان بن النعمان فكسر الخبزة، وقرأ الكتاب فوجده قد أفسدته النار[71].

تجهز حسّان بن النعمان لقتال الكاهنة، ولما بلغها الخبر، رحلت عن جبل الأوراس في خلق عظيم، ثم قالت لابنيها في الليل كما يذكر ابن عذاري أنها رأت رؤيا تدل على أنها مقتولة وأنها رأت رأسها مقطوعا بين ملك المسلمين الذي بعث حسّان بن النعمان لمحاربتها، فنصحها خالد بن يزيد بالرحيل وترك بلاد المغرب للمسلمين، لكنها رفضت ذلك واعتبرته وصمة عار يلحقها في قومها، وطلبت من خالد وولديها أن يطلبوا الأمان من حسّان بن النعمان، فتوجهوا في الليل إليه وطلبوا منه الأمان، فقبل أمانهم، وبعدها التحم القتال، واشتد الحرب والنزال، فانهزم جيش الكاهنة، ووقعت هذه الأخيرة مقتولة[72].

وبعد نهاية الحرب عقد لولدي الكاهنة لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس، وخرجوا مع المسلمين يقاتلون الروم البيزنطيون والبربر الذين مازالوا على كفرهم، وبعدها عاد حسّان بن النعمان إلى القيروان، وحسن

إسلام البربر وطاعتهم، وكان ذلك في شهر رمضان من عام **82**هـ/**701**م واستقامت بلاد المغرب؛ فقام حسّان بن النعمان بتدوين الدواوين وفرض الخراج على عجم إفريقية ومن بقي على دين النصرانية، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي دينار (ت. نحو **1110**هـ/**1698**م) إلى ذلك بقوله: "وكتب الخراج على النصارى وعلى من تمسك بدين النصارى من البربر[73].

ومن خلال هذا النص ندرك أن بلاد المغرب الأوسط بعد إسلام سكانه أصبح جزءا من بلاد الإسلام، فاهتم الفاتحون المسلمون بتعميره وبنائه، حيث قام حسّان بن النعمان بتدوين الدواوين، وبناء المدن والقرى... إلخ وشارك أبناء المغرب الأوسط في حركة التعمير والبناء، وتم تعيين أبناء المنطقة كقادة للجيوش الإسلامية حيث تم تعيين ابني الكاهنة على قيادة الجيوش بحيث أصبح كل واحد منهما قائدا على ستة آلاف فارس. وهذا خلافا للاحتلال الروماني أو الوندالي أو البيزنطي الذين قاموا باستعباد سكان بلاد المغرب الأوسط وقاموا بنهب ثرواته وخيراته واستبعادهم عن حكم بلادهم، فشتان بين الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط القائم على العدل والرحمة والإنصاف، وهذا ما أمر به الإسلام، ومنها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير) [سورة الحجرات، الآية: **13**]، وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ)[74]، وبين الاحتلالات التي سبقته التي قامت على الظلم والقهر والاستعباد واستغلال ثروات الشعوب ونهبها.

ولم يذكر ابن عذاري المكان الذي قتلت فيه الكاهنة، بينما أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "وقتلت الكاهنة بمكان السر المعروف لهذا العهد بجبل الأوراس"، وأما ابن دينار فقد ذكر أن الكاهنة قتلت بطبرقة أو ببئر الكاهنة بجبل الأوراس. كما أن ابن عذاري رغم أنه يجعل دخول حسان بن النعمان إلى بلاد المغرب في سنة **78**هـ/**697**م وتاريخ رجوعه إلى القيروان بعد

إنهاء أعماله في شهر رمضان من عام **82**ه/**701**م أي أن ما قام به هذا الرجل من أعمال حسب رواية ابن عذاري كان في أربع سنوات فقط، إلا أنه يستدرك ذلك بقوله: "وغزوات حسّان لم تنضبط بتاريخ محقق، ولا فتحه لقرطاجنة وتونس، ولا قتله الكاهنة". وذكر المالكي أن عبد الملك بن مروان بعثه أميرا على بلاد المغرب سنة **69**ه/**689**م في ستة آلاف مقاتل، وهو أول من دخل إفريقية من أهل الشام في زمن بني أمية، وتردد ابن أبي دينار (ت. نحو **1110**ه/**1698**م) في تاريخ دخول حّسان بن النعمان إلى بلاد المغرب فذكر أنها كانت بين سنوات **76**ه/**695**م أو **77**ه/**696**م أو **79**ه/**698**م، وذكر أنه دخل إلى بلاد المغرب بجيش كبير تعداده أربعون ألف مقاتل وهو أول جيش إسلامي يدخل بلاد المغرب بهذا العدد، وحدد نهاية ولاية حسّان بن النعمان لبلاد المغرب بسنة **84**ه/**703**م[75].

وأما ابن الأثير فيذكر ولاية حسّان بن النعمان ضمن حوادث سنة **74**ه/**694**م ويحدد تاريخ مجيء موسى بن نصير إلى بلاد المغرب خلفا لحسّان بن النعمان في سنة **88**ه/**707**م، وينفرد ابن الأثير بتسمية ما قامت به الكاهنة من تخريب للقلاع والمدن وافساد المزارع والمراعي بالخراب الأول لإفريقية، ويضيف ابن الأثير أن الكاهنة خرجت من معتصمها في جبل الأوراس احتجاجا لقتل كسيلة فاستولت على بلاد المغرب، وعاثت فيه فسادا،، وأن حسّان بن النعمان بعد هزيمته للكاهنة وقتلها قفل راجعا إلى المشرق أثناء حياة الخليفة عبد الملك بن مروان، (ت. **86**ه/**705**م)، واستخلف على بلاد المغرب رجلا اسمه أبو صالح إليه ينسب فحص صالح[76].

وقد رجح الأستاذ موسى لقبال أن التاريخ الأقرب للصحة هو ما يأخذ به ابن عبد الحكم (ت. **257**ه/**871**م) وهو في سنة **73**ه/**693**م وهذا ما يؤكده ابن الأثير (ت. **630**ه/**1233**م) مع خلاف ظاهري بين الرجلين، ذلك أن الفتن والاضطرابات التي كانت تحدث في المشرق الإسلامي كان تمنع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من الاستغناء عن هذا العدد الكبير من جيشه وخيرة قادته[77] قبل سنة **73**ه/**693**م، أما في سنة **73**ه/**693**م وبعد تمكنه من التغلب على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في الحجاز بحيث

أصبح الخليفة الأموي مطمئنا على ملكه، اتجهت أنظاره نحو بلاد المغرب من جديد، وقد أمر حسّان بن النعمان بالاستقرار في مصر والاعداد لغزو المغرب الذي استغرق كامل سنة **73**ه/**693**م بحيث لم تتوجه الحملة الإفريقية إلا في بداية سنة **74**ه/**694**م كما أوضح لنا ذلك ابن الأثير، وليس ببعيد القول أن غزوات حسّان بن النعمان ضد البيزنطيين ولقاءه الأول مع البربر البتر في جبل الأوراس قد تم في بحر سنة **74**ه/**694**م وبعد هزيمته على يد الكاهنة استأنف غزواته بعد مرور خمس سنوات التي كللت بالنجاح التام في نهاية سنة **82**ه/**701**م فانصرف حسان بعدها للتعمير، ولا شك أن أعماله هذه الضخمة ربما قد امتدت إلى أواخر سنة **86**ه/**705**م؟

هـ- المغرب الأوسط في عهد موسى بن نصير

قام والي مصر عبد العزيز بن مروان بتولية موسى بن نصير على بلاد المغرب الإسلامي، بدون مشورة أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان قدوم هذا الوالي إلى بلاد المغرب الإسلامي كما يذكر لنا ابن عذاري في حدود سنة **82**ه/**701**م، وفي موضع آخر يذكر أنه تولى حكم بلاد المغرب في سنة **88**ه/**707**م فأقام أمير عليها وعلى الأندلس مدة **18** عاما فأعاد فتح بلاد المغرب الأدنى أو إفريقية، وأخضع تلك القبائل لحكم المسلمين، ثم توجه إلى بلاد المغرب الأوسط فقام بفتح مواطن قبيلة هوارة وزناتة وكتامة، وهزم هاته القبائل وتمكن من قتل قائدهم وكان يدعى طامون، حيث تم قتله عند البركة التي عند قرية عقبة، فسميت بركة طامون، ولا زالت إلى اليوم كما يذكر ابن عذاري تسمى بهذا الاسم، كما قدمت قبيلة كتامة إلى موسى بن نصير فولى عليهم رجلا منهم. وبعدها توجه إلى فتح بلاد المغرب الأقصى، ووصل إلى طنجة، وبلغ بلاد السوس الأدنى وهو بلاد درعة، وولى طارق بن زياد على طنجة، وأمر بتعليم البربر القرآن الكريم، وأن يفقهوهم في الدين، ثم عاد إلى القيروان. وبعد أن تم فتح بلاد الأندلس في سنة **92**ه/**711**م شارك بربر المغرب الأوسط كما يذكر ابن عذاري مع إخوانهم من بربر المغرب الإسلامي في فتح بلاد الأندلس، وقفل موسى بن نصير راجعا إلى

دمشق في سنة **95**هـ/**714**م بناء على طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك (**86-96**هـ/**705-715**م)[78].

وعند الحديث عن نسب موسى بن نصير نرى أن ابن عذاري يتردد في ذكر نسبه؛ فمرة يقول أنه من قبيلة لخم أي من القبائل القحطانية اليمنية أي من عرب الجنوب، ومرة يقول أنه من قبيلة بكر بن وائل العدنانية أي من عرب الحجاز (عرب الشمال)، ثم يذكر نسبه نقلا عن كتاب الصلة لابن شكوال بأنه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد[79]. فالبلاذري (ت. **279**هـ/**892**م) يرى أنه مولى لبني أمية وأصله من عين التمر، ويقال: بل هو من أراشة من بلي ويقال: هو من لخم. وأما ابن أبي دينار (ت. نحو **1110**هـ/**1698**م) فقد نسب موسى بن نصير إلى قبيلة قريش، وأما الكندي (ت. بعد **353**هـ/**964**م) فيرى أنه مولى لقبيلة لخم، أما الذهبي (ت. **748**هـ/**1347**هـ) فقد ذكر أنه كان مولى امرأة من لخم، وقيل هو مولى لبني أمية[80].

كما نلاحظ أن ابن عذاري مرة يذكر لنا أن قدوم موسى بن نصير إلى بلاد المغرب كان في سنة **82**هـ/**701**م، وفي موضع آخر يذكر أنه كان في سنة **88**هـ/**707**م وقد استمر في منصبه إلى سنة **96**هـ/**715**م حيث قام الخليفة سليمان بن عبد الملك (**96-99**هـ/**715-718**م) بعزله، ويعلمنا أيضا أنه بقي أميرا على بلاد المغرب لمدة ثمانية عشر عاما؛ فإذا أخذنا بالتاريخ الأول - باعتبار بقائه ثمانية عشر عاما في الحكم- وهو سنة **82**هـ/**701**م أي بمعنى أنه بقي واليا على بلاد المغرب إلى سنة **100**هـ/**719**م، وإذا أخذنا خبر توليته في سنة **88**هـ/**707**م أي أنه بقي في منصبه إلى سنة **106**هـ/**725**م، وهذا خلافا لما ذكره أيضا ابن عذاري وغيره من المؤرخين من أن قرار عزل موسى بن نصير عن المغرب كان في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (**96-99**هـ/**715-718**م) في سنة **96**هـ/**715**م، وتوفي بعدها في سنة **98**هـ/**717**م[81].

ويرى بعض المؤرخين كابن عبد الحكم (ت. **257**هـ/**871**م) أن قدوم موسى بن نصير إلى بلاد المغرب كان في سنة **78**هـ/**697**م أو في سنة **79**هـ/**698**م، وأما ابن أبي دينار (ت. نحو **1110**هـ/**1698**م) فيرى أن قدوم

موسى بن نصير إلى بلاد المغرب الإسلامي كان في سنة **88**هـ/**707**م، ويرى ابن الأثير (ت. **630**هـ/**1233**م) أن الخليفة الوليد بن عبد الملك (**86-96**هـ/**705-715**م) هو من عيّن موسى بن نصير على ولاية المغرب، وكان ذلك في سنة **89**هـ/**708**م ووافقه في ذلك الكندي (ت. **353**هـ/**964**م)، وتم عزله في سنة **96**هـ/**715**م مع بداية حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك (**96-99**هـ/**715-718**م)، وذكر لنا أن وفاة موسى بن نصير كانت في سنة **97**هـ/**716**م ووافق ابن عبد الحكم (ت. **257**هـ/**871**م) ابن الأثير (ت. **630**هـ/**1233**م) في تاريخ الوفاة[82]. والراجح من الروايات أن تاريخ عزل موسى بن نصير كان مع بداية حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك أي في سنة **96**هـ/**715**م.

و- المغرب الأوسط في عهد محمد بن يزيد وإسماعيل بن عبد الله

قدم محمد بن يزيد[83] إلى بلاد المغرب في سنة **97**هـ/**716**م فسار بأهلها أحسن سيرة وأعدلها، ودامت ولايته سنتين وأشهرا, أي إلى غاية سنة **99**هـ/**718**م، ومن أهم الأعمال التي ذكرها لنا ابن عذاري عن هذا الوالي أنه كان يقسم ما يصيبه من غنائم على المسلمين من البربر والعرب على حد السواء، وبذلك نعم البربر بعدالة الإسلام، فكان لهذا التصرف أبعد الأثر في نفوسهم[84].

وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة (**99-101**هـ/**718-720**م) بعد وفاة ابن عمه سليمان بن عبد الملك، فاستعمل على بلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر[85]، وكان مولى لبني مخزوم، ويذكر لنا ابن عذاري أن هذا الوالي قام بدعوة البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر على يديه، وعلمهم الحلال والحرام، كما بعث عمر بن عبد العزيز مع هذا الوالي عشرة من التابعين[86]، فكان خير أمير وخير وال، ودامت ولايته سنتين وخمسة أشهر. وذكر ابن الأثير أن البربر في عهد الوالي إسماعيل قد دخلوا في الإسلام جميعهم. ويذكر لنا الحسين شواظ أن البربر قد أقبلوا في شغف على تعلم الدين الإسلامي، وانضموا إلى الجيش الإسلامي، وحدثت بينهم المصاهرات، وكثر بناء المساجد والكتاتيب في سائر بلاد المغرب، وأخذ أهل مدنها يقلدون

العاصمة الإسلامية حتى في طرازها المعماري، وانتشرت الثقافة الإسلامية بين البربر[87].

- الخاتمة

من خلال ما سبق ذكره ندرك واعتمادا على روايات ابن عذاري أن سكان بلاد المغرب الأوسط قد واجهوا الفاتحين المسلمين بكل ما لديهم من قوة ورباطة جأش على اعتقاد منهم أن هؤلاء مثل غيرهم من المحتلين السابقين كالرومان والوندال والبيزنطيين كانوا يهدفون إلى استعبادهم ونهب خيراتهم وثرواتهم، ولكن ما إن انتشر الدين الإسلامي الحنيف بين أوساط البربر وخاصة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي أرسل الكثير من العلماء والدعاة لتعليم سكان بلاد المغرب أصول الدين الإسلامي الحنيف، حتى أدركوا مبادئه السامية القائمة على الرحمة والعدل والإنصاف فأصبحوا من أكبر دعاته والقائمين بأمور الدعوة الإسلامية سواء في بلاد السودان الغربي أو في أوروبا الغربية وخاصة في بلاد الأندلس وصقلية وجزر البليار، وتم تعيين الكثير من سكان بلاد المغرب كقادة عسكريين، والدليل على ذلك ما ذكرناه سابقا من تعيين ابني الكاهنة كقائدي جيش للمسلمين، وقد تم فتح بلاد الأندلس بقيادة طارق بن زياد وكان هذا الأخير من البربر، وبجيش معظمه من البربر مع عدد قليل من العرب، ورغم وجود بعض الهفوات وبعض النقائص في كتاب البيان المغرب لابن عذاري إلا أن كتابه يعتبر مصدرا هاما وضروريا لكل من يريد الاطلاع أو البحث في تاريخ المغرب والأندلس وهذا لاحتوائه على مصادر كثيرة وغنية، والتي بعضها لا يزال إلى يومنا هذا مفقودا، بالإضافة إلى التزام المؤلف بالنزاهة والأمانة فيما ينقله دون زيادة أو نقصان، واستخدامه المنهج النقدي خلال عرضه للنصوص التاريخية والتعليق عليها سواء بالإيجاب أو السلب.

ومن أهم التوصيات في هذا المقام نذكر ما يلي:

1- الاعتناء بالتاريخ الوطني والإسلامي وإعطاؤه حقه من البحث والدراسة، وخاصة فترة العصور الوسطى، وضرورة تعريف الأجيال بمختلف

مستوياتها أن الجزائر أو ما كان يعرف آنذاك بالمغرب الأوسط، وبمدنه الشهيرة كبجاية وتلمسان وجزائر بني مزغنة وقلعة بني حماد وغيرها كانت حواضر كبيرة تضاهي أو تفوق الحواضر القائمة آنذاك كالقاهرة وبغداد ودمشق أو قرطبة.

2- الدعوة إلى عقد ملتقيات وطنية ودولية وبمشاركة مختلف الباحثين من مؤرخين وأساتذة جامعيين وطلبة دكتوراه، وتنسيق الجهود مع مختلف المؤسسات العلمية من مدارس وجامعات ومعاهد ومراكز علمية لدراسة التاريخ الوطني عبر عصوره المختلفة، وبمختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، واستخلاص الدروس والعبر، والاستفادة من خبرات من سبقنا وتطبيق كل ذلك على واقعنا المعاصر؛ فالحتمية التاريخية تؤكد لنا دائما أن نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا) [سورة فاطر، الآية: **43**].

- الهوامش:

1- من أهم المؤلفات في ذلك العصر نذكر ما يلي: كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد المراكشي وسير أعلام النبلاء للذهبي والوافي بالوفيات للصفدي والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب والوفيات لابن قنفد القسنطيني، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي وكتاب درة الحجال لابن القاضي المكناسي وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.

2- عبد الله بن حيدر علي، كتاب البيان المغرب لابن عذاري ومنهجه التاريخي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، **1419**هـ، ص ص**12-13**.

3- محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، ط**1**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، **1998**م، ص**189**؛ خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام قاموس ترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط**1**، دار العلم للملايين، بيروت، **2002**م، ج**7**، ص**95**؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د. ت. ط، ج**12**، ص**12**.

4- عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، **1962**م، ج**9**، ص**260**؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د. ت. ط، مج**2**، ص**331**؛ جلال الدين السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د. ت. ط، ص**177**؛ عبد السلام بن سودة، مؤرخ المغرب الأقصى دليل بن سودة، ط**1**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، **1997**م، ص**87**.

5- محمد بن محمد المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، تونس، **1213**هـ، ج**1**، ص ص**104**، **105**.

6- المراكشي، المصدر السابق، ج**1**، ص**104**.

7- بن حيدر علي، المرجع السابق، ص**21**.

8- المرجع نفسه، ص ص**21**، **22**.

9- المرجع نفسه، ص ص**22**، **23**.

10- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط**3**، دار الثقافة، بيروت، **1982**م، ج**1**، ص**208**؛ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تحقيق: محمد الكتاني وآخرون، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1985**م، ج**5**، ص**447**؛ إسماعيل بن محمد البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط، ج**3**، ص**207**؛ الزركلي، المرجع السابق، ج**7**، ص**95**؛ رضا كحالة، المرجع السابق، ج**12**، ص**12**؛ عبد السلام بن سودة، مؤرخ المغرب الأقصى دليل بن سودة، ط**1**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، **1997**م، ص**87**؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**14**، **15**.

11- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**14**، **15**، **23**، ج**5**، ص**399**.

12- الزركلي، المرجع السابق، ج**7**، ص**95**؛ كحالة، المرجع السابق، ج**12**، ص**12**؛ البغدادي، المرجع السابق، ج**3**، ص**207**؛ بن سودة، المرجع السابق، ص**88**؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**3**.

13- مركز الملك فيصل، خزانة التراث فهرس مخطوطات، المملكة العربية السعودية، ج**71**، ص**877**، ج**94**، ص**688**؛ ابن حيدر علي، المرجع السابق، ص**33**، **34**، **38**.

14- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**1-6**.

15- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**3-8**.

16- المصدر نفسه، ج**1**، ص**4**.

17- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**4**، **5**.

18- أنظر ترجمته: أحمد بن يحي الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، **1967**م، ص**377**.

19- ابن عذارى، المصدر السابق، ج**2**، ص ص**126**، **237**.

20- أنظر ترجمة: الرقيق القيرواني: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1993**م، ج**1**، ص**97**.

21- إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1990**م، ص ص**7-197**؛ حيدر علي، المرجع السابق، ص ص**128-134**.

22- لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط**1**، دار الكتب العلمية، **1424**هـ، ج**1**، ص**247**؛ كحالة، المرجع السابق، ج**6**، ص**192**؛ علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط**2**، المكتبة الملكية، الرباط، **1411**هـ/**1991**م، ص ص**27**، **40**؛ حيدر علي، المرجع السابق، ص**121**.

23- بن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**78**؛ حيدر علي، المرجع السابق، ص ص**198**-**202**.

24- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**20**، ج**2**، ص ص**17**، **18**، **66**؛ حيدر علي، المرجع السابق، ص ص **252**-**255**.

25- عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1992**م، ج**2**، ص ص**200**-**284**؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**219**، **220**، **257**-**261**؛ حيدر علي، المرجع السابق، ص ص**256**-**261**.

26- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**5**، **6**.

27- أنظر على سبيل المثال: ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**62**، **142**، **200**.

28- المصدر نفسه، ج**1**، ص**200**.

29- عبد القادر بوعقادة، "هل المغرب الأوسط خرافة؟"، عصور جديدة، العدد **21**-**22**، **2016**م، ص**63**.

30- عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1992**م، ج**2**، ص**746**؛ محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط**1**، عالم الكتب، بيروت، **1409**هـ، ج**1**، ص ص**250**، **260**؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط**1**، المكتبة العصرية، بيروت، **2006**م، ص**253**؛ عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، **2000**م، ج**6**، ص**134**؛ أحمد بن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، د. ت. ط، ج**1**، ص**127**.

31- ابن خلدون، المصدر السابق، ج**1**، ص**76**.

32- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط**5**، دار الرشاد، القاهرة، **2000**م، ص**27**.

33- ذكر المالكي نسبه بقوله: عقبة بن نافع بن عبد القيس. وقال ذكره أبو سعيد وغيره أنه معدود من جملة الصحابة الذين دخلوا إفريقية، وهو الذي اختط مدينة القيروان وبنى دار الإمارة التي في قبلي الجامع. وعدّه أبو العرب من الصحابة الذين دخلوا إلى إفريقية، وأما ابن الأثير فذكر نسبه بقوله: عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري ولد على عهد رسول الله ﷺ لا تصح له صحبة، وكان أخا عمرو بن العاص. أنظر: عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1994**م، ج**1**، ص**97**؛ محمد بن أحمد أبو العرب، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت. ط، ص**17**؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط**1**، دار الكتب العلمية، بيروت، **1995**م، ج**4**، ص ص**57**، **58**.

34- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**28**، **29**؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص**193**؛ السلاوي، ج**1**، المصدر السابق، ص**136**؛ يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د. ت. ط، ج**1**، ص**152**؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، **1999**م، ص**130**.

35- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**؛ عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، **1415**هـ، ص**226**؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط**2**، مؤسسة الرسالة، بيروت، **1397**هـ، ص**251**؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط**1**، دار الكتاب العربي، بيروت، **1997**م، ج**3**، ص**207**؛ السلاوي، المصدر السابق، ج**1**، ص**136**؛ موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط**2**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1951**م، ص**37**.

36- ابن خياط، المصدر السابق، ص**251**؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص**142**.

37- باغاية: مدينة جليلة ذات أنهار وثمار ومزارع وهي تقع على مقربة من جبل الأوراس، وهي أيضا قريبة من مسكيانة، وقد قامت الكاهنة بتخريب هذه المدينة. البكري، المصدر السابق، ج**2**، ص**710**؛ الحميري، المصدر السابق، ص**76**.

38- تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية بعد وفاة الإمبراطور ثيودسيوس في سنة **395**م إلى قسمين بين ولديه: قسم غربي وعاصمته روما، وقد سقط هذا القسم على يد القبائل الجرمانية في سنة **476**م، وقسم شرقي وعاصمته القسطنطينية وقد استمر القسم

الشرقي من الإمبراطورية الرومانية الذي أصبح يطلق عليه اسم الإمبراطورية البيزنطية أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى عام **857**هـ/**1453**م حيث تمكن العثمانيون من فتح القسطنطينية وتحويلها إلى دار الإسلام, وكان البيزنطيون يحتلون بلاد المغرب منذ سنة **534**م إلى غاية الفتح الإسلامي.

39-ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**23**، **24**.

40- الزاب: يذكر الحموي أنها كلمة بربرية تعني السبخة، وهو كورة عظيمة من بلاد المغرب ومن مدنه: بسكرة وتوزر وقسنطينية وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس. وأما ابن خلدون فيذكر أن بسكرة قاعدة وطن الزاب، وهو وطن كبير يشتمل على قرى متعددة وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى كلها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط**2**، دار صادر، بيروت، **1995**م، ج**3**، ص**124**؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص**585**.

41- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**24**.

42- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**24**، **25**.

43- المصدر نفسه، ج**1**، ص**25**.

44- السوس الأقصى: السوس بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية، وقيل: السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى :كورة أخرى مدينتها طرقلة، ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين، وأما ابن عذاري فذكر أنه إذا جزت جبل درن فعن يمينك تجد بلاد السوس الأقصى، ويقال لها بلاد ماسة، ويتصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى السودان. الحموي، المصدر السابق، ج**3**، ص**281**؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**5**، **6**.

45- كورة: بالضم المدينة والصقع، والكورة من البلاد المِخلاف وهي القرية. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المحققين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، **2001**م، ج**14**، ص**77**.

46- طُبنة: أعظم بلاد الزاب، بينها وبين المسيلة مرحلتان. وتقع آثار مدينة طبنة شرق حوض الحضنة على بعد **450** كلم جنوب شرق الجزائر العاصمة، و**4** كلم جنوب مدينة بريكة، وتقع إداريا على الحدود المشتركة بين بلديتي بريكة شمالا وبيطام جنوبا. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص**387**؛ عبد الحكيم أكعور، "طبنة عبر التاريخ الشواهد الأثرية والأبحاث العلمية"، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد **16**، العدد **02**، جامعة الجزائر **2**، الجزائر، **2018**م، ص**19**.

47- تهودة: من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة هي مدينة مبنية بالحجر الجليل وعليها سور عظيم، ولها ربض ويدور بجميعها خندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس. الحميري، المصدر السابق، ص**142**.

48- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**27-30**.

49- ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص ص**193**، **194**.

50- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**29**؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج**3**، ص**207**؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص**193**؛ المالكي، المصدر السابق، ج**1**، ص**40**.

51- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**30**.

52- ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص**193**؛ يحي بن خلدون، كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، **1903**م، ص**77**؛ ابن خياط، المصدر السابق، ص**251**؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص**227**.

53- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**30**.

54- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**30**، **31**.

55- المصدر نفسه، ج**1**، ص**1ٔ4**؛ لمزيد من التفصيل أنظر المقال الخاص بهذا الموضوع: بومداح مرزاق، "معركة مرج راهط ودور القبائل اليمنية في بقاء الخلافة الإسلامية في بني أمية '**64**هـ/**684**م"، مجلة المفكر، أفريل **2019**م، ص ص**40-52**.

56- زهير بن قيس البلوي: أبو شداد من قبيلة بلي القحطانية اليمنية ذكره المالكي نقلا عن ابن يونس أنه معدود في جملة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه روى مع صحبته عن بعض التابعين، وذكر أبو العرب أنه من التابعين، وأما ابن الأثير فقد روى عن أبي نصر بن ماكولا أنه يقال أن له صحبة. أنظر: المالكي، المصدر السابق، ج**1**، ص**93**؛ أبو العرب، المصدر السابق، ص**18**؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج**2**، ص**330**.

57- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص **31**.

58- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**31**، **32**.

59- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**32**، **33**.

60- المالكي، المصدر السابق، ج**1**، ص**46**؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج**4**، ص**238**.

61- ابن الأثير، المصدر السابق، ج**3**، ص**362**؛ محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط**2**، دار الكتاب العربي، بيروت، **1992**م، ج**5**، ص**404**.

62- ذكر ابن عذاري نسبه بقوله: هو حسّان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد. وكان كما يذكر الذهبي من الغساسنة. وأما السمعاني فيذكر ما نصه: الغسّاني: هذه النسبة إلى غسّان، وهي قبيلة نزلت الشام، وإنما سميت غسّان بما نزلوها .قال أبو المنذر الكلبي: سمي ماء السماء لأنه كان غياثاً لقومه مثل ماء السماء. وأما المنذر بن ماء السماء فإن أمه كانت تسمى ماوية لقبت ماء السماء وهي بنت عوف بن جشم أخوه لأمه جابر بن أبي حوط الحظائر النمري، فعامر هو ماء السماء بن حارثة، وهو الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن وهو جماع غسان، وغسّان ماء شرب منه أبناء مازن فسموا غسان ولم يشرب منه خزاعة ولا أسلم ولا بارق ولا أزد عمان فلا يقال لهم غسان. وهو من أولاد مازن بن الأسد. أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج**4**، ص**162**؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**34**، **35**؛ الكندي، المصدر السابق، ج**5**، ص**328**؛ السمعاني، المصدر السابق، ج**4**، ص**295**.

63- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**34**، **35**، **39**.

64- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**34-36**.

65- ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص ص**140**، **143**؛ ج**7**، ص ص**12**، **13**؛ محمد بن عميرة، "موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد **02**، جامعة الجزائر **2**، **1986**م، ص**20**؛ المالكي، المصدر السابق، ج**1**، ص**54**.

66- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**36**.

67- أثار المستشرقون الكثير من الشبهات عن دوافع الفتح الإسلامي سواء في المشرق أو في المغرب، ومما ذكره هؤلاء الدوافع الاقتصادية، وكانت تلك الآراء والأفكار المغرضة التي تبناها المستشرقون لم تكن إلا تعبيرا صريحا عما يكنه هؤلاء من أحقاد على الإسلام والمسلمين، ولتشويه صورة المسلمين الذين حملوا أعظم معاني العدل والانصاف إلى بقية الشعوب بأعمال عسكرية عظيمة تتوجت بالقضاء على أعتى إمبراطوريتين في العالم آنذاك الساسانية والبيزنطية... ليخرجوا بعد ذلك محررين الأمم الأخرى مما لحقها من جور وظلم تحت نير هؤلاء وسواهم. لمزيد من التفصيل أنظر: عدي سالم الجبوري، دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي (دراسة تحليلية)، ط**1**، دار

الحامد للنشر والتوزيع، عمان، **2012**م، ص ص**119-167**؛ جميل المصري، دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، دار القلم، دمشق، د. ت. ط، ص ص**77-89**.

68- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، **1965**م، ج**1**، ص**183**.

69- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**36**، **37**.

70الجيلالي، المرجع السابق، ج**1**، ص**183**.

71- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**37**.

72- المصدر نفسه، ج**1**، ص ص**37-38**.

73- المصدر نفسه، ج**1**، ص**38**؛ محمد بن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المطبعة التونسية، تونس، **1286**هـ، ص**32**.

74- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق محمد الناصر، ط**1**، دار طوق النجاة، **1422**هـ، ج**6**، ص**154**، رقم الحديث **4907**.

75- ابن خلدون، المصدر السابق، ج**6**، ص**143**؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**29**؛ المالكي، المصدر السابق، ج**1**، ص**48**؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص**31**، **32**.

76- ابن الأثير، المصدر السابق، ج**3**، ص ص**415-418**,

77- ذكر حسين مؤنس أن عبد الملك بن مروان كان له أيضا اهتمام ببلاد المغرب ورغبة منه في تخليص من بها من المسلمين، فعلى الرغم من حربه لعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب بالإضافة إلى الاضطرابات التي قام بها الشيعة التي كانت على أشدها في سنة **69**هـ/**689**م إلا أنه بعث بالإمدادات لزهير بن قيس البلوي في هذه السنة وأمره بالمسير إلى بلاد المغرب، وهذا دليل على أن أمور بلاد المغرب أصبحت تهم أولي الأمر في الدولة الإسلامية، كما تهمهم أمور العراق والحجاز، ويضيف حسين مؤنس بأن سبب الاهتمام باسترجاع ببلاد المغرب لم يكن مجرد استنقاذ من بها من المسلمين وإنما كانت الرغبة في تهدئة أمورها واتمام فتحها، لأن الخلافة أصبحت تنظر إليها كبلاد إسلامية لا مفر من الاهتمام بها اهتماما لا يقل عن الاهتمام بالموصل والجزيرة. أنظر: مؤنس، ص ص**217**، **218**.

78- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**39-46**.

79- أنظر: خلف بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط**2**، مكتبة الخانجي، القاهرة، **1955**م، ص**172**.

80- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**39**؛ البلاذري، ص**228**؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص**33**؛ الذهبي، المصدر السابق، ج**6**، ص**485**.

81- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**43**، **46**.

82- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص**231**؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص**33**؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج**4**، ص ص**20**، **85**؛ الكندي، المصدر السابق، ص**228**.

83- محمد بن يزيد: ذكر ابن عبد الحكم أنه ينتسب إلى قبيلة قريش العدنانية، وذكر السلاوي أنه مولى قريش ويقال مولى الأنصار تولى بلاد المغرب من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك وبمشورة رجاء بن حيوة في سنة **97**هـ/**716**م، وبقي في منصبه إلى غاية وفاة سليمان بن عبد الملك في سنة **99**هـ/**718**م. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص**241**؛ السلاوي، المصدر السابق، ج**1**، ص**156**.

84- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**47**؛ السلاوي، المصدر السابق، ج**1**، ص**156**؛ الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ط**1**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، **1411**ه، ج**1**، ص**57**.

85- إسماعيل بن عبيد الله: ذكره أبو العرب ضمن الطبقة الثانية الذين دخلوا إلى بلاد المغرب، وذكر المالكي نسبه بقوله: "أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي، كان من التابعين، سكن القيروان وسار بالمسلمين بالحق والعدل وأسلم على يديه خلق كثير من البربر". أنظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص**20**؛ المالكي، المصدر السابق، ج**1**، ص ص**115**، **116**.

86- العشرة من التابعين هم كالتالي: أبو عبد الرحمن الحبلي، سعد بن مسعود التجيبي، إسماعيل بن عبيد الأنصاري، عبد الرحمن بن رافع التنوخي، موهب بن حي المعافري، حبّان بن أبي جبلة القرشي، بكر بن سوادة الجذامي، أبو سعيد حعثل بن هاعان، إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، طلق بن جابان ويقال له ابن جعبان الفارسي، بكر بن سوادة الجذامي، ج**1**، ص ص**99-118**.

87- ابن عذاري، المصدر السابق، ج**1**، ص**47**؛ شواط، المرجع السابق، ج**1**، ص**57**.

جهود المؤرخـات الجزائريـات
في بنـاء مدرسة التـاريخ الوطني والحفـاظ على الذاكرة الوطنية
مريم الصغير، عائشة غطـاس، فلة موسـاوي أنموذجـا

الأستـاذ: عمر جبري
جـامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

- مقدمة

عرفت الجزائر عبر تاريخها المجيد بروز العديد من المؤرخين الذين دونوا تاريخ الجزائر عبر عصوره المختلفة، بداية من الفترة القديمة إلى الوسيطة ثم الحديثة والمعاصرة، التي تجسدت في البداية من خلال كتابات المؤرخ محمد مبارك الميلي وعبد الرحمان الجيلالي، والتي جاءت كردة فعل أولى على أقلام المدرسة الفرنسية الكولونيالية وروادها من المؤرخين والقادة العسكريين وعلماء الاجتماع والدين... الخ، على غرار المؤرخ باربروجر (Burburger)، رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية الفرنسية التي تصدر عنها المجلة الإفريقية، والمترجم العسكري آرنولد (Arnaud) والمؤرخ الفرنسي لويس رين (Louis Rinn)، العقيد ترومللي (Tromley) والجنرال ماريمونج (Mary Mong) والجنرال لادميرو (Ladimir) وايربيون (Herbillon) وسيروكا (Siroka)... وغيرهم كثيرون، ممن حاولوا تزييف وتشويه الوقائع التاريخية للجزائر لأغراض وأهداف معروفة.

لتليها بعد مطلع القرن الواحد والعشرين بوادر ظهور إرهاصات مدرسة تاريخية جديدة مع كتابات شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله وكتابه تاريخ الجزائر الثقافي في أجزائه التسعة وكتابه أيضا تاريخ

الحركة الوطنية بأجزائه الأربعة، كذلك ظهور ما يعرف برواد المدرسة التاريخية الجزائرية بعد تأسيس معهد التاريخ بجامعة الجزائر بوزريعة مع إبراهيم مياسي وعبد القادر زبادية ويحي بوعزيز والمنور مروش وناصر الدين سعيدوني وعمار بن خروف وجمال قنان... وغيرهم من مؤسسي الجيل الأول لقسم التاريخ.

كما ظهرت بعد ذلك العديد من المؤرخات الجزائريات اللائي كان لهن الدور الكبير في استكمال مسيرة الرجل وكتابة تاريخ الجزائر، من بين هؤلاء المؤرخات الجزائريات أخذنا ثلاثة نماذج هن: عائشة غطاس ومريم صغير وفلة موساوي.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نعالج محطة هامة من محاور هذا الملتقى من خلال:

إبراز دور المؤرخات الجزائريات في كتابة التاريخ الوطني، وإلى أي مدى تمكنت المؤرخات الجزائريات من كتابة التاريخ الوطني؟

1- المؤرخة مريم صغير

أ- المولد والنشأة العلمية

ولدت مريم صغير في **16** من شهر نوفمبر **1965** بالجزائر العاصمة (باب الواد) بدأت مسارها الدراسي في ابتدائية مالك بن نبي التي زاولت فيها دراستها الأولى، ثم أكملت تعليمها المتوسط في إكمالية الشيخ التيجاني بالعاصمة ثم انتقلت لثانوية فرانس فانون للبنات ونالت منها شهادة البكالوريا تخصص الآداب عام **1987**م، والتحقت مريم صغير بجامعة الجزائر بوزريعة واختارت تخصص التاريخ، لتدرس مدة **04** سنوات وتتخرج بشهادة الليسانس في التاريخ العام عام **1991**م، بتاريخ **24** جويلية **1997**م نالت مريم صغير شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير مشرف جدا، أين تناولت في دراستها موقف الدول العربية من القضية الجزائرية **1954-1962**م، لتكمل دراستها العليا في الدكتوراه برسالة ناقشتها يوم **13** سبتمبر **2004**م، تحت عنوان: المواقف الدولية من

القضية الجزائرية **1954-1962**م، تتلمذت مريم صغير على يد كبار المؤرخين الجزائريين من أمثال أبو القاسم سعد الله وموسى لقبال ومولاي بلحميسي، هم اللذين اقتبست منهم الجدية في العلم والتدريس والكتابة والتأطير[1].

ب- مريم صغير حرم البروفيسور بوعزة بوضرساية

في خضم الأحداث التي كانت تعيشها الجامعة الجزائرية يشاء القدر أن تلتقي مريم صغير بالأستاذ بوعزة بوضرساية، والذي كان آنذاك أستاذا بمعهد التاريخ ببوزريعة وهي طالبة، حيث جاء في شهادة البروفيسور بوعزة بوضرساية ما يلي: "عرفت مريم صغير في سنوات **1985-1986**، كنت أستاذا بمعهد التاريخ وكانت مريم حينها طالبة، وصادف أن كان هنالك إضراب للأساتذة وتم رفع مجموعة من المطالب وكنت من ضمن الأساتذة، وكان يُنظم تجمع بجامعة الخروبة، وكنا ننتقل إلى الجامعة المركزية وفي خضم هذه الأحداث شاء القدر أن يحدث التواصل والتقارب بيننا، وكان عليّ التقدم لطلب يدها من أهلها للزواج، حيث بعد لقاء عائلي، تم استكمال مراسيم زواجنا بعد قبول العائلتين وبعدها توثقت العلاقة أكثر وكان زواجنا سنة **1990**..."[2].

رغم تخرج مريم صغير بشهادة الليسانس وزواجها إلا أنها لم تقطع الأمل في مواصلة الدراسة، وكان بدعم وتشجيع من زوجها الدكتور بوعزة بوضرساية، حيث بعد سنتين من زواجهما تنجح مريم في مسابقة الماجستير بجامعة الجزائر، وفي هذا الشأن يقول عنها رفيق دربها: "... كنت من بين المشجعين لها بعد أن اجتازت مسابقة الماجستير في الجامعة ، ونجاحها، وكنت المكلف بتغطية مصاريفها في جانب البحث العلمي ، كما شجعتها على الكتابة وهي طالبة في الماجستير ، وكنت أراجع لها بعض المقالات من الجانب المنهجي..."[3].

أصبح لمريم صغير ثنائي البحث والتدريس مع الأستاذ بوعزة بوضرساية في قسم التاريخ، بعدما ناقشت مريم رسالة الماجستير ثم

أطروحة الدكتوراه أصبح الاثنان يمثلان ثنائيا متميزا؛ سمحت لهما هذه العلاقة بأن يبرمجا معا مشاريع في الكتابة والتأليف، نشرت الدكتورة مريم صغير كتاب بعنوان: المواقف العربية من القضية الجزائرية **1954-1962** وكتاب المواقف الدولية من القضية الجزائرية **1954-1962**، كما نشرت لها أعمال أخرى بعنوان: البعد الإفريقي للقضية الجزائرية **1955-1962**[4].

كما قامت دكتورة مريم صغير بتقديم كتاب البروفيسور بوضرساية بوعزة الذي عنوانه: رواد المدرسة التاريخية الصادر عن دار الحكمة سنة **2007**، كما ساهمت بكتاب في إطار المشاريع الوطنية للبحث عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، وكانت طبعة خاصة للكتاب من طرف وزارة المجاهدين سنة **2007**، والذي كان بعنوان الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر[5].

2- الملتقيات والمحاضرات

شاركت الدكتورة مريم صغير في عديد الملتقيات والندوات التاريخية ومن بينها:

- الملتقى الوطني حول المرأة ودورها في الثورة التحريرية.
- الملتقى الوطني حول الإعلام والإعلام المضاد خلال الثورة.
- الملتقى الوطني حول الحركة الطلابية إبان الثورة التحريرية.
- الملتقى الوطني حول الأبعاد المغاربية للثورة تنظيم مخبر الوحدة المغاربية.
- الملتقى الوطني حول مظاهرات **11** ديسمبر **1960**.
- الملتقى الوطني حول الحاج أحمد باي المنعقد في بسكرة.
- الملتقى الوطني حول المنظمة الخاصة.
- الملتقى الوطني حول مجازر **8** ماي **1945**.

- الملتقى الوطني حول المدرسة التاريخية الجزائرية.

- الندوة التاريخية حول الأمير عبد القادر الجزائري.

- الندوة التاريخية حول هجومات **20** أوت **1955**[6].

3- مهامها الإدارية والعلمية

عن مهامها الإدارية يقول رفيق دربها البروفيسور بوضرساية بوعزة: "بعد تولي زميلي محمد لحسن زغيدي إدارة التاريخ كنت حينها رئيس اللجنة العلمية للقسم وهي تم تعيينها نائب مدير للبحث العلمي بالقسم..."، كما شغلت العديد من المسؤوليات أبرزها [7]:

- رئيسة اللجنة البيداغوجية للسنة الرابعة مرحلة التدرج (ليسانس).

- عضو مؤسس للاتحاد المؤرخين الجزائريين.

- عضو في اتحاد المؤرخين العرب.

- عضو في فرقة بحث متخصصة في جرائم الاستعمار الفرنسي بالمركز الوطني للدراسات التاريخية.

- رئيس فرقة بحث جامعي بعنوان: البعد المغاربي للقضية الجزائرية **1954/1962** على مستوى جامعة الجزائر.

- خبير في تقييم الأعمال العلمية ذات التخصص في التاريخ المعاصر لدى المؤسسة الوطنية لترقية البحث (Andru).

- عضو في مناقشة المذكرات على مستوى قسم التاريخ.

- عضو مناقش في رسائل الماجستير والدكتوراه.

- الإشراف على مجموعة من الرسائل الجامعية ماجستير ودكتوراه.

- الإشراف على مذكرات التخرج في الليسانس[8].

4- الإشراف العلمي

تعد مهمة الإشراف أهم المسؤوليات العلمية التي قامت بها الدكتورة مريم صغير فخلال مسارها في الجامعة أشرفت على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، حيث لم نتمكن من جردها وإحصائها كلها، وتجدر الإشارة أننا استبعدنا مذكرات الليسانس، وركزنا على الماجستير والدكتوراه، وهنا قدمنا أهم ما تحصلنا عليه ومن بينها[9]:

- بلعريبي نور الدين: علاقات الأمير عبد القادر بالمملكة المغربية **1832-1847**، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله.

- عواريب لخضر: الأمير شكيب أرسلان وعلاقته بحركات التحرر في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، (**433**ص)، **30-01-2008**.

- عليوات مسعود: الاتجاه الوحدوي والتربوي للحركة الكشفية العربية من خلال منظمة الكشافة العربية **1954- 2002**، أطروحة دكتوراه، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله **30-01-2008**.

- موهوك مبروك: التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل **1857-1914**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية **2010-2011**م، (**174**ص).

- طلحاوي مريم: السلطان عبد الحميد الثاني بين التقليد والتجديد ودور الحركة الصهيونية في خلعه إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله **17-04-2007**.

- مسعودي رجاء: الثورة بين مؤتمر القاهرة والحكومة المؤقتة أوت **1957** سبتمبر **1958**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2**، السنة الجامعية **2010-2011**م، (**144**ص).

- شباح عبد الفتاح: القضية الجزائرية في المحافل الدولية **1954-1962**، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله (**211**ص).

- كديدة محمد مبارك: ملف الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية **1960-1962**، رسالة ماجستير، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، **16-01-2013**[10].

5- المؤرخة مريم صغير في ذمة الله

انتقلت المؤرخة مريم صغير إلى ذمة الله يوم **11** مارس **2012**م، بعد مرض ألم بها تاركة وراءها رصيدا علميا كبيرا في البحث والكتابة والتأليف والتأطير[11]، رحم الله الفقيدة وأسكنها فسيح جناته، لتكون بذلك واحدة من المؤرخات الجزائريات اللاتي كان لهن دور كبير في كتابة التاريخ الوطني والحفاظ على الذاكرة الوطنية الجزائرية[12].

2/2- المؤرخة فلة موساوي

أ/ المولد والنشأة والدراسة

ولدت فلة موساوي القشاعي في مدينة الورود البليدة عام **1955**م، التحقت بالتعليم الابتدائي عام **1961**م إلى غاية **1967**م بابتدائية الإخوة بالحاج بالبرواقية، بعدما نالت شهادة التعليم الابتدائي واصلت التعليم في الطور المتوسط بمتوسطة الفتح عام **1967**م ونالت شهادة الأهلية عام **1970**م، ثم انتقلت للتعليم الثانوي بثانوية الفتح بالبليدة ما بين عام **1970-1973**م وتنال شهادة البكالوريا في جوان **1973**م بتقدير امتياز[13].

اختارت الطالبة فلة موساوي تخصص التاريخ بالجامعة المركزية بالجزائر عام **1973**م وتتخرج بشهادة الليسانس في التاريخ العام عام **1976**م، ثم نالت بعدها شهادة الكفاءة المهنية في التعليم الثانوي عام **1978**م، ثم نالت أيضا شهادة التحكم ما بين عام **1979-1985**م، ثم شهادة الديداكتيك من طرف المركز الفرنسي للبيداغوجيا بفرنسا عام **1989**م، ثم نالت دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث حول دراسة: "الريف القسنطيني خلال الفترة العثمانية: مقاربة اقتصادية واجتماعية (**1771-1837**م) (D.E.A) من جامعة الجزائر **2** ما بين عام **1987-1992**م، ثم نالت بعدها شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث من جامعة الجزائر **2** ما بين عام **1995-2005**م[14].

واصلت بعدها الأستاذة فلة موساوي دراستها العليا في تخصص الدكتوراه ونالت شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير مشرف جدا، في تخصص التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والصحي للجزائر خلال الفترة العثمانية وبداية مرحلة الاحتلال الفرنسي، تحت إشراف كل من البروفيسور: ناصر الدين سعيدوني من جامعة الجزائر **2** والبروفيسور: دانيال بانزاك من جامعة (Aix-En Provence France) بفرنسا، وقد ركزت الباحثة فلة موساوي القشاعي، خلال كامل مسيرتها البحثية الطويلة والشاقة على جمع واستنطاق الوثائق التاريخية الأرشيفية، سواء المتواجدة في داخل الوطن أو في الخارج بفرنسا[15].

2/ السيرة العلمية

- حاصلة على شهادة البكالوريا والليسانس ، والتحكم ، الماجستير، ودبلوم الدراسات المتقدمة (.D.E.A).

- حاصلة على دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر **2** جوان **2005**.

- أستاذ التعليم العالي (بروفيسورة) ديسمبر **2010**.

- عضو منتخب في المجلس العلمي لقسم التاريخ بجامعة الجزائر **2**.

- عضو منتخب في اتحاد المؤرخين الجزائريين.

- رئيسة فرقة البرنامج الوطني للبحوث (.P.N.R).

- قائدة فريق البحث (.C.N.E.P.R.U).

- عضو في البرنامج الوطني للبحوث (.P.N.R).

- خبيرة ومستشارة في المركز الوطني للدراسات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م.

- خبير ومستشارة في هيئة معادلة الشهادات بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ما بين **2016-2017**.

- مستشار محكمة لمجلات علمية وأكاديمية عديدة.

- متخصصة في التاريخ الصحي والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي الفترة العثمانية بالجزائر.

- تتقن عدة لغات نطقا وكتابة: العربية - الفرنسية - الألمانية - الإنجليزية - اللاتينية - العثمانية.

- أشرفت وناقشت العديد من رسائل الماجيستير وأطاريح الدكتوراه داخل وخارج الوطن[16].

3/المنشورات العلمية الوطنية والدولية

شاركت الأستاذة الدكتورة فلة موساوي في العديد من المؤتمرات والندوات الدولية والوطنية(بالجزائر، تركيا، تونس، المغرب، فرنسا،... إلخ) من خلال جملة من المداخلات العلمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مداخلة بعنوان: الواقع الصحي والاجتماعي والاقتصادي خلال الحرب العالمية الثانية (**1939-1945**م)، المنشور في البرنامج الوطني للبحث.

- مداخلة حول: النظام المالي العثماني في باليك قسنطينة (**1776-1837**م).

- مداخلة حول: الواقع الصحي والديمغرافي في الجزائر خلال الفترة العثمانية وبداية الاحتلال الفرنسي (**1515-1870**م).

- مداخلة حول: النظام الضريبي العثماني في الريف القسنطيني (**1776-1837**)، منشورات دار البصائر الجديدة، الجزائر، **2016**.

- مداخلة حول: الحقائق الصحية والديموغرافية في الجزائر من الفترة العثمانية إلى بدايات الغزو الفرنسي (**1515-1870**م)، بوزارة الثقافة، الجزائر، **2013**.

- مداخلة حول: التراث الثقافي العثماني في الجزائر (**1515-1830**م)، المؤتمر الدولي حول العلاقات الجزائرية التركية عبر التاريخ، جامعة مانيسا، تركيا، ديسمبر **2016**.

- مداخلة حول: "الضرائب العثمانية في الجزائر (**1515-1837**م)".

- مداخلة حول: الأمراض والأوبئة في منطقة بسكرة، مقاربة صحية وديموغرافية خلال (القرن **16-20**)، في المؤتمر الدولي حول المقاومة في منطقة الزيبان، جامعة بسكرة، (**15-16** جانفي **2017**).

- مداخلة حول: أهمية تدريس التاريخ في المقررات الجامعية مؤتمر عقد في (E.S.T.P.) الجزائر، **18/01/2017**.

- مداخلة حول إعادة كتابة التاريخ الجزائري، ضرورة لجعله واقعا ندوة عقدت في (E.P.A.U.) الجزائر مارس **2017**.

- مداخلة حول العربي بن مهيدي بعنوان: "العربي بن مهيدي شهيد جزائري يُعاد اكتشافه من خلال وثائق الأرشيف الفرنسي"، مؤتمر عقد في متحف المجاهد، الجزائر، **26/01/2017**.

- مداخلة حول الصحة والسكان بالجزائر (**1515-1881**)، مؤتمر تافسالي الدولي، جامعة كوتاهيا، تركيا، **29/03/2015**.

- مداخلة حول الضرائب والجمارك العثمانية في الجزائر (**1515-1830**)، ندوة عقدت بقصر الرايس بالجزائر العاصمة **26/05/2015**.

- مداخلة حول الصحة والسكان في الجزائر من خلال الأرشيف الصحي والديموغرافي **1515-1949**م، عقد المؤتمر في قصر الرايس، الجزائر، أبريل **2015**[17].

3/3- المؤرخة عائشة غطاس

أ/ المولد والنشأة والدراسة

ولدت عائشة غطاس بمدينة البرواقية ولاية المدية في **20** ديسمبر **1955**م، درست في مدينة البرواقية خلال الطور الابتدائي والمتوسط والثانوي لتتحصل على شهادة الباكالوريا شعبة الآداب سنة **1976**م، تلتحق بعدها بالجامعة لتختار تخصص التاريخ بجامعة الجزائر، تحصلت عائشة على شهادة الليسانس في التاريخ العام عام **1978**م، في المرتبة الأولى في دفعتها لتسجل مباشرة في طور الماجيستر وتحصلت عائشة غطاس على شهادة الماجيستر عام **1986**م، وكانت رسالتها حول: "العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن **17**م" إشراف الدكتور مولاي بلحميسي[18].

لتكمل بعدها الدكتوراه وتتخصص في موضوع: "الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر **1700-1830**م مقاربة اقتصادية واجتماعية" عام **2002**م، إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني، أطرت عائشة غطاس خلال مسيرتها العلمية العديد من الطلبة في الليسانس والماجيستر والدكتوراه وألفت عدة كتب ونشرت عدة مقالات، وتشاء الأقدار أن تتوفى في ظروف غامضة يوم **08** ماي **2011**م وهي في عمر **56** سنة[19]، وقد حزن عليها الباحثون والمؤرخون والطلبة والعديد ممن عرفوها طالبة وأستاذة وقد رثاها شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله في وفاتها فقال:

"... رحمك الله يا ابنت الكرام، من سيعوضك على طلب العلم وإتقان العمل والحرص على مستوى الطلبة، حتى لا يتدنى بهم المتدنون ولا يعبث بهم العابثون... لقد شاركتها في مناقشة بعض الطلبة الذين تشرف عليهم فكانت صارمة وعادلة وحريصة على سمعة الجامعة وسمعتها العلمية... رحمك الله يا عائشة لقد فقدت فيك إحدى بناتي وتلميذاتي وإحدى زميلاتي)[20].

2/ السيرة العلمية

تعتبر الأستاذة عائشة غطاس واحدة من بين القلائل من الباحثين المتمكنين في تاريخ الجزائر العثمانية وقد أظهرت مقدرة كبيرة على التعامل مع الوثائق الأرشيفية واستنطاقها، هذا من خلال دراساتها القيمة حول:

أ- موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م

هو من بين الموضوعات الصعبة التي لم يكتب فيها إلا القليل من الباحثين الجزائريين عكس أقلام المدرسة الفرنسية التي كتبت وفق منهج مؤدلج، تأتي أهمية الدراسة من خلال تناول الدراسة للوجود العثماني في الجزائر وعلاقة الجزائر مع فرنسا التي عاملتها معاملة الند للند، من خلال المعاهدات الرسمية والحملات البحرية المختلفة والمعاملات التجارية والتمثيل الدبلوماسي[21].

ب- موضوع الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر1700-1830م مقاربة اقتصادية اجتماعية

تناولت خلالها الباحثة التركيبة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع مدينة الجزائر، وأهم الطبقات المكونة له والوضع الديمغرافي والعوامل المؤثرة فيه، وكذلك المؤسسات المسيرة والعناصر المكونة للمجتمع ومظاهر التفاوت الاجتماعي من بيوتات علمية وألبسة ومساكن، والعلاقات المجتمعية داخل كل حارة[22].

3/ المنشورات العلمية الوطنية والدولية

- الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر **1700-1830**م، مقاربة اجتماعية اقتصادية.

- مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

- الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها.

- مقال بعنوان المرجع لتاريخ الأمة العربية.

- مقال بعنوان: ممتلكات المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

- الوثائق المحلية وأهميتها في في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الجزائر.

- العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية.

- مقال بعنوان: الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، العدد **76**، جوان/أوت **1983**م.

- رصد بيبليوغرافي لمصادر الجزائر في العهد العثماني في المجلة الافريقية، القسم **01**، مجلة الدراسات التاريخية، **1988**.

- التجار الجزائريون من خلال سجلات القنصليات الفرنسية **1686-1830**م، المجلة التاريخية المغاربية، العدد **61-62**، **1991**.

- إسهام المرآة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية المغاربية، العدد **85-86**، **1997**.

- سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة إنسانيات، العدد **03**، **1997**.

- الصداق في مجتمع مدينة الجزائر **1672-1854**م، مجلة إنسانيات، العدد **04**، **1998**.

- القضاة الأحناف في مدينة الجزائر **1560-1850**م، مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد **1718**، **1998**.

- أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني، المجاعات والأوبئة (**1787-1830**م)، المجلة التاريخية العثمانية، العدد **17-18**، زغوان، **1998**.

- الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر، المجلة العربية للدراسات العثمانية، العدد **15**، **2021**.

- الوافدون على مدينة الجزائر بين التهميش والاندماج، المجلة العربية للدراسات العثمانية، العدد **15**، **2001**.

- أوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر إبان الحكم العثماني، من مظاهر التواصل بين الجزائر والحجاز، أعمال الملتقى الدولي بتونس **02-04** جوان **2003**م، مؤسسة التميمي، تونس.

- من أجل إعادة النظر في البيئة الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة إنسانيات، العدد **19-20** جوان **2003**م.

- قراءة في كتاب الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر **1700-1830**م مقاربة اجتماعية اقتصادية، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ط**01**، **2007**م[23].

- استنتاج وتقييم

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها في دراسة نماذج للمؤرخات الجزائريات يمكننا أن نستنتج أن:

1- المدرسة التاريخية الجزائرية عرفت تطورا كبيرا في الكتابة والتأليف وتجسد ذلك من خلال بروز نخبة مكونة وفق منهج رصين وعقيدة قوية تدافع عن المرجعية الثورية والتاريخية والوطنية للجزائر وتاريخها.

2- برزت المرأة الجزائرية في المجال التاريخي بقوة من خلال ثلة من المؤرخات الجزائريات اللاتي حملن مشعل المقاومة الثقافية ضد إرهاصات المدرسة الكولونيالية وهذا ما كان يبرز من خلال كل من المرحومة عائشة غطاس ومريم صغير وفلة موساوي القشاعي أطال الله في عمرها.

3- المرأة الجزائرية المؤرخة كانت الأم والأخت والزوجة وساهمت مع الرجل الند للند في مهمة الدفاع عن تاريخ الوطن وهويته، فمريم الصغير أيقونة البحث التاريخي والبروفيسور بوعزة بوضرساية شكلا ثنائيا متكاملا في

البحث والتدريس والإدارة بجامعة بوزريعة ترك بصمة كبيرة في نفوس كل من درس عندهما.

4- المرأة الجزائرية كتبت تاريخ الجزائر وأصبح لها مكان بين كبار المؤرخين الجزائريين والنماذج التي ذكرت مثال حي عن واقع المدرسة التاريخية وهناك أمثلة أخرى لم نذكرها كفاطمة الزهراء قشي وبوحمشوش نعيمة... الخ.

- الهوامش

1- بوعزة بوضرساية (**2010**م). الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم **1830-1848**، ط**2**، دار الحكمة، الجزائر، ص**376**.

2- بوعزة بوضرساية (**2009**م). سياسة فرنسا البربرية في الجزائر **1830-1930** وانعكاساتها على المغرب العربي، ط**2**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ص**414**.

3- بوعزة بوضرساية، (السنة الجامعية: **1990-1991**م). الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم (**1826-1848**)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: جمال قنان، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص**433**.

4- بلعريبي نور الدين: علاقات الأمير عبد القادر بالمملكة المغربية **1832-1847**، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله.

5- طلحاوي مريم (**17-04-2007**). السلطان عبد الحميد الثاني بين التقليد والتجديد ودور الحركة الصهيونية في خلعه، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله.

6- كديدة محمد مبارك (**16-01-2013**). ملف الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية **1960-1962**، رسالة ماجستير، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله.

7- مسعودي رجاء (السنة الجامعية **2010-2011**م). الثورة بين مؤتمر القاهرة والحكومة المؤقتة أوت **1957** سبتمبر **1958**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: مريم صغير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2**، ص**144**.

8- بن سعدي سمير، صغير مريم (**17-04-2022**). السيرة الذاتية للدكتورة مريم صغير، منحنا إياها البروفيسور بوعزة يوضرساية زوج الدكتورة مريم صغير، بجامعة محمد البشر الإبراهيمي، برج بوعريريج.

9- بن سعدي سمير، صغير مريم، (**2012**م). مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية **1954-1962**، ط**2**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ص**358**.

10- بن سعدي سمير، صغير مريم (السنة الجامعية: **2003-2004**م)، المواقف الدولية من القضية الجزائرية **1954-1962**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مسعودة يحياوي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (**428**ص).

11- بن سعدي سمير، الإنتاج العلمي للدكتورة مريم صغير "دراسة إحصائية تحليلية"، مجلة الدراسات التاريخية، مج**23**، ع**1**، جوان **2022**، ص ص **540-559**.

12- مريم توامي، مساهمة المرحومة مريم صغير في تدوين تاريخ الثورة **1965-2012**م، الملتقى الوطني حول دور المؤرخات الجزائريات في كتابة التاريخ الوطني، **07** مارس **2018**م، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر **2**.

13- فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر**1518-1871**م، وزارة الثقافة، الجزائر، **2010**.

14- جبري عمر، مقابلة شفهية مع الأستاذة فلة موساوي القشاعي، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، الجزائر، يوم: **18-02-2019**م.

15- فلة موساوي القشاعي، الواقع الديمغرافي في الجزائر على ضوء الرصيد الأرشيفي الصحي القرن **16-19**م، ندوة تكوينية لطلبة قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج، **14/02/2024**م.

16- جبري عمر، المرجع السابق.

17- المرجع نفسه.

18- إبراهيم سعيود، عائشة غطاس كما عرفتها، جريدة الشروق اليومي، الأحد **14** ماي **2011**م.

19- أبو القاسم سعد الله، رثاء الفقيدة عائشة غطاس، منتديات قمار دي زاد، شبكة الانترنت.

20- إبراهيم سعيود، المرجع السابق.

21- فاطمة الزهراء قشي، ذكرى تأبينية الفقيدة عائشة غطاس **1955-2011**، مجلة إنسانيات، العدد **55-56**، ص ص **09**، **10**.

22- الشافعي درويش، الدكتورة عائشة غطاس رحمها الله محاكاة الإنسانة والباحثة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد **01**، المجلد **23**، السنة **2022**، ص ص **456-469**.

23- فوزية لزغم، الدكتورة عائشة غطاس وكتابها الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر **1700-1830**م، مجلة عصور جديدة، العدد **03-04**، **2011**.

جهود مدرسة التـاريخ الوطنية
في الاهتمـام بأرشيف الهيئـات القيـادية للثورة الجزائرية

الأستـاذ: أحمد مسعود سيد علي
جـامعة محمد بوضيـاف - المسيلة

- تمهيد

على الرغم من الجهود التي بذلتها مدرسة التاريخ الوطني لإعادة كتابة تاريخ الجزائر، فإن مسيرتها هذه لا زالت تراوح مكانها ولم تؤهلها لبلوغ مرحلة مواجهة السيل الجارف من الكتابات الفرنسية التي ذهل بها الكثير من الباحثين الجزائريين سواء عن وعي منهم أو غير وعي، إن هذا الإذهال حتى وإن كان له ما يبرره من شروط موضعية بفعل العتمة التي لا تزال تلقي بضلالها على الكثير من محطات الثورة حتى في أبسط صورها، عتمة أضيف إليها تعتيما أخر بما خلفته بعض المذكرات والشهادات من تناقضات واختلافات مثلا حول شرعية مؤتمر الصومام أو عدم شرعيته رغم أنه مؤتمر تأسيسي لأعلى هيئة قيادية للثورة التحريرية وروايات متناقضة تخص حجم العمليات العسكرية أو كمية السلاح الذي تم إمداده للداخل والكثير من القضايا...

إن هذا السجال ساهم بدوره في رفع ستار العتمة الذي كان مضروب على الذاكرة الجمعية للجزائريين واخترق حتى فئتهم التي اتخذت من التاريخ هواية وغدت تتغنى بمقدار الكم الهائل من الوثائق التي تجلبها من مختلف دور الأرشيف الفرنسية دون مراجعتها وتمحيصها ومقارنتها مع ما هو موجود في الجزائر لتحقق بها السبق.

ونحن إذ نسجل هذا الملاحظة ليس من باب التنقيص من قيمة الأرشيف الفرنسي فهو جزائري بدرجة أولى والجزائر أولى به، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الخطوات التي خطتها مدرسة التاريخ الوطني حتى ولو لم تحقق بها قفزة نوعية وتؤسس لديناميكية وفاعلية تؤهلها للتصدي بحزم لمدرسة التاريخ الاستعماري، فإنها في الآونة الأخيرة -إشارة إلى الرعيل الثاني من مدرسة التاريخ الوطني- خطت خطوات رائدة، فتحت من خلالها آفاقا واعدة وخصبة في هذا المجال ويكفي هنا الإشارة إلى حركة الترجمة التي تعرفها بعض الكتابات التاريخية الجزائرية من منظور وطني إلى اللغات الأجنبية.

إن هذا الإسهام وإن لم يزل في خطواته الأول المحتشمة، فإنه في تقديرنا يشكل السلاح الأمثل للوقوف في وجه الغزو المستمر لمناهج مدرسة التاريخ الاستعماري، كما أن إسهامات بعض الباحثين الأكاديميين في تحرير بعض المذكرات والشهادات لصانعي الحدث فتحت هي أيضا أفقا واسعا نحو استغلالها استغلالا موضوعيا، يندرج ضمن الرؤية الوطنية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر.

إن هذه الإسهامات مجتمعة يضاف إليها العناية بما هو موجود من أرشيف يخص دائما الثورة التحريرية، وهو موجود بالمركز الوطني للأرشيف والذي لا تزال الكثير من أرصدته بكرا وهو يشكل بدوره إحدى المنابع الأساسية في تقديرينا التي سينهل منها الباحثون، لإعطاء انطلاقة جديدة للمسيرة المتواضعة التي قطعتها مدرسة التاريخ الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر، انطلاقة لن تحقق السبق الذي حققته مدرسة التاريخ الاستعماري لكنها ستقطع أشواطا في منظورنا تقلص بها الفارق بين المدرستين، ليس بالتفنيد والتكذيب فحسب، بل بالخوض في دراسة القضايا والمسائل التي روج لها مؤرخو المدرسة الاستعمارية الفرنسية للتشويش على الذاكرة الوطنية وفي الاطار جاءت جهود مدرسة التاريخ الوطني بتأطير الكثير من الأطاريح التي راحت تؤسس في محاولة إعادة كتابة تاريخ الجزائر باستغلال أرشيف الثورة خاصة منه هيئاتها القيادية وهو أرشيف

مهم جدا ولا زالت الكثير من أرصدته بكر لم تستغل بعد، سيفتح افاقا واعدة وخصبة في الحقل المعرفي التاريخي.

إن هذه الجهود التي قامت بها مدرسة التاريخ الوطنية ضمن الأطاريح التي أخذت تصدر عن الجامعات الجزائرية اعتمدت منهجا مغايرا وفق منظور وطني يقوم على رواية الحلقات المجيدة من تاريخ ثورتنا التحريرية والحلقات الأقل مجدا، ورواية بطولات البعض وحسابات البعض الأخر والتأكيد على أن هذه الحسابات ظلت تتقد بشعلة الوطنية الجياشة ورواية الإجماع على ضرورة مواجهة الاستعمار بالثورة المسلحة وخلافات رفقاء السلاح، كما اعتمدت هذه الجهود على الإبقاء والحفاظ على انهج يخضع لحقيقة لا يمكن بأي حال من الأحوال إنكارها لأنها تشكل جوهر الروح البشرية، وهي أن قادة الثورة لم يكونوا إلا رجالا خاضوا معركة الكفاح المسلح لأجل استرجاع السيادة الوطنية وكان لكل واحد منهم اعتقاده وتصوره ومواطن ضعفه وجدارته وعيوبه، لكنهم مع ذلك وفوا بالتزامهم تجاه الأمة والتاريخ بأن استرجعوا السيادة المغتصبة.

ومن دون شك فإن مسيرة من هذا النوع وبهذا الحجم تتطلب تضافر كل القوى الوطنية الحية للذود عن تاريخ الأمة، تضافرا لا يقوم على الإقصاء والاحتكار بل على استغلال كل ما من شأنه أن يعطي دفعا لهذه المسيرة ويخوض في كل القضايا التي ليس بالضرورة توخز الضمير الجمعي وتحدث اضطرابا في الأمن الاجتماعي بل يبقى الهدف الأسمى هو معرفة الحقيقة والاعتبار منها لبناء المستقبل.

- محاضر المؤسسات الانتقالية للثورة الجزائرية نموذجا

شكلت محاضر جلسات المجلس الوطني للثورة الجزائرية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الجزء الأساسي من هذه الجهود التي قامت بها مدرسة التاريخ الوطنية وعنت بها عديد الأطاريح الجامعية، جهودا حققت إلى يوم الناس عناية خاصة بهذا الأرشيف ونفضت عنه الغبار وإن لم يستغل استغلالا كليا في حدود اطلاعنا عدا ما تعلق بمحاضر المجلس

الوطني للثورة الجزائرية التي كان لنا فيها السبق لاستغلالها استغلالا كليا عبر دوراته الأربع الأخيرة بداية من دورة **17** ديسمبر **1959** / **18** جانفي **1960** إلى دورة **27** ماي / **05** جوان **1962**. مرورا بدورتي**09-27** أوت **1961** ودورة **22-28** فيفري **1962**.

هذه المحاضر محفوظة في المركز الوطني للأرشيف في رصيد خاص باسم المجلس الوطني ومقيدة في علب مصورة، تحتوي العلبة المصورة الواحدة في بعض الأحيان على ستين صفحة، وهي في أغلب الأحيان جاءت مكتوبة بخط اليد وباللغة الفرنسية والكتابة فيها رديئة نسبيا خصوصا ما تعلق بالمناقشات بالنظر إلى السرعة التي كان يتوخاها الكاتب أو محرر الجلسات كي لا تفوته المناقشات، وفي العادة كان هذا الأخير يعين من طرف مصالح تابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة بقيادة العقيد بوصوف التي كانت تكلف بالتحضيرات الأمنية والتقنية للقاعة التي كانت تجرى فيها أشغال الدورة التي يعقدها المجلس الوطني للثورة، كما احتوت هذه العلب المصورة على ملاحق مرقنة متضمنة في المحاضر تتعلق بحصيلة نشاط مختلف وزارات الحكومة المؤقتة، أو رسائل المعتقلين الخمس وبعض الرسائل المشفرة من الولايات، علاوة على الوكالات التي كان يبعث بها أعضاء مجلس الولايات، وقيد هذه العلب في الأرشيف الوطني بالنسبة للدورة التي انعقدت بين **17**/**12**/ **1959** و**18**/**01**/**1960**، من **C01** إلى **C017** أي من ميكروفيلم رقم **1** إلى **17**، وهي أيضا موجود في مجلد يضم ملفات مرقنة تقارب صفحاته **350** صفحة.

أما محاضر دورة **07-27**/**08**/**1961**، فهي أيضا موجود في علب مصورة، وقيدها في الأرشيف الوطني:

/C**025**/C**024**/C**023**/C**022**/C**21**/C**020**/C**019**/C**018**
C**040** /C**039**/C**038** /C**028** C**026**/C**027**

وهي مرقنة في مجلد تقارب صفحاته **450**، أما محاضر دورتي **22-28** فيفري **1962**، فهي كذلك في علب مصورة وقيدها من **C045**/

C**046**/C**047**/ C**048** وهي أيضا موجودة في علبة مرقنة تحت قيد: B**11** وتتضمن ستة ملفات.

أما عن الدورة المعلقة والأخيرة بين **27** ماي / **05** جوان **1962**، فهي موجود أيضا في علب مصورة ولها نفس الميزات التي سجلناه سابقا على بقية الدورات، أما قيدها في العلب المصورة، فيبدأ من نهاية فهرست الدورة السابقة للمجلس الوطني في فيفري **1962** من C**049**/C**050**/C**051**/ C**052**/C**053** وهي موجود أيضا في علبتين مرقنتين تحمل قيد: B:**12**-B:**13** تحتوي كل واحدة منها على أربع ملفات.

شكلت دورة **16** ديسمبر **1959** و**18** جانفي **1960** الأرضية التي انطلقت منها دراستنا هذه، عقد المجلس الوطني[1] خلالها أربعة وعشرين جلسة ولم تنعقد الجلسات أيام **23-25-28** ديسمبر **1959**، و**04-09-10-15-16-17** من شهر جانفي **1960** وهي مصنفة في المركز الوطني للأرشيف ببئر الخادم في العاصمة ضمن علب مصورة ميكرو فيلم وقيدها من C**001** إلى C**017** وتتراوح صفحات كل علبة من خمسين إلى ستين صفحة، وهي مكتوبة باللغة الفرنسية وبمداد أزرق عادة ما يكون خطها رديئا بسبب السرعة في الكتابة أثناء المناقشات، لكنه مقروء، وهي أيضا أي المحاضر مرقنة في مجلد يقارب **350** صفحة ضمت محاضر الجلسات وملحقاتها.

وبداية من هذه الدورة أصبحت محاضر جلسات المجلس الوطني تلقى عناية خاصة بحيث غدت ترقن بناء على النسخة الخطية التي كان يحررها كاتب الجلسات[2] وفي النهاية يحرر محضر مراقبة تجرى فيه مقارنة بين النسختين ويتم توقيعه ليسلم في النهاية إلى مكتب المجلس الوطني، وفي الدورات الأخيرة للمجلس الوطني غدت هذه المحاضر تسجل في أشرطة سمعية عن طريق جهاز تسجيل كان يوضع على الطاولة المستديرة التي يجتمع فيها المؤتمرون وبجنب أعضاء المكتب[3].

هذه المحاضر جرت العادة بالنسبة للمجلس منذ تأسيسه أن تقوم بتثبيت جدول أعمال الدورة أو إثرائها بإضافة مسائل كان يراه المؤتمرون ضرورية وذلك في الدورات العادية للمجلس التي تنعقد سنويا بطلب من مكتب المجلس الوطني للثورة المسئول عن تسيير أشغال الدورة، وفي حال كانت الدورة استثنائية فإن جدول أعمال يكون مثبت مسبقا تحدده الحكومة المؤقتة وتنطلق الدورة في مناقشته.

وعليه فإن جدول أعمال دورة **16** ديسمبر **1959** / **18** جانفي **1960**، كان طويل بالنظر إلى طول المدة التي لم ينعقد خلالها المجلس الوطني منذ أوت **1957** بالقاهرة، والظروف التي أحاطت بالفترة التي انعقد خلالها حيث كانت أجهزة الثورة القيادية تعيش حالة من شلل توجت باستقالة غير مباشرة للحكومة المؤقتة بداية صيف **1959**، وما تلاه من انعقاد الاجتماع المطول للجنة العشر بين **31** جويلية و**16** ديسمبر **1959**، اجتماعا لم يفصل بدوره نهائيا في جميع القضايا التي شلت أجهزة الثورة، بل أرجأها إلى اجتماع المجلس الوطني للثورة الذي تقرر إجراؤه في ديسمبر من ذات السنة لأجل ذلك تضمن جدول أعمال هذه الدورة ما يلي:

أولا- حصيلة النشاط السياسي والعسكري

1- تقرير رئاسة مجلس الوزراء حول السياسة العامة وهو مصنف إلى قسمين:

أ- تقرير عن نشاط لجنة التنسيق والتنفيذ خلال عهدتها الأولى والثانية من أوت **1956** إلى أوت **1957** ثم إلى سبتمبر **1958**، قدمه السيد عبد الحميد مهري ومقيد في الأرشيف الوطني ضمن ذات المحاضر في علبة مصورة رقم : C**02**.

ب- تقرير عام عن نشاط الحكومة المؤقتة منذ سبتمبر **1958** قدمه رئيس الحكومة المؤقتة السيد فرحات عباس وهو مقيد في علبة مصورة رقم: C**03**.

2- تقرير وزارة القوات المسلحة حول جيش التحرير الوطني قدمه العقيد كريم بلقاسم وهو مقيد في علبة مصورة رقم: C**04**، تضمن الحالة

المعنوية ووضعية الانضباط في صفوف جيش التحرير الوطني بالداخل، كما تناول وضعية مدراس التكوين العسكري والإيديولوجي بمختلف معسكرات جيش التحرير الوطني بالحدود الشرقية والغربية، وأحصى الأسلحة المسترجعة من طرف وزارة التسليح والاتصالات العامة التي كانت بمختلف مخازن الثورة خاصة بليبيا، وكذا الأسلحة التي تم إمدادها لجيش التحرير بالداخل، وفي الأخير وبصورة موجزة وغير دقيقة تعرض إلى حصيلة النشاط العسكري للثورة بالداخل وعلاقة جيش التحرير الوطني بالجماهير الشعبية

3- التسليح والتموين: وهو التقرير الذي قدمه العقيد محمود شريف وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C06** عن عمليات الإمداد والأسلحة التي تحصل عليها جيش التحرير الوطني من الدول الصديقة والشقيقة أشار التقرير لكميات الأسلحة المحتجزة لدى السلطات التونسية، والجاهزية العسكرية لجيش التحرير الوطني في ميدان التدريب والتكوين وفنون القتال

4- تقرير عن نشاط وزارة الداخلية قدمه العقيد لخضر بن طوبال وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C011** وهو أيضا ثري بالمعلومات عن:

- تطور تنظيم جبهة التحرير الوطني

- تنظيم جبهة التحرير الوطني بالداخل

- تنظيم فيدراليات جبهة التحرير الوطني بالمغرب وتونس وفرنسا وهو التنظيم الذي كان تابعا هيكليا لوزارة الداخلية، وباحتدام الصراع بين رفقاء السلاح تفرقت وصاية هذا التنظيم بين العصب المتناحرة من وزارة الداخلية والخارجية والتسليح والاتصالات العامة ثم مع هيئة الأركان العامة خصوصا بالمغرب.

- تقرير مختصر عن الحالة المعنوية والمادية للشعب بالداخل

5- تقرير عن نشاط وزارة شمال إفريقيا: قدمه السيد عبد الحميد مهري وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C02** وتضمن التوجهات الكبرى للثورة الجزائرية في بعدها المغاربي ووضعية العلاقات مع الجارتين بسبب

المطالب الحدودية سواء مع المغرب أو تونس هذه الأخيرة التي توترت العلاقات معها على اثر احتجازها لكميات هائلة من الأسلحة كان يمتلكها جيش التحرير الوطني.

ثانيا- حصيلة النشاط المالي

وقد قدمه السيد أحمد فرنسيس وتضمن تقرير مالي بشكل عام ثم قام بتقديم الحصيلة المالية لكل وزارة.

- مداخيل ومصاريف الحكومة المؤقتة
- ميزانيات مختلف مصالح الحكومة المؤقتة
- لجان المراقبة المالية

ثالثا- تقرير السياسة العامة وهو مقيد في علب مصورة رقم: C08/C07/C06 /C05

وقد تضمن ما يلي:

- المجلس الوطني للثورة
- عدد أعضائه
- المقاييس المعتمدة في نظام التعيينات
- سلطات المجلس وصلاحياته ونظامه الداخلي
- المسؤوليات تسند بالنظر للسوابق السياسية لكل فرد
- التوجهات الكبرى للثورة التحريرية
- المحادثات والمفاوضات
- العلاقة مع الشعب
- البرنامج الاقتصادي والاجتماعي

- النظام العام للمنظمات الجماهيرية: الاتحاد العام للعمال الجزائريين، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، الاتحاد العام للنساء الجزائريات، الهلال الأحمر الجزائري

- السياسة الخارجية

رابعا- مشكلة التسليح

وهو التقرير الذي قدمه وزير القوات المسلحة العقيد كريم بلقاسم، وهو مقيد في الأرشيف الوطني في علبة مصورة رقم: **C04** وهو ذو أهمية بالغة لأنه يطلعنا على تطور جيش التحرير الوطني بالداخل والخارج منذ سنة **1957** إلى مطلع سنة **1960**، وتضمن:

- تنظيم جيش التحرير الوطني بالداخل وبالحدود

- عمليات الإمداد بالسلاح والعتاد، طرق الإمداد وشبكات تهريب السلاح

- استراتيجية جيش التحرير الوطني، هيكلته ونظامه

- خطا موريس وشال واستراتيجية الثورة في مواجهتهما

خامسا- المسائل الاجتماعية والثقافية

وهي تقارير قدمها السيد عبد الحميد مهري وهي عادة ما تدرج في تقرير وزير الداخلية وهو مقيد في الأرشيف الوطني في علبة مصورة رقم: **C011** وتخص:

- اللاجئون: أوضاعهم المعنوية والمادية الحالة الصحية، تمدرسهم، تكوينهم

- الهلال الأحمر الجزائري

- التنظيم والهيكلة

- نشاطه الداخلي بالتراب الوطني والخارجي

- الاتحاد العام للعمال الجزائريين

- التنظيم والهيكلة

- النشاط السياسي داخليا وخارجيا
- السياسة التعليمية
- الطلبة الجزائريون

سادسا- النشاط الخارجي للثورة

وهو التقرير الذي تعرض إلى نشاط وزارة الخارجية وقد تضمن التوجهات الكبرى للسياسة الخارجية للحكومة المؤقتة وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C013** وتعرض إلى تحديد أسس العلاقات وطبيعتها مع:

- دول المغرب العربي
- العالم العربي
- الجبهة الأفرو أسيوية
- أوربا الغربية
- دول المعسكر الشيوعي
- الولايات المتحدة الأمريكية
- تنظيم بعثات جبهة التحرير الوطني

وبعد انقضاء فترة ثمانية عشر شهرا، اجتمع المجلس الوطني بطرابلس للمرة الثانية بين **09** و**27** من شهر أوت **1961**، في دورة عادية وقد دامت أشغال الدورة ثمانية عشر يوما ولم تنعقد أيام **12-13-22** وقد تشكل مكتب الدورة من السادة عمر أوصديق، محمد بن يحي، سعد دحلب، هذا وتوجد محاضر هذه الدورة في الأرشيف الوطني وهي موجودة في علب مصور جاءت تراتبيا بالنسبة للدورة السابقة للمجلس الوطني التي توقفت عند العلبة المصورة رقم: **C017** أما دورة أوت **1961**، في تصنيف الأرشيف الوطني فهي مقيدة أيضا في علب مصور من:

/C025/C024/C023/C022/C21/C020/C019/C018
C040/C039/C038/C027/C028/C026

وتستمر إلى **C049** وهي أيضا مرقنة وموجودة في مجلد تتجاوز صفحاته **490** صفحة.

وقد جاءت دورة أوت **1961**، كسابقتها تحمل معها الكثير من المشاكل العالقة لكنها في هذه المرة توجت بأزمة حادة تداولت عليها نخبة من العسكريين الجدد تحت غطاء هيئة الأركان العامة ضد الحكومة المؤقتة، وعليه فإن الاجتماع جاء بالتزامن مع استقالة الهيئة في الخامس عشر من شهر جويلية **1961**، وفي أثناء مفاوضات لوقران، كان على قادة الثورة المحافظة ما أمكن على انسجامهم ولو ظاهريا لمواجهة تحديات المفاوضات والأطماع الخارجية للجارتين على مستوى الحدود، وحالة الإعياء الشديد التي كان يعاني منها الداخل جراء انقطاع الاتصالات وعمليات القمع الاستعماري

شكلت الجلسة الأولى من محاضر دورة أوت **1961**، تجديد وانتخاب مكتب المجلس الوطني للثورة، خلافا للمكتب الذي سير أشغال دورة ديسمبر **1959** / جانفي **1960**[4]، وفي ذات الجلسة احتدم الصراع بين المؤتمرين حول مراقبة الوكالات التي كانت بحوزة المكتب وقضية وجود الرائد نور الدين بن سالم كممثل لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بالمغرب بحضور حسين قادري المسئول الأول على الفيدرالية الذي لم يفصل في قضيته منذ فيفري **1960**،حيث كان متهم من طرف هيئة الأركان العامة بضلوعه في قضية تمرد سي زبير، لأجل ذلك تم تحديد جدول أعمال الدورة في الجلسة الثانية من الأشغال وتقرر فيه ما يلي:

أولا- حصيلة نشاط الحكومة المؤقتة

أ- مساءلة المجلس الوطني للثورة للحكومة المؤقتة

ب- مناقشات عامة

ثانيا- الآفاق المرتقب تحقيقها في المجال

- السياسي

- الديبلوماسي

- العسكري

ثالثا- المشاكل التنظيمية

- تنظيم جبهة التحرير الوطني
- تعديلات خاصة بالقوانين الأساسية
- التسيير المالي

رابعا- برنامج جبهة التحرير الوطني

خامسا- متفرقات

هذا ويمكن الاطلاع على هذا الجدول المقيد والمصنف في الأرشيف الوطني كما سبق ذكره ضمن علب مصورة، بحيث قدمت الحكومة المؤقتة حصيلة نشاطها خلال جلسات **10**، **11**، **12** و**14**، من شهر أوت وهي مقيدة في علب مصورة رقم: **C018**/**C019**/**C020**/**C021**/**C022** تضمنت مختلف النشاطات التي قامت بها وزارات الحكومة المؤقتة قام بعرضها بشكل عام رئيس الحكومة المؤقتة السيد فرحات عباس ثم أحيلت الكلمة بالتتالي لمختلف وزراء الحكومة المؤقتة لتقديم حصيلة وزاراتهم وعادة ما كانت تدرج هذه التقارير في ملاحق المحاضر ويشير إليها كاتب الجلسة.

ولأجل توضيح الصورة فإن التقرير العام لحصيلة نشاط الحكومة المؤقتة هو مقيد في الأرشيف الوطني في ذات المحاضر كملحق وفي علبة مصورة رقم: **C025**، وقد تضمن أيضا تقارير عن حصيلة نشاط وزارتي الشؤون الخارجية والتسليح والاتصالات العامة، أما بداية من العلبة **C018**، إلى العلبة **C022**، فلقد خصصت للنشاط العام للحكومة المؤقتة، وانتهت بمساءلة الحكومة المؤقتة، ومناقشات قضايا تنظيمية كان أهمها استحداث مكتب سياسي يشكل السلطة العليا ضمن هيئات الثورة القيادية، والذي أخذ النصيب الأوفر من الجلسات من جلسة **17** إلى **25** أوت **1961**، دون الفصل النهائي في المسألة.

أما في العلبة **023**C، فقد تضمنت برنامج جبهة التحرير الوطني أي بتاريخ الخامس والعشرين والسادس والعشرين والسابع والعشرين من شهر أوت **1961**، وقت اختتام الدورة.

أما عن الملاحق فهي ثرية وذات أهمية كبيرة من حيث توفرها على مادة تاريخية مهمة وهي تغطي على الخصوص فترة ثمانية عشرة شهرا خلت من عمر الثورة أي من فيفري **1960** إلى أوت **1961**، وهي مقيدة في علب مصورة على الشكل التالي:

- تقرير عن نشاط وزارة التسليح والاتصالات العامة قدمه العقيد عبد الحفيظ بوصوف وهو يتضمن مادة علمية مهمة للشأن العسكري خصوصا فيما يتعلق بالتسليح والعتاد مما يمكن الباحث إجراء مقارنة عما كانت تمتلكه الثورة بالخارج وما تم إمداده فعليا للداخل، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذه المعطيات تساعد في الصعود السريع لقادة هيئة الأركان العامة وتحولهم إلى فريق سياسي دخل بقوة باب المنافسة على الهيئات الانتقالية للثورة، بل واتهام الحكومة المؤقتة ثم التمرد عليها وفي الأخير اعتبارها غير شرعية بعد تصدع المجلس الوطني للثورة في ماي جوان **1962**، هذا التقرير مقيد دائما في الأرشيف الوطني في علبة مصورة رقم: **025**C

- تقرير وزارة الشؤون الخارجية وقد قام بتقديمه كريم بلقاسم وهو تقرير مطول يمكن الاطلاع عليه بشكل دقيق في الأرشيف الوطني ضمن رصيد آخر خاص بالحكومة المؤقتة حيث قمنا بالاستعانة في الكثير من الحالات ببعضها وهي موجودة في علبة متضمنة لملفات.

أما عن التقرير الموجود ضمن محاضر دورة أوت **1961**، للمجلس الوطني فهو مقيد في ذات العلبة السابقة الذكر وتكمن أهميته من جهة في النقلة النوعية التي حققتها دبلوماسية الثورة الجزائرية على جميع الأصعدة، وكيف تمكنت من تجاوز سياسة العزلة التي فرضها ديغول دوليا لمنع تدويل القضية الجزائرية، والتعامل بمرونة سياسية مع الجارتين اللتين كانتا تركزان على تعديل الحدود، فضلا عن ما حققته في ميدان جلب

تعاطف القارة السمراء والتأكيد على جزائرية الصحراء، ومن جهة أخرى فإن هذه التقارير تشكل في تقديرنا وبكل موضوعية نصرا حققه كريم بلقاسم وفريقه من السياسيين من وزارة القوات المسلحة من طرف رفيقيه وبالتحالف مع النخبة العسكرية الجديدة.

- تقرير وزارة الداخلية: وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C026** قدمه العقيد لخضر بن طوبال وهو عبارة عن تقرير عام لأوضاع الثورة بالخارج أي بتونس والمغرب حيث اللاجئون الجزائريون، أما عن تفصيل ذلك فهو موجود بملحق المحاضر في علبة مصورة تحت رقم: **C038**/**C039**.

كما تعرض إلى مختلف نشاطات المنظمات الجماهيرية التابعة لجبهة التحرير الوطني ودورها في تعزيز النشاط الثوري، لكنه من جهة أخرى لم يتعرض البتة إلى وضع الثورة بالداخل إلا من خلال تقرير الولاية الثانية الذي نشره لاحقا علي كافي في مذكراته، وهو أمر يبدو غريبا وحتى إذ افترضنا جدلا أن صعوبة الاتصالات حالت دون تقديم الولايات لتقاريرها خلال دورات المجلس الوطني وهي نفس الملاحظة التي سجلناه على دورة ديسمبر **1959**، جانفي **1960**، وإلى غاية الدورة الأخيرة، وبعد التحقيق من خلال مراجعتنا لجل المحاضر فإنه بدا لنا أن تقارير الولايات في جميع دورات المجلس الوطني التي تناولناه لم نجد لها أثرا ولسنا ندري لماذا غابت؟

- تقرير وزارة الشؤون الاجتماعية والثقافية: قام بتقديمه السيد عبد الحميد مهري وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C026** وتناول على الخصوص وضعية اللاجئين بتونس والمغرب من حيث إعانتهم وتنظيمهم ضمن خلايا لجبهة التحرير وتمدرسهم وتكوينهم. كما تناول موضوع الإطارات التي كانوا بحوزة الثورة وقدم أرقاما عن عدد تلك الشريحة التي دعمت جيش التحرير الوطني، كما قدم معطيات عن سبب رفضه تقديمهم برمتهم إلى هيئة الأركان العامة التي كانت تطالب بإدراجهم كلية، ومنه فإن تقرير من هذا النوع يبرز أهميته من حيث امتداد الثورة إلى قواعدها الخلفية وتعبئة فئة اللاجئين لمناصرة القضية الجزائرية واستغلال مأساتهم في إبراز صورة

القمع استعماري في مختلف المنابر الدولية، ومن جهة أخرى فإن الاهتمام بالإطار الجزائري كان يشكل لدى الحكومة المؤقتة أولوية من ألوى أولوياتها تحضيرا لتسيير شؤون الجزائر المستقلة، علاوة على ذلك فإن تتبع هذا التقرير يبرز أيضا رغبة هيئة الأركان في صراعها مع الحكومة المؤقتة نحو السطو على هيئات الثورة اعتبارا من القيادات الدنيا.

- تقرير وزارة الإعلام: وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C027** وقد قام بتقديمه السيد محمد يزيد الذي أعلن في بعض مداخلاته أنه يعتبر الأجدر بتحقيق السبق في جميع مجلات النضال لما لهذا المجال من أهمية قصوى بحيث تعرض إلى جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير ومدى انتشارها في أصقاع لعالم، كما تناول مختلف الأنشطة التي تقوم بها على مستوى إصدار البيانات الرسمية للحكومة المؤقتة والتصدي للحملات الإعلامية الموجهة من طرف العدو، كما تعرض إلى التنسيق الإعلامي الذي استحدثته الوزارة بين مختلف الوزارات.

- تقرير وزارة المالية قدمه السيد أحمد فرنسيس وهو مقيد في علبة مصورة رقم: **C027** ويشكل هذا التقرير من حيث ما يحتويه من أرقام تخص مختلف الميزانيات المخصصة لهيئات الثورة يشكل صورة بارزة كيف أن هيئة الأركان العامة كانت تلتهم الحصة الكبرى من ميزانية الحكومة المؤقتة في ميدان التسليح والعتاد وهو إذ يفعل ذلك فإن البون الشاسع بين ما قامت به هيئة الأركان رغم ما حققته في ميدان التسليح من تطور ملحوظ فإنها في ذات الوقت أثبتت أداءها السلبي في ميدان إمداد الولايات بالداخل ويكفي التدليل على ذلك بفحص التقرير العسكري الذي قدمته الحكومة المؤقتة كحصيلة نشاط طيلة فترة ثمانية عشرة شهرا.

- التقرير العسكري للحكومة المؤقتة: قام بتقديمه رئيس الحكومة المؤقتة في مستهل الجلسات الأولى للدورة لكنه أثار جدلا بين فريق الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان التي اعتبرته ناقص، وتكمن أهمية هذا التقرير بالنسبة لهذه الدراسة بحيث خصصنا فصلا كاملا عن عمليات التسليح والتموين وتمكنا من تسجيل الهوة الكبيرة من خلال اطلاعنا على هذا التقرير المقيد في

الأرشيف الوطني ضمن ذات المحاضر تحت رقم: **C028** هوة تتجل بوضوح بين ما حققته هيئة الأركان من عمليات العبور نحو الداخل وإمداد وما كانت تمتلكه فعلا من سلاح ،مما جعل موقفها في ذات الدورة يزداد ضعفا من إمكانية جر أعضاء المجلس الوطني لرؤاها لأجل ذلك عبرت عن امتعاضها وغادرة أشغال الدورة بيومين قبل نهايتها في **25/08/1961**.

- التنظيم الداخلي لجبهة التحرير الوطني: ويشمل القانون الأساسي لجبهة التحرير الوطني ومواد متعلقة بالدورات الاستثنائية التي تستوجب دعوة أعضاء المجلس الوطني للثورة، ومواد متعلقة بعناصر المجلس والمكتب هو عبارة عن التعديلات أو مختلف الاثراءات التي طالت هيئات الثورة قدمه العقيد لخضر بن طوبال وهو مقيد في علبة مصورة تحت رقم: **C043** والغريب في هذه التعديلات أنها تبرز حدة الغموض الذي كانت تؤسس له القوانين الأساسية وتداخل الصلاحيات وعليه فإن هذا المشروع شكل القانون الأساسي لجبهة التحرير الوطني ولهيئات لثورة القيادية وهو استنساخ لما قام به المجلس في دورته السابقة.

- وفي نهاية الملاحق المدرجة ضمن المحاضر لدورة أوت **1961**، ذيلت برسائل المساجين الخمس وهي مدونة بخط اليد وبمداد أزرق وباللغة الفرنسية، وهي مقيدة في علبة مصورة تحت رقم: **C040/C041** وهي أيضا ذات أهمية بالغة وتدور أحداثها بداية من مطلع سنة **1960**، وهي في العادة كانت ترسل إلى مكتب المجلس الوطني الذي كان بدوره يصنفها ويبلغها إلى الحكومة المؤقتة. وفي أثناء انعقاد دورة المجلس الوطني تطرح لمناقشاتها والأخذ بعين الاعتبار التوجيهات المتضمنة فيها، وهو تقليد فرضته ظروف الحرب فموقف المساجين الخمس سجل حضورا كبيرا في خلال مسيرة الثورة التحريرية حضورا أكد فاعليته بقوة عشية الاستقلال بحيث رمى بكامل ثقله على كامل القضايا التي ظلت عالقة في المجلس الوطني وساهم في تصدعه، وهي أي هذه الرسائل تشكل لوحدها مادة علمية لأطروحة أكاديمية.

كما تجدر الإشارة إلى أنها كانت تحمل توقيع الزعماء الخمس عدا آيت أحمد الذي كان في الكثير من الأحيان يؤثر أن يبعث برسائله بطريقة انفرادية كتعبير عن توجهه الخاص، وتكمن أهميتها في ذات الدورة بأنها تابعة لأهم القضايا التي شكلت محطة حاسمة في الفترة الممتدة من جانفي **1960** إلى أوت **1961**، بحيث تعرضت إلى موضوع المفاوضات وتابعته بدقة متناهية.

كما ساهمت في توجيه النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة بدعوتها إلى التركيز على موضوع اللاجئين لجلب استعطاف الرأي العام العالمي، والاهتمام بالقارة السمراء والتأكيد على البعد الإفريقي للثورة الجزائرية لكسب دول القارة لرؤاها بخصوص موضوع فصل الصحراء، كما نبهت لاستراتيجية جلب التقنيين السوفيات والكوبيين للقواعد الخلفية للثورة لأجل تحقيق التدويل العسكري القضية الجزائرية، والظاهر أن هذا الموقف لم يكن من السهولة بمكان لتحقيقه على أرض الواقع أمام الرفض المغربي والتونسي، لكنه كان يشكل رادعا للجارين للإسراع في حل القضية الجزائرية ضمن استراتيجية الثورة، تناولت أيضا مسألة الخلاف بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة ودعت هذه الأخيرة للنظر في استقالة الهيئة في دورة أوت **1961**.

أما عن محاضر الدورة الطارئة التي عقدها المجلس الوطني للثورة الجزائرية بين **22-28/02/1962**، فكانت لأجل المصادقة على نصوص اتفاقية إيفيان وتمت أشغالها في طرابلس وقد شارك فيها ثلاث وثلاثون عضو، وبحساب عدد الأصوات خلال المصادقة على الاتفاقية فإن العدد كان **49** عضو، مثلما كان عليه في دورة أوت **1961**، هذه المحاضر هي أيضا موجودة في الأرشيف الوطني ببئر الخادم في العاصمة وهي مقيدة في علبة مصورة من: C**045**/C**046**/C**047**/C**048**

وهي أيضا موجودة في علبة تحت قيد رقم: **011** وتتضمن ستة ملفات وبحوزتنا نسخة منها، أما الملف السابع فيتضمن ملاحق هذه المحاضر وهي بحوزتنا أيضا وهي عبارة عن وكالات:

- مجلس الولاية الثالثة: من الرواد: محند أولحاج - فرحات طيب، حميمي فضال، أحسن، وهي وكالات مرقنة وباللغة الفرنسية وموقعة أرسلت بتاريخ الفاتح من جانفي **1962/01/01**، للعقيد محمدي سعيد

الولاية الأولى: وكالة أرسلت عن طريق مصالح الشفرة بتاريخ **02/21/1962**، من العقيد طاهر زبيري أرسلت إلى العقيد لخضر بن طوبال. وهي مرفقة برسالة مشفرة من مصالح الشفرة التابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة أرسلت بتاريخ **1962/02/23**، إلى مجلس الولاية الأولى للتأكد من الوكالة المرسلة باسم طاهر زبيري إلى بن طوبال.

- خمس وكالات مكتوبة بخط اليد وباللغة الفرنسية وتحمل توقيع المساجين الخمس أرسلت بتاريخ الخامس عشر من شهر فيفري عدا وكالة آيت أحمد التي أرسلها قبل ذلك يوم **1962/02/13**، إلى رئيس الحكومة المؤقتة.

- رسالة المساجين الخمس تحمل توقيعهم أرسلت بتاريخ **1962/02/15**، إلى مكتب المجلس الوطني يعلنون فيها تفويضهم للحكومة المؤقتة للتوقيع على نصوص اتفاقية إيفيان.

إن محاضر دورة **22-27/02/1962** تشكل هي أيضا أهمية بالغة بالنسبة للمتبع لمسار تطور الهيئة التشريعية للثورة، فعلى الرغم من أنها عالجت قضية أساسية اجتمع لأجلها المجلس الوطني في دورة استثنائية للنظر في نصوص اتفاقية إيفيان التي تمت المصادقة عليها وتفويض الحكومة المؤقتة للتوقيع عليها.

على الرغم من حساسية الموضوع الذي كان قيد الدراسة فإن المجلس الوطني ظل يشكل في هذه الدورة حلبة صراع بين العصب المتناحرة والشواهد في ذلك كثيرة.

ويكفي الإشارة إلى أنه بداية من الجلسة الأولى شكك أعضاء هيئة الأركان في تركيبة المجلس الوطني التي تضاعفت في نظرهم دون استشارت أعضاء المجلس الوطني واعتبروا هذا الأمر مناورة من الحكومة المؤقتة تحضيرا لمعركة الأصوات والفوز بالأغلبية داخل المجلس، طرحت في ذات

الدورة مسألة الوكالات وكانت الولاية الأولى حاضرة بقوة في هذه القضية بحيث ساد الغموض حول عدد الوكالات التي كانت بحوزة العقيد لخضر بن طوبال المرسلة من طرف العقيد طاهر زبيري وبين وكالات مجلس الولاية بحضور العقيد حاج لخضر عبيد، الذي كان يصارع شرعية وجوده.

والأهم في هذه المحاضر التي خصصت جل جلساتها لمناقشة نصوص اتفاقية إيفيان هو خلوها من المسودة التي وزعت على المؤتمرين لمناقشة البنود فضلا عن النسخة التي كانت بيد الحكومة المؤقتة، فهي لم ترد كملحق كما جرت العادة في بقية الدورات حيث كانت تذيل المحاضر بالنصوص والرسائل، ولسنا ندري لماذا غابت هذه النصوص؟ غير أن ذلك لا ينقص من قيمة المحاضر في شيء فهي ذات أهمية كبرى وتساعد دراستها على إماطة الغبار عن الكثير من القضايا[5].

ومن جهة أخرى فإن استقراء هذه المحاضر ومجانبة القراءة السطحية يوضح بعض القضايا الخفية فيما يتعلق باتفاقية إيفيان فعلى الرغم من أن هيئة الأركان اعتمدت معارضتها لنصوص الاتفاقية كمطية لتضاعف من سياسة تشويه صورة الحكومة المؤقتة فإنه ومن خلال المناقشات التي تضمنتها المحاضر فإن هذه الأخيرة كانت تطرح بين الفينة والفينة مسائل خطيرة جدا كانت تخص ليس فحسب المشروع الثوري بل نضال أجيال من الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي حينما طرحت تخوفاتها في حال رفض جموع الجماهير الشعبية الإجابة بنعم لصالح السؤال الموجه لهم يوم الاستفتاء، مما جعل المؤتمرين يقفون حيارى تجاه احتمال من هذا النوع.

تضمنت المحاضر قضية أساسية في تقديرنا تساعد على فهم ظاهرتين لكنهما يشكلان مفارقة في ذات الوقت، الظاهرة الأولى تتعلق بإشكالية التحالف الذي عقد بين بن بلة وهيئة الأركان العامة ذلك أن هذه الأخيرة بعد إعلانها التصويت لصالح نصوص الاتفاقية قبل اختتام أشغال دورة فيفري **1962**، راح أعضاؤها بعد ذلك يبررون في موقفهم بأنه ليس رفضا لتحرير المساجين لأن الاتفاقية أقرت بذلك، وهم إذ فعلوا ذلك فإنهم في تقديرنا كانوا

يتوددون لبن بلة ومجموعتهم بغية توظيفهم في الصراع ضد الحكومة المؤقتة.

أما الظاهرة الثانية فهي متعلقة بسير أشغال المجلس الوطني للثورة بحيث ظلت تلامس في الكثير من مراحلها بالرغم من ما علق بها من عيوب سببتها سياسة الكولسة في الأروقة المحاذية للأشغال فإن دورة فيفري ظلت تحقق الإجماع الذي يخضع الأقلية للأغلبية ويبقي على اختلاف وجهات النظر داخل قاعة المجلس وليس بخارجها.

خلافا لبقية الدورات التي عقدها المجلس الوطني للثورة منذ تأسيسه فإن دورة **27** ماي **05** جوان **1962**، سجلت هزة تهاوى بسببها صرح المجلس الوطني للثورة برمته، ويكفي تتبع محاضر ذات الدورة منذ انطلاقها بل والعودة إلى خلفيات انعقاد هذه الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني.

لقد جاءت محاضر هذه الدورة كبقية المحاضر مرقنة في علبة تتضمن ملفات وفي علبة مصورة ميكروفيلم، وهي موجود في الأرشيف الوطني ببئر الخادم بالعاصمة وتحمل اسم رصيد المجلس الوطني للثورة، أما قيدها في العلب المصورة فيبدأ من نهاية فهرست الدورة السابقة للمجلس الوطني، C**049**/C**050**/C**051**/C**052**/C**053** في فيفري **1962** وفي العلبة المرقنة فهي من تحمل قيد: B:**12**-B:**13** تحتوي كل واحدة منها على أربع ملفات وقد كتبت باللغة الفرنسية والخط فيها واضح والتباعد بين الأسطر يبلغ **1** سم، ويتراوح عدد المحاضر في مجملها **160** صفحة، وقد تمكنا من الحصول على نسخة منها.

لقد اجتمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية إذا لأول مرة منذ إنشائه بجل أعضائه بعد أن اكتمل نصابه من حيث التمثيل فممثلو الولاية السادسة غير المعترف بهم[6] حضروا كما حضر المساجين الخمس ليصبح عدد المشاركين في الدورة **52** عضوا[7]، وبحساب عدد الوكالات كما كان يقر النظام الداخلي للمجلس فإن عدد الأصوات كان **67** صوتا، بما أن كل ولاية كانت

تمتلك خمسة أصوات بناء على قرار المجلس الوطني في دورة ديسمبر **1959** جانفي **1960**، علاوة على فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا التي غدت الولاية السابعة بناء على توصية المجلس الوطني للثورة في آخر جلساته بتاريخ **27** أوت **1961**[8].

حددت أشغال مؤتمر طرابلس الأخير للمجلس الوطني للثورة وفق جدول أعمال ضبط سلفا مع مطلع شهر ماي **1962**، وبضغط من تحالف بن بلة وهيئة الأركان العامة وتقرر فيه:

- مشروع برنامج عمل لجبهة التحرير الوطني من أجل تحقيق ثورة ديمقراطية شعبية مرفق بملحقين الأول حول الحزب والثاني حول المهام الفورية لجبهة التحرير الوطني.

- تشكيل مكتب سياسي.

- تثمين هذا الأرشيف وأهميته

خلافا لما ذهب اليه الكثير من الباحثين بأن قادة الثورة في جل مؤتمرات المجلس الوطني للثورة الجزائرية التي عقدها لم يولوا أهمية كبرى لمشروع برنامج جبهة التحرير، أو بناء الدولة أو القضايا التنظيمية أو قضايا الدولة الجزائرية المستقلة حيث كان همهم هو مسائل السلطة فإنه خلافا لذلك فإن المحاضر تؤكد عكس ذلك بحيث كانت محاضر الجلسات تبرز المؤتمرين في الكثير من الأحيان خصصوا جل الجلسات لمناقشة البرامج والقضايا التي سبق ذكرها وانتهوا بتقديم ملاحظتهم وانتقاداتهم للكثير من القضايا ثم تمت المصادقة عليها بالإجماع.

شكل هذا الأرشيف شاهدا لا يمكن لأي ملاحظ منصف أو مؤرخ موضوعي أن ينفي امتلاك قادة الثورة لتقاليد الحوار والسجال رسخوها إثر المناقشات المضنية التي كانت تدار خلال هذه الجلسات.

هذا الأرشيف شكل أيضا إعادة بعث أسس الدولة الجزائرية عن طريق المؤسسات الانتقالية التي بعثها مؤتمر الصومام ومارست مهامها طيلت عمر الثورة إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية.

لا يزال هذا الأرشيف يحمل الكثير من القضايا التي من دون شك تسد الفراغ الذي أحاط بعديد من القضايا شهدتها الثورة الجزائرية.

- الهوامش

1- بداية من هذه الدورة سيكلف العقيد عبد الحفيظ بوصوف بالنواحي الأمنية لانعقاد المؤتمر وبالسهر على توفيرها للمؤتمرين، ففي دورة طرابلس الأول المشار إليها في المتن كلف بوصوف فريق عمل قام بالتحضيرات الأمنية للمؤتمر بداية من شهر نوفمبر **1959**، فريق تشكل من السادة بوعلام دكار، ابن عبد الله زين العابدين وحمزة عبد القادر من دائرة الاستعلامات التابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة، كما كلف مصطفى بن عمر بالنواحي الأمنية حيث كان يمنع دخول أي جزائري إلى الأراضي الليبية دون علم البعثة ويمنع الاتصال بالأجانب، وكلف بوعلام بسياح بتحرير جلسات المؤتمر. أنظر: مصطفى بن عمر: الطريق الشاق إلى الحرية...، دار هومة، الجزائر، **2007**، ص**247**.

2- ورد في نهاية محضر جلسات دورة **09-27** أوت **1961** للمجلس الوطني للثورة، اسم عبد الحفيظ كذا، كمسئول عن مراقبة النسخ الخطية والمرقنة والمسجلة لمحاضر الجلسات دون تحديد لهويته، أما في دورة **22-28** ماي **1962**، فإننا لم نجد أثر لمحرر الجلسات ولا لمراقبها خلافا للدورة الأخيرة والمعلقة في ما بين **27** ماي **05** جوان **1962**، ففي الجلسة الثانية أي يوم **28-05-1962**، عين عبد الحفيظ بوصوف خليفة لعروسي مدير ديوان وزارة التسليح والاتصالات العامة عينه محرر لمحاضر الجلسات، وفي ذات الدورة أراد السيد شريف خير الدين التقاط صورة تذكارية للمؤتمرين لكن بوصوف اعترض على ذلك بحجة دواعي أمنية كما أن جل المؤتمرين كانوا مسجلين لدى سلطات الاحتلال، بأسمائهم الحركية.

3- م. و. للأرشيف: و. م. و. ث. ج. دورة أوت **1961**، جلسة يوم **09** أوت **1961**، علبة مصورة رقم: C**018**

4- في الجلسة الأولى من أشغال دورة أوت **1961**، تم تجديد مكتب المجلس الوطني بالانتخاب وتشكل من السادة محمد بن يحي، وعمر أوصديق، وسعد دحلب وحقق العضو الأول الذي غدا رئيس المكتب السيد بن يحي **28** صوت أما مساعديه على التتالي **27** صوت و**23** صوت، أنظر: م. و. للأرشيف: و. م. و. ث. ج. دورة أوت **1961**، جلسة يوم **09** أوت **1961**، علبة مصورة رقم: C**018**

5- يكفي العودة إلى المناقشات في ذات الدورة الخاصة بنصوص اتفاقية أيفيان حيث كان أعضاء هيئة الأركان يعلنون منذ البداية معارضتها بناء على ملاحظات أبدوها ومقارنة هذه الملاحظات مع النصوص النهائية التي وقع عليها وفد الحكومة المؤقتة في **18** مارس **1962**، ليجد القارئ أن الحكومة المؤقتة أخذت ما أمكنها الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات

التي أبداها المؤتمرون كلهم في دورة فيفري **1962**، للمصادقة عليها وعلى الرغم من ذلك فإن تحالف بن بلة هيئة الأركان العامة ظل يعلن معارضته للحكومة المؤقتة وينعتها بقبول حلولا تكرس المشروع الاستعماري الجديد، وهو الأمر الذي يبرز الخطاب الشعبوي الذي وظفه هذا التحالف بطريقة سافرة للنيل من الحكومة المؤقتة.

6- لقد أصدر المجلس الوطني للثورة في دورة أوت **1961**، في جلسته الأخيرة بتاريخ **1961/08/27**، توصية أقر فيها إعادة بعث الولاية السادسة التي ظلت معلقة تنظيميا منذ اغتيال قائدها طيب الجغلالي في **1959/07/29**، لكن المجلس الوطني لم يعين إذاك قيادة الولاية السادسة ولا الحكومة المؤقتة لكن في الدورة المعلقة للمجلس الوطني للثورة في ماي جوان **1962**، حضر ممثلان عنها وهما السيد محمد روينة وسي الحسين كذا، أنظر: م. و. للأرشيف، م. م. و. ث. ج. دورة **1961/29/07**، علبة مصورة رقم: C**043**

8- م. و. للأرشيف: و. م. و. ث. ج. دورة أوت **1961**، جلسة يوم **27** أوت **1961**، علبة مصورة رقم: C**042**

مكـانة مراسلات وكتـابات المسؤولين الفرنسيين في كتـابة تـاريخ الجزائر خلال القرن التـاسع عشر (19م) -مراسلات الدوق دي روفيكو أنموذجـا-

الأستـاذة: فضيلة حفـاف
المركز الوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954

أولا- مكانة مراسلات المسؤولين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر

إنّ الباحث في تاريخ الجزائر المعاصر يصطدم بوفرة المصادر الفرنسية وقلّة المصادر الجزائرية خاصة في النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر، ونذكر من المصادر الجزائرية: كتابات حمدان خوجة، تقييدات ابن عيسى الفرقاني، ومذكرات الحاج أحمد باي[1]، في هذا السياق تندرج أهمية مراسلات المسؤولين الفرنسيين (سواء كانوا مدنيين أو عسكريين) الذين حكموا الجزائر بدءا من سنة **1830**، فقد تبادلوا رسائل مع الجزائريين (شخصيات وقبائل) وكذلك مع السلطات الفرنسية في فرنسا، وسفراء الدول الأوربية في الجزائر والدول المغاربية، وكذلك مراسلات السفراء الفرنسيين في دولة الأمير عبد القادر مثل مراسلات عبد الله الدّصبون، حيث تضمنت هذه المراسلات تقارير دقيقة عن أوضاع الجزائر في مختلف الميادين.

النصوص الأصلية لهذه المراسلات موجودة في أرشيف ما وراء البحار، أرشيف فانسان بفرنسا، وأرشيف الدول الأوربية والمغاربية، وجزء منها

موجود على شكل ميكروفيلم في الأرشيف الوطني الجزائري[2]، وبعضها جمع وطبع ونشر مثل: مراسلات الجنرال برتزين (BERTHEZENE)، والذي نشر بعض مراسلاته (victor DEMONTÈS)[3]، ومراسلات الماريشال فالي التي جمعها جورج إيفير (Georges YVER)[4]، الدوق دي روفيكو فوارول (Voirol)[5]، ودروي ديرلون (Drouét d'Erlon)[6]، كلوزيل[7] التي جمعها اسكير، وفي هذا السياق نذكر أيضا مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشيل ومراسلات عبد الله الدصبون أول سفير فرنسي لدى الأمير عبد القادر بعد عقد معاهدة ديميشيل في: **26** فيفري **1834** والتي نشرها الدكتور عبد الحميد زوزو[8] وكذلك مراسلات النقيب (DUMAS) السفير الفرنسي في معسكر (**1837-1839**) بعد معاهدة التافنة (**30** ماي **1837**) والتي نشرها جورج إيفير[9].

يمكن اعتبار هذه المراسلات مصدرا هاما لكتابة تاريخ الجزائر وتكمن أهميها في كونها رسائل كتبت لغرض معين في نفس وقت الحدث إذا قورنت بمصادر أخرى ونذكر على سبيل المثال مذكرات الحاج أحمد باي كتبت بعد مدّة حيث كان أسيرا لدى الفرنسيين فالدبلوماسية قد تمنعه من الالتزام بالحياد والموضوعية، واخترت أن أتناول بالدراسة مراسلات الدوق دي روفيكو كنموذج عن هذه المراسلات.

ثانيا- مراسلات الدوق دي روفيكو

1- التعريف الدوق دي روفيكو وسياسته في الجزائر

هذا الشخص الذي تحكم في رقاب الجزائريين أكثر من سنة جرعهم فيها كؤوس العلقم, هو من مواليد سيدان (Sedan) في **26/04/1774**، انخرط في صفوف الجيش الملكي الفرنسي سنة **1783**م، تدرّج في صفوف الجيش الفرنسي ليصبح مساعدا لنابليون خلال الحملة الفرنسية على مصر، تميز في حروب الإمبراطورية وكمكافأة له على خدماته منح لقب:

(Duc De Rovigo)، خلف (Foché) على رأس وزارة الشرطة سنة **1810**، وقد شبهه نابليون آنذاك بالإمبراطور الروماني نيرون حيث قال عنه:

"لوترك له الأمر لأحرق فرنسا"، بسقوط الإمبراطورية أصبح مُعدمًا ومطاردًا من طرف حكومة الإصلاح (La Restauration)، وحكم عليه بالإعدام غيابيا ليعتقل من طرف الإنجليز لكنه نجح في الفرار إلى أزمير (تركيا) سنة **1816** وعاد إلى فرنسا سنة **1819** واستأنف الحكم، فالغي حكم الإعدام الصادر في حقه وعند نجاح ثورة **1830**، أسرع لتقديم خدماته، لكن طباعه وتعسفه ودكتاتوريته، وسوابقه خاصة في العهد الإمبراطوري لم تسمح للحكومة والجيش الفرنسي بتجديد الثقة في شخصه وأمام إلحاح وزير الخارجية الفرنسي (Horace Sébastiani) -عشيق زوجته- عُيّن قائدًا لجيش احتلال الجزائر[10]، وصل الدوق دي روفيكو إلى الجزائر يوم: **24** ديسمبر **1831**[11] وبقي بها حتى أوائل مارس **1833**[12].

تعتبر سياسة الدوق نموذجا للسياسة الفرنسية القمعية ورغم قصر فترة حكمه كانت حافلة بالأحداث والمآسي وتميزت بما يلي:

على الصعيد العسكري شهد عهد الدوق ارتفاعًا في تعداد الجيش الفرنسي، كما جنّد بعض الجزائريين للخدمة في الجيش الفرنسي (الزواوة والقناصة الجزائريون)، كما استعان الفرنسيون بالأجانب (قوات اللفيف الأجنبي)، كما تدعم الوجود العسكري بمجموعة من التحصينات وإنشاء مجموعة من الطرق لتسهيل تنقل الجيش، وجرّد الفرنسيون عدة حملات عسكرية لم تحقق أي أهداف استراتيجية -باستثناء احتلال عنابة في **26** مارس **1832**- اللهمّ إلا الإغارة على القبائل النائمة، وتذبيح النساء والأطفال والعجزة، والسلب والنهب، وقد ارتبط اسم الدوق بمجزرة العوفية (ليلة **6-7** أفريل **1832**) التي يندى لها جبين الإنسانية، تميزت كذلك سياسته بالغدر وخيانة العهود وقد ارتبط اسم الدوق بإعدام العربي بن موسى قائد بني خليل ومسعود بن عبد الواد قائد السبت رغم وجود عهد بالأمان، واعتقد الجزائريون آنذاك أن إصابة الدوق بسرطان اللسان كان عقابا له من الله على غدره.

كان الدوق دي روفيكو من أنصار سياسة الاحتلال الكلي، وأمام قصور إمكانياته العسكرية، وشساعة مساحة الجزائر قرر حكم الجزائريين

عن طريق وسطاء مسلمين، فعيّن سيدي محي الدين ابن المبارك مرابط القليعة في منصب آغا العرب على متيجة، ولفكّ الحظر التجاري على عنابة دخل في مفاوضات فاشلة مع الحاج أحمد باي هدف من ورائها إلى إخضاعه للسيادة الفرنسية كما تميز عهده بمحاولات فاشلة للاستيطان باستثناء مشروع حديقة التجارب بالحامة التي أنشئت في خريف عام **1832**م.

الدوق كسابقيه ضرب بمعاهدة القصبة عرض الحائط وانتهك الفرنسيون في عهده حرمة المقابر، والأوقاف والزوايا والمساجد والأضرحة، وارتبط اسمه بتحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية بقوة السلاح في **18** ديسمبر **1832**، وتعدّ مراسلاته التي جمعها إسكير (Gabriel Esquer) مصدرًا هامًا لكتابة تاريخ الجزائر في بداية عهد الاحتلال[13].

2- الأرشيفي غبريال إسكير (Gabriel Esquer) (1876-1961)

يعتبر من أبرز مؤرّخي الجزائر الفرنسيين في القرن العشرين رفقة مارسيل إيميريت (Marcel EMERIT)، جورج إيفير (Georges YVER)، وشارل أندري جوليان (Charles-André JULIEN)، هو من مواليد **12** أفريل **1876** بـــ: (Caunes-Minervois) بفرنسا، تدرّج في مراحل التعليم ليتخرّج من مدرسة (L'Ecole de CHARTRES) بشهادة وثائقي (Archiviste paléographe)، كما درس الكتابات القديمة واهتم بالصحافة والمسرح والفنون الدرامية، والإذاعة في سنة **1909** حلّ بالجزائر، ووظّف في أرشيف الحكومة العامة بالجزائر، وفي سنة **1910** عيّن أمينا للمكتبة الوطنية الجزائرية وبقي يشغل هذا المنصب حتى سنة **1948**، في سنة **1910** بدأ يكتب في المجلّة الإفريقية حيث كتب مقالا عن بدايات يوسف في الجيش الفرنسي، كما اهتم ببدايات الاحتلال الفرنسي حيث أصدر في عام **1923** كتاب:

Les Commencement d'une conquête, la prise d'Alger

كما اهتم بتدريس العلوم المساعدة للتاريخ في كلية الآداب بجامعة الجزائر، كما نظّم عدّة مؤتمرات في الجزائر العاصمة، تلمسان، الرباط،

تونس وحصد العديد من الأوسمة مثل: النخلة الأكاديمية عام **1905**م، والوسام العلوي **1938**م.

إنّ احتكاكه الدائم بالوثائق، وإدارته للمكتبة الوطنية في الجزائر ساعده على إصدار ايكونوغرافية الجزائر في عام **1929**م والذي يضم وثائق وصور عن تاريخ الجزائر من القرن **16**م إلى **1871**م تعتبر مصدر لا يستغني عنه أي باحث في تاريخ الجزائر، وكذلك جمع وطبع مجموعة من الوثائق عن تاريخ الجزائر مثل مراسلات فوارول، كلوزيل، الدوق دي روفيكو قال عنه المؤرّخ (Xavier Yacono): "إنّه مؤرّخ موهوب ومستنير تطغى على أعماله روح المنهجية والدقّة وأعماله شاهدة على ذلك" [14] .

3 – التعريف بمراسلات الدوق دي روفيكو

تعد مراسلاته التي جمعها أسكير (Esquer) مصدرا هاما لكتابة تاريخ الجزائر في بداية عهد الاحتلال.

أ- المراسلات من الناحية الشكلية

نشرها اسكير في مطلع القرن العشرين في أربعة أجزاء[15] وهي كالتالي:

الجزء الأوّل: يضم رسائل من الدوق دي روفيكو الى عدد من الشخصيات والقبائل الجزائرية والمسؤولين الفرنسيين في فرنسا والجزائر، ويضم ملحقًا واحدًا هو تابع لرسالة من الدوق إلى وزير الحربية (رسالة رقم: **14**).

الجزء الثاني: هو تكملة للجزء الأوّل فيضم رسائل الدوق إلى عدد من الشخصيات والقبائل الجزائرية والمسؤولين الفرنسيين، كما ضمّ اثنين وثلاثين ملحقًا، هذه الملاحق كان الدوق يذيل بها رسائله خاصة إلى وزير الحربية.

الجزء الثالث: ضمّ رسائل أرسلت إلى الدوق، وهي كالتالي:

- عشرون رسالة أصحابها مجهولون.

- رسائل من مسؤولين فرنسيين عسكريين ومدنيين في الجزائر وسفراء فرنسا في بعض الدول الأوربية والمغرب الأقصى وتونس.

- رسائل من شخصيات وقبائل جزائرية إلى الدوق وتعتبر هذه الرسائل مصادر جزائرية تؤرخ لفترة بدايات الاحتلال، رتبت هذه الرسائل أبجديا حسب أسماء المرسلين.

الجزء الرابع: يبدو أن إسكير عثر على هذه الرسائل بعد تأليفه للأجزاء الثلاثة الأولى، حيث يفتقد هذا الجزء للترتيب التسلسلي الزمني للرسائل ومن حيث الوجهة هي من وإلى الدوق دي روفيكو، ويشمل الجزء الرابع كذلك فهرسة لكلّ مراسلات الدوق (الأجزاء الأربعة).

بعد الاطلاع على كلّ المراسلات سجّلنا ما يلي:

- توزيع المراسلات على أقاليم الجزائر

- قلّة المراسلات مع بايلك الغرب مقارنة مع بايلك الشرق الذي أخذ حصة الأسد في حين اقتصرت مواضيع هذه المراسلات معه على تجارة الخيول، وعلاقة سكان الغرب الجزائري بممثلي السلطان المغربي، وتنفذ رجال السلك الدبلوماسي الانجليزي في وهران و نفسر ذلك بما يلي:

- التفاف سكان الغرب الجزائري حول محي الدين وابنه الأمير عبد القادر بعد سقوط الحكم المركزي في العاصمة وبعد استسلام حسن باي وهران.

- سماح وزير الحربية للجنرال بوايي (Boyer) بمراسلته رأسا كسبا للوقت فالمدة التي كانت تستغرقها المراسلات بين الجزائر وفرنسا لا تقلّ عن عشرين يوما[16].

- كان الدوق يشكو من استقلالية الجنرال بوايي رغم أنّه كان رفيق دربه في الحملة الفرنسية على مصر.

- نفسّر كثرة المراسلات مع بايلك الشرق أهميته وثراءه، فاهتم الدوق كثيرا بهذا البايلك وربط صلات بخصوم الحاج أحمد باي، وكان هذا المسعى متبادلا حيث أسرع خصومه للتحالف مع الفرنسيين مثل فرحات بن سعيد وغيره، كذلك مفاوضات الدوق مع الحاج أحمد باي، عند احتلال عنابة فصخب الأحداث في الشرق الجزائري فرض نفسه على المراسلات.

اللغة التي كتبت بها المراسلات: فيما يخص الرسائل التي أرسلها الدوق كتبت في الأصل بالفرنسية وترجمت إلى العربية أو العبرية حسب وجهتها، أمّا الرسائل التي أرسلها الجزائريون فكتبت في الأصل باللغة العربية وبعضها باللغة العبرية[17]، وضم الجزء الثالث عشرين (**20**) رسالة مجهولين أصحابها، كما نجد بعض الرسائل غير ممضاة[18]، ويحتمل أن تكون مرسلة من طرف جواسيس يعملون لحساب الدوق حيث جاء في احدى الرسائل "حسب تقارير الجواسيس"[19] أو بسبب انعدام الأمن في الطرق، وشدة القمع أرغمت الجزائريين على الامتناع على توقيع رسائلهم خوفا من التعرّض لنفس مصير قبيلة العوفية [20].

نشير كذلك إلى الجانب المعرفي والموسوعي لهذه المراسلات فضلا عن تميّزها بالدقة، فمعظم هذه الرسائل حدد فيها التاريخ، المكان، الوجهة، المصدر الأرشيفي ومذيلة في الهامش بتعاريف للأعلام والأماكن، والقبائل، كما نجد إشارة لبعض المصادر والمراجع المساعدة على دراسة تاريخ الجزائر في بدايات الاحتلال[21]، نشير في هذا السياق إلى أهمية الملاحق التي تضمّنها الجزء الثاني ونذكر على سبيل المثال مقال بجريدة:

(La Semaphore de Marseille)، ورسالة الحاج أحمد باي إلى حمدان بن عثمان خوجة[22].

ب- المراسلات من حيث المواضيع

تضمنت مراسلات الدوق أوضاع الجزائر في مختلف الميادين: سياسية عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، وثقافية، وعلاقات الجزائر الخارجية آنذاك هذا إذا علمنا أن الدوق انتهج سياسة بوليسية قمعية، استعان بخبرته السابقة في العهد الامبراطوري لّما كان وزيرا للشرطة، فعمل على جمع أدقّ التفاصيل عن الأوضاع في الجزائر وتقصّى حتى أخبار العرّافات.

في المجال السياسي تناولت المراسلات التنظيم السياسي والإداري الفرنسي في الجزائر العاصمة ووهران، وعنابة[23] وكذلك سياسة الدوق الأهلية وعلاقاته بآغا العرب، وشيوخ القبائل[24]، ومفاوضاته مع الحاج أحمد باي[25]،

كما تناولت المراسلات سياسته العسكرية ومشاريع فرنسا في الجزائر في عهده وتمثلت في ضرورة تدعيم الوجود العسكري في العاصمة ووهران، والسيطرة على المناطق الاستراتيجية الساحلية (وهران، عنابة، القل)، كما ألحّت المراسلات على ضرورة الإسراع في احتلال عنابة والتمهيد لاحتلال قسنطينة مستقبلا[26]، وتضمّنت كذلك المراسلات تقارير دقيقة عن الحملات الفرنسية مثل الحملة على البليدة في **21** نوفمبر **1832**[27]، واحتلال عنابة ودقة التقارير التي كانت تصل إلى الفرنسيين قبل سقوط عنابة وبعد ذلك[28].

تناولت المراسلات الأوضاع الاقتصادية للجزائر خاصة التجارة حيث تضمنت المراسلات تقارير عن العلاقات التجارية مع الدول المغاربية، المتوسطية، وإفريقيا ما وراء الصحراء، وكذلك أسعار القمح وتجارة الخيول والعلف واللحوم، ومواد التنظيف[29]، تحدّثت كذلك المراسلات عن النظام النقدي في الجزائر والعملات المتداولة وقيمتها وتضخم الإنتاج وقلة السيولة النقدية التي عانت منها العاصمة الجزائرية[30]، والسياسة الجبائية في عهد الدوق حيث تشير المراسلات إلى تنوّع المصادر الجبائية وإلحاح الدوق على جمع الضرائب، واشتطّ في جبايتها، وارتبط اسمه بضريبة الصوف والقمع الذي مارسه على سكان العاصمة [31].

فيما يخص علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وممثلي السلطان عبد الرحمان ركّزت المراسلات على محاربة النفوذ المغربي ومطاردة رجال السلطان المغربي[32] وفيما يخصّ العلاقات مع تونس تناولت المراسلات تبعات اتفاق كلوزيل مع باي تونس في عهد الدوق وتداعيات هجرة الجزائريين إلى تونس[33].

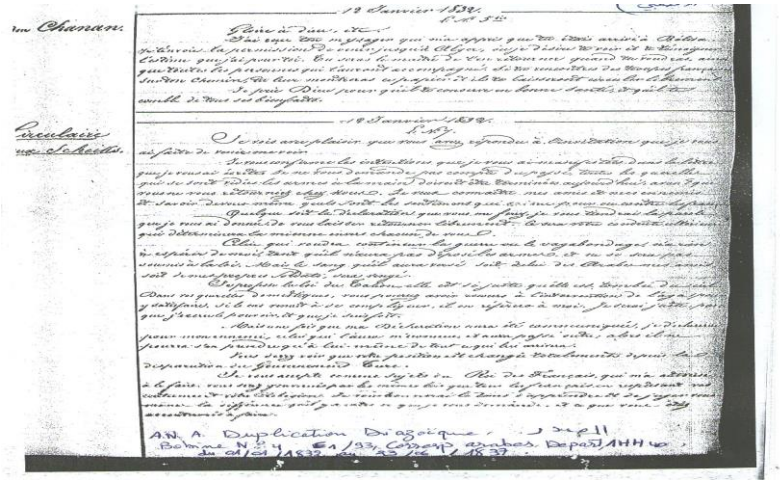
تناولت كذلك هذه المراسلات تقارير عن الاستيطان، الأوضاع الاجتماعية والثقافية للجزائر، وركّزت على وضعية المساجد، وإصرار الدوق على التنصير، ونشر الدين المسيحي واللغة والثقافة الفرنسية في الجزائر.

رغم النقائص تبقى مراسلات الدوق دي روفيكو مصدرا هاما لدراسة تاريخ الجزائر في بداية الاحتلال، وأمام شح المصادر الجزائرية تتضح أهمية

دراسة الجزء الثالث من هذه المراسلات، ومن خلالها يمكننا التعرّف على المستوى الاجتماعي، الثقافي، الفكري للجزائريين ووعيهم السياسي وموقفهم من الوجود الفرنسي، وتكمن أهمية بعض الرسائل في كونها كتبت من طرف شخصيات فاعلة شاركت في صنع الأحداث مثل آغا العرب سيدي محي الدين الصغير ابن المبارك، الحاج أحمد باي، ابراهيم باي الكريتلي، حمدان خوجة، الشيخ سيدي السعدي، ويجب على الباحث دراسة هذه الرّسائل ونقدها وذلك بعد تمحيصها ومقارنتها بالمصادر الأخرى المعاصرة لها.

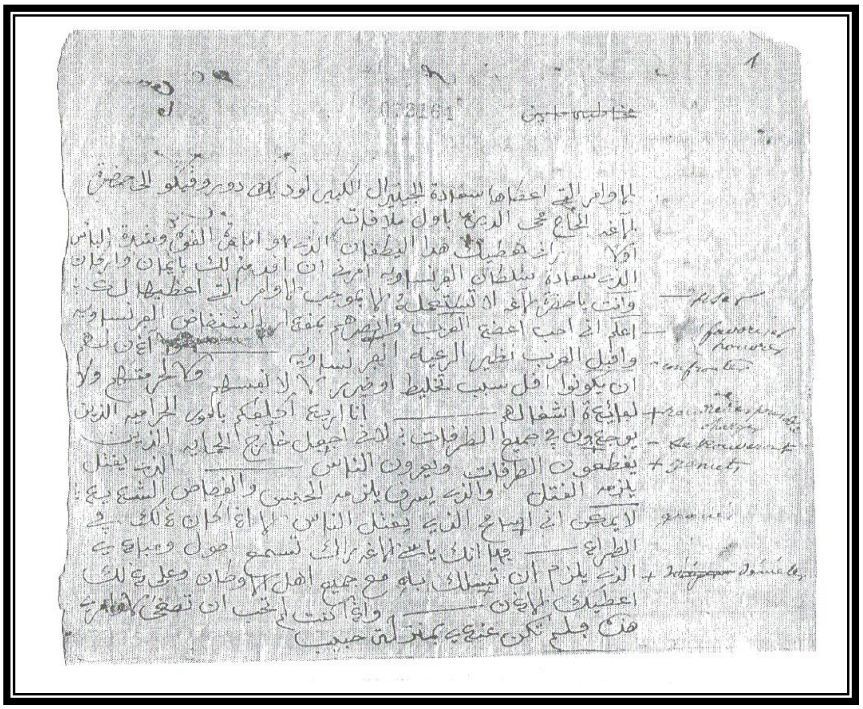
إنّ دراستنا لمراسلات الدوق دي روفيكو ترشدنا وتفتح أمامنا المجال واسعا لدراسة مراسلات الحكام والمسؤولين الذين تعاقبوا على حكم الجزائر مثل الجنرالات فوارول، كلوزيل بيجو وغيرهم، كذلك تشير إلى أهمية الأرشيف الانجليزي في كتابة تاريخ بدايات الاحتلال فالقنصل الانجليزي كانت علاقاته وطيدة بالجزائريين (لجنة الحضر)، وتقاريره وتقارير سفراء الدول الأوربية الذين عاشوا في الجزائر، قد تتضمن معلومات هامة إذا نُفض عنها الغبار.

الملحق **1**: النموذج عن رسائل الدوق إلى الجزائريين (النصّ الأصلي)



ARCHIVES NATIONALES ALGERIENS, Série **1**HH, E/**93**, Bobine N° **4**, Centre des archives d'Outre mer, Gouvernement Général de l'Algerie **1**HH**30** à **1**HH**43** Du **01**/**01**/**1832** au **23**/**06**/**1837**

الملحق **2**: نموذج عن رسائل الدوق إلى آغا العرب[34]



1- Marcel EMERIT, «Les mémoires D'AHMED DERNIET BEY DE CONSTANTINE», in **RA**, OPU, Alger, N°**93**, Année **1949**, pp: **65-125**.

- زوزو عبد الحميد، «تقييدات ابن عيسى عن حصاري قسنطينة»، مجلة الأصالة، العدد **5**، أفريل **1979**، ص ص**11–25**.

2- ARCHIVES NATIONALES ALGERIENS, Série **1**HH, E/**93**, Bobine N° **4**, Centre des archives d'Outre-mer, Gouvernement Général de l'Algerie, **1**HH**30** à **1**HH**43**.

3- victor DEMONTÈS, **Les Préventions du Général Berthzène contre la colonisation de l'Algérie**, Paris, sans date, **311**p.

CF: CHARLLES-ROBERT AGERON, **Le gouvernement du général Berthezène à Alger en 1931**, Ed Bouchène, France, **2005**.

4- Georges YVER , **CORRESPONDANCES DU MARÈCHAL VALÈE, GOUVERNEUR GÈNÈRAL DES POSSESSIONS FRANCAISES DANS LE NORD DE L'AFRIQUE**, Ed LA ROSE, PARIS, **1954**, **344**p.

5- ESQUER (GABRIEL), **CORRESPONDANCE DU Général Voirol, commandant par intérim le corps d'occupation d'Afrique (1833 -1834),** Édouard champion, Libraire de la société de l'histoire des français, paris, **1924**, P **831**.

6- ESQUER (GABRIEL), **CORRESPONDANCE DU Général Drouét d'Erlon 1834 - 1835,** Ed Champion, Paris, **1926**, p **598.**

7- ESQUER (GABRIEL), **CORRESPONDANCE DU MARÉCHAL CLAUZEL Gouverneur des possessions Françaises dans le Nord de l'Afrique (1835 – 1837),** Ed LA ROSE, Paris, **1948**, T**1**: **802**p**,** T**2**: p **637.**

8- Abd el Hamid ZOUZOU, **La vie quotidienne à Mascara à travers les rapports du premier consul Français auprès de L'Emir Abdelkader**, Alger ,Ed Houma, **2014**, p **348**.

- Abd el Hamid ZOUZOU**, Correspondance de l'Emir Abdelkader avec le général Desmichels et documents relatifs à l' époque d'Abdelkader**, **3**° Ed, Ed : Houma, ALGER, **2006**, p **348**.

9- Georges YVER**, Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara** , Adolphe Jourdan / Paul Guethner , Alger / Paris, **1912**, p. **648**.

10- Bernardin MELCHOIR - BONNET, **Un policier dans l'ombre de Napoléon Savary duc de Rovigo**, Perrin, **1962**.

- Michel MAURE, **Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire**, **2**eme Ed, T**3**, Paris **1989**, pp : **4199-4200**.

G- Esquer, «LES DEBUTS DE L'ADMINISTRATION CIVILE À ALGER LE PERSONNEL» , in **R A**, N°: **286**, Imprimerie typographique Adolphe Jourdan, Alger **1912** – p **321**.

- Http : //ww Histofig .com. /History /empire/personnes France –Savary Fr. , htmil , le **23**/**05**/**2002**.

- Charles - André, JULIEN**, HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE**, **La Conquête et les débuts de la colonisation (1827 -1871)**, **2**° Ed, CASBAH Edition, Alger, **2005**, p: **88**.

- AGERON CH. ROBERT, HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE (**1830-1994**), Dixième édition, P.U.F, France, **1994**,p :**10**.

10- Esquer, **Correspondance du duc,** op, cit T**1** le duc le président du conseil le **26**/**12**/**1832** pp :**30**-**35**.

12- في نهاية سنة **1832** أصيب الدوق بسرطان اللسان والتهاب حاد في الحنجرة جعله يغادر الجزائر يوم **04** مارس **1833**:

وتوفي في باريس في **02** جوان **1833** وتعتبر مذكراته التي أصدرها سنة **1828** مصدرا هاما لتأريخ للعهد الإمبراطوري، أنظر:

Esquer**, Correspondance du duc**, op, cit T**2**, le Duc au MG, le **26**/**02**/**1833**, pp **456**-**458**.

13- لمعلومات أكثر عن سياسة الدوق دي روفيكو في الجزائر أنظر:

- Julien, op, cit, pp :**87**-**102**.

فضيلة حفاف، **السياسة الفرنسية في الجزائر في عهد الدوق دي روفيكو (ديسمبر1831 – مارس 1833)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر **2**، **2013**.

14- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954**، ط**1**، ج**6**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص**387**.

-Xavier Yacono , «Gabriel Esquer (**1876**- **1961**)», in **Revue Africaine**, O P U, Alger, pp : **429**-**438**.

15 -ESQUER GABRIEL, **CORRSPONDANCE DU DUC DE ROVIGO Commandent en chef le corps d'occupation d'Afrique (1831-1833)**

T I : **Lettres de Duc de Ravi go** (**29**octobre **1831**-**31**juillet **1832**), Typographie Adolphe Jourdan, imprimerie de l'université, Alger, **1914**, P**694**.

T II : **Lettres de duc de Rovigo** (**1**er Août **1832- 21** Mars **1833**), Ancienne Maison Bastide – Jourdan Jules CARBONEL Imprimeur – libraire – Éditeur, Alger **1920**, P**580**.

T III **: Lettres adressées au duc de Rovigo** (**17** Novembre **1831- 21** Mars **1833**), Ancienne Maison Bastide – Jourdan Jules CARBONEL I imprimeur – libraire – Éditeur, Alger **1921**, P**622**.

T IV, Alger **1924**, P**74**.

- PICHON (LE BARON), **ALGER SOUS LA DOMINATION FRANCAISE, SON ETAT PRESENT ET SON AVENER**, Paris, M D CCC XXX III, p :**35**.

17- عثرت على رسائل في الأرشيف الوطني الجزائري أرسلها يهود عنابة الى الجنرال مونك دويزر (General d'UZER) قائد الجيش الفرنسي في عنابة مكتوبة باللغة العبرية، أنظر أيضا الرسالة التي أرسلها أعيان المدية إلى الدوق أشاروا أنّ الدوق أرسل إليهم رسالة في نصّين الأول عربي و الآخر عبري، أنظر:

- Esquer, correspondance de duc, op,cit,T**3**, p :**19**.

18- Op, cit ,T**3**, Un rapport non signée au Duc, reçue le : **02**/**01**/**1832**, pp : **57**-**58**.

19- Op, cit,T**3**, p : **91** .

20- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط**2**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1982**، ص**90**.

21- Esquer, op, cit,T**2**, Le Duc de duc au Ministre de la Guerre (Arch. Guerre), Alger, le **27**décembre **1831**, pp :**36**-**64**.

22- Op, cit, T**2**, Index n° **30**, pp : **558**- **562**.

23- OP, cit, T**1**, Le Duc au Ministre de la Guerre, le : **07**/**01**/**1832**, pp :**94**- **95**.
- Le Duc au Général d'UZER, le : **31**/**07**/**1832**, pp : **670**-**675**.

24- Op, cit, T**1**, Circulaire du Duc au Cheiks, le : **12**/**01**/**1832**, pp : **97**-**100**.

T**3**, les lettres de l'Agha des Aabes , le : **03**/**02**/**1832** , pp : **59**- **60**, le : **07**/**02** /**1832**, pp : **66**.

T**3**, Beni Salah, Bni Messaoud, Mouzaya au Duc, le : **29**/**08**/ **1832**, pp : **431**-**432**.

25- Op, cit, **2**, Le Duc à HAMDAN BEN OTHMAN KHODJA, le**24**/**10**/ **1832**, pp : **197**-**200**.

- Le Duc au Ministre de la Guerre, le **02**/**11**/**1832**, pp : **424**-**425**.

26- Op, cit, T**3**, Projet d'instructions pour le Duc, le : **17**/**11**/**1832**, pp : **1**-**3**.

- T**1**, Le Duc au Ministre de la Guerre, le : **15**/**02**/**1832**, pp : **224**-**227**.

27- Op, cit, T**2**, Le Duc au Ministre de la Guerre, le : **24**/**11**/**1832**, pp : **286**-**290**.

28- Op, cit, T**3**, Les Notables de Bône au Duc, le : **17**/**02**/**1832**, p : **89**.

- Jusuf au Duc, le : **17**/**02**/**1832**, p : **84**-**88**.

- T**1**, Le Duc à Ibrahim Bey, le : **20**/**02**/**1832**, p : **248**.

29- Op, cit, T**1**, Le Duc au Ministre de la Guerre, le : **17**/**07**/**1832**, p : **625**-**626**.

- T**1**, Le Duc au Général Boyer, le : **06**/**06**/**1832**, p : **532**-**534**.

- T**3**, Cadi de Boufarik au Duc, le : **21**/**12**/**1832**, p : **589**-**581**.

30- Op, cit, Le Duc au Baron Pichon, le : **02**/**02**/**1832**, p : **270**.

- T**3**, Les habitants d'Alger, au D uc, le : **07**/**11**/**1832**, pp : **544**-**545**.

31- Op, cit, T**2**, Le Duc au Baron Pichon, le : **04**/**12**/**1832**, p : **23**.

32- Op, cit , T**3**, Le Consul de la France à Tanger au Duc, le : **21**/**01**/**1832**, p : **24**.

- T**3**, Le Duc au Général Boyer, le : **26**/**05**/**1832**, p : **303**-**305**.

33- Op, cit, T**3**, Le Consul de la France à Tunis au Duc, le : **22**/**06**/**1832**, p : **351**-**353**.

- T**2**, Le Consul de la France à Tunis au Baron Pichon, le : **22**/**01**/**1833**, p : **501**-**502**.

34- المكتبة الوطنية الجزائرية، مصلحة المخطوطات، وثائق غير مفهرسة، ظرف رقم: **72161**.

مجلة المصـادر ومكـانتها في كتـابة التـاريخ الوطني والتعريف به

الأستـاذة: عـائشة براهيمي
المركز الوطني للدراسـات والبحث
في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954



- مقدمة

ساهم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م منذ إنشائه في صائفة **1995**م مساهمة فعالة في نشر الثقافة والمعرفة التاريخية المتعلقة بمجال اختصاصه حيث قام بعدد من المبادرات التي لقيت التشجيع والتنويه، وبهذا الصدد نذكر إنجازاته العلمية الهامة منها اصدار سلسلة الملتقيات التي نشرت عدة أعمال قيمة كانت المكتبة التاريخية في حاجة ماسة إليها بل وفي مواضيع تعالج لأول مرة في الثقافة العربية، ومنها أيضا إصدار سلسلة الندوات التاريخية التي سلطت الأضواء على مواضيع هامة من تاريخ الثورة الجزائرية ، كما قام المركز لأيضا بالاهتمام بمجموعة من الملفات التي تمت معالجتها ضمن سلسلة الوثائق حيث نشرت "نداء أول نوفمبر" وكذلك كتاب الأناشيد الوطنية، إضافة إلى نشرته الشهرية الرؤية التي صدرت في ثلاثة أعداد.

2- مجلة المصادر واهتمامها بالتاريخ الوطني

تعتبر مجلة المصادر لسان حال المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، فقد اهتمت بقضايا تاريخنا الوطني المعاصر وبكل ما يتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية والثورة التحريرية وتلتزم في ذلك الدقة

والتدقيق في الشهادة والنص والوضوح والموضوعية في الطرح والحكم، وتعتبر المواضيع العلمية المنشورة فيها مصادر موثوقة محققة ذات مكانة علمية ومرجعية مؤكدة، يستند إليها الباحث وكل قارئ مهتم بتاريخ الجزائر.

كرست مجلة المصادر مجال اهتمامها البحثي في الحقبة التاريخية الممتدة من **1830-1962**م، إذ عزمت والتزمت طيلة سنوات خوض غمار البحث العلمي من أجل المساهمة في تأسيس مدرسة وطنية لكتابة تاريخ الثورة مرتكزة على منهج علمي متعدد تقنيات البحث، حققت مجلة المصادر نقلة نوعية في معالجة الكتابة التاريخية وخاصة قضايا ثورة التحرير المظفرة، كما وجدت المصادر صدى واسع لدى المثقفين والمهتمين داخل الوطن وخارجه وساهمت من خلال ذلك مساهمة فعالة في نشر المعارف العلمية والمعلومات المفيدة.

صدر العدد الأول من المجلة في صيف **1999**م ليكون صدور العدد الثاني والثلاثين منها في حويليه **2023**م وقد دعت مجلة المصادر من خلال كلماتها الافتتاحية في الكثير من الأعداد، إلى ضرورة الاهتمام بموضوع الذاكرة، حيث جاءت الكلمة الافتتاحية للعدد الأول منها بعنوان: "من أجل الحفاظ على ذاكرة الأمة" ومما ورد فيها: (إن حركة التأليف والتوثيق عبر الكتب والمجلات ومختلف الوسائل السمعية البصرية الحديثة من شأنها أن تحافظ على الذاكرة الجماعية للأمة، بما تتصف به من قيم ومثل عليا وتضمن استمرارية الرسالة الوطنية عبر تواصل الأجيال وهي في الحقيقية من أهم انشغالاتنا).[1]

كما جاء في العدد الثاني أيضا: (إن كتابة التاريخ أمر جاد وليس من السهل الخوض فيه ذلك لأهميته فلابد ان تتعهد هذه الكتابة بما تستلزمه من جد وخبرة علمية حتى يصبح لنا تاريخ لا غبار عليه يضئ طريقنا نحو المستقبل ويذكرنا دائما بماضينا لكي نستخلص منه العبر والدروس فننتقي الصالح والمفيد... إن كتابة التاريخ أمر ليس بيسير على الاطلاق إنه يقتضي تكوينا أكاديميا يؤهل الكاتب الذي يكون في حكم الشاهد على الأحداث

والرجال ويدعوه في غالب الأحيان إلى التنصل من مشاركته شخصيا وذاتيا في صنع الحدث).[2]

دائما فيما يخص الاهتمام بكتابة التاريخ ورد في العدد الثالث منها مقال بعنوان: "رؤية منهجية لكتابة التاريخ العسكري" مركزا على عدة جوانب منها اهتمام المدارس التاريخية الأوروبية بهذا التاريخ وجعله في مقدمة أولويات الجامعات ومراكز البحث وحتى البرامج الدراسية وأشار في نقطة ثانية إلى إشكالية كتابة التاريخ العسكري الجزائري ومصادره،[3] إضافة إلى أن المجلة اهتمت بالكثير من القضايا المتعلقة بكتابة التاريخ ولم تنس أيضا مكانة الشهداء في التاريخ فتناولتهم إما بالتطرق لأدوارهم التاريخية أو من خلال عرض سيرهم الخاصة والذاتية.[4]

تناولت مجلة المصادر ضمن الحقبة التاريخية التي تدخل في إطار نشاط المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، والتي تمتد من **1830-1962**م العديد من المواضيع الهامة التي تخص هذه الفترة، لذلك سنحاول أن نشير إلى أهم الكتابات التي ميزت كل فترة حسب الترتيب الزمني لها بداية من مرحلة المقاومة الشعبية إلى الحركة الوطنية ثم الثورة التحريرية الكبرى.

3- مرحلة المقاومة الشعبية

تناولت مجلة المصادر العديد من المواضيع التي تخص هذه المرحلة الهامة بداية من مرحلة الاحتلال الفرنسي والتوسع في الجزائر وما صاحبها من تسلط وانتهاك وتعدي على الجزائريين وأملاكهم، وكذلك ما فرضته الإدارة الاستعمارية من قوانين استثنائية في حق الجزائريين، وما قابل ذلك من رد فعل جزائري تمثل في المقاومات الشعبية في مختلف مناطق الوطن، حيث نجد العديد من المقالات التي تناولت مواضيع تتعلق بالاحتلال الفرنسي مثل مقال الحملة الفرنسية على الجزائر في ظل القانون الدولي،[5] وكذلك عملية التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار **1916**.[6]

تطرقت مواضيع المجلة إلى ما تلى الاحتلال الفرنسي من وانتهاكات ونهب على الممتلكات المختلفة[7] هذه السياسة التي واجهها الجزائريون بعديد المقاومات الشعبية، التي افرزت لها المجلة جانبا كبيرا من الدراسة فنجد من المواضيع ما تحدث عن مقاومة الأمير عبد القادر في مقال حمل عنوان: "الأمير عبد القدر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية"[8] بينما ورد في مقال اخر في ذكر مقاومة الشيخ بوعمامة التي كان لها بدورها بالغ الاثر على مخططات الاستعمار الفرنسي، فشخصية بوعمامة كانت من الشخصيات التي وترت قادة الاحتلال الفرنسي وأربكتهم في ايجاد السبل لمواجهتها والسيطرة عليها، وقد ورد مقال مهم تحت عنوان: "دور ثورة الشيخ بوعمامة".[9]

تعتبر مقاومة الزعاطشة واحدة من الثورات التي كان لها صداها وهي من أشهر المقاومات التي تم التطرق لها بمقال بعنوان: "ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية"،[10] كما ركزت المجلة أيضا على بعض المقاومات التي تزامنت مع انطلاق المقاومات الكبرى وكانت في بعض الاحيان داعمة لها مثل "مقاومة قبائل بني عامر في عصر الأمير عبد القادر[11]، وركزت مقالات المجلة أيضا على نتائج تلك المقاومات فنجد مقال مهم يتحدث عن "نتائج ثورة **1871** وأبعادها"[12] وهي مقاومة مهمة بالنظر إلى الشخصيات التي قادتها وتبنتها وكذا النتائج التي حققتها، حملت مجلة المصادر بين طياتها الكثير من المواضيع الاخرى في هذه الفترة فتناولت ثورة المقراني في منطقة باليسترو (الأخضرية حاليا) سنة **1871**[13] والانتفاضات المحلية بمنطقة القبائل مع نهاية القرن التاسع عشر (أرزقي البشير والإخوة عبدون) (**1887-1895**م)[14].

تناولت مواضيع المجلة أيضا السياسة الفرنسية وابعادها في الجزائر حيث تطرقت إلى الاستيطان ومساعي فرنسا من خلاله في تغليب تواجد العنصر الاوروبي في الجزائر، ما يتيح لها من تسهيل عملية طمس الهوية والشخصية الجزائرية ودمجها ضمن المستعمرة الجديدة، إذ كانت القوة البشرية سلاحا مواز للقوة العسكرية وداعما أساسيا لمخططات الاستعمار،

وفي هذا الصدد جاءت العديد من المقالات نذكر منها على سبيل المثال "الاستيطان الفرنسي في الجزائر[15]، ودور الاحتلال الاستيطاني في سياسة فرنسا في الجزائر وفي كيفية تنظيم المستعمرة،[16] كما أشارت إلى السياسة القمعية الفرنسية أهم هياكلها في الجزائر من **1871** إلى **1901**،[17] فتطرقت بعض المقالات إلى سياسة التنصير ومحاولة طمس الهوية الاسلامية للشعب الجزائري وأهم الاجراءات المتخذة لتطبيقها،[18] وفي ذات السياق تحدثت عن عملية المسخ الثقافي للجزائريين بمحاربة لغتهم ومحاولة تجهيلهم، مركزة على المقاومة الثقافية في الجزائر (**1830-1870**م).[19]

4- الحركة الوطنية

تعتبر مرحلة الحركة الوطنية من ابرز مراحل تاريخ الجزائريين لما حملته من تبلور للأفكار وتسطير للأهداف لدى كل تيارت ونخب الجزائر، لذلك أولتها الدراسات جانبا كبير من الاهمية، وهو ما برز من خلال المقالات التي درست متغيرات وأحداث هذه المرحلة الهامة والتي تنوعت بتنوع مراحلها وظروفها بداية من شخصية الأمير خالد بطل الجزائر[20]، وما ساهم به في وضع أسس الحركة الوطنية والمطالبة بحقوق الجزائريين على الصعيد الدولي من خلال مراسلاته، ومن بين المواضيع التي تم الحديث عنها أيضا الكفاح الوطني وردود فعل الاحتلال في الفترة ما بين الحربين **1919-1939**م، وهي فترة حاسمة وهامة في مسار الحركة الوطنية الجزائرية لما حماته من مطالب لصالح الجزائريين من جهة، وما أظهرته سلطات الاحتلال من ردود الفعل حولها،[21] كما أبرزت إحدى المقالات نخب الحركة الوطنية **1830-1954**م[22] ومساعي الحركة الوطنية الجزائرية في إعطاء البعد الدولي للقضية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى،[23] وفي ذات السياق جاء التركيز على البعد المغاربي في أيدولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية **1911-1937**[24] وأشارت دراسة إلى أزمة حزب الشعب الجزائري[25] والمنظمة الخاصة "l'OS" المدبر لثورة الفاتح من نوفمبر **1954** حيث تم التطرق إلى تأسيسها وهياكلها والدور الذي قامت به.[26]

5- الثورة التحريرية

تنوعت المواضيع الخاصة بمرحلة الثورة التحريرية من حيث إبراز مكانة ثورة أول نوفمبر **54** بين الثورات العالمية ودورها،[27] وذهبت بعض المقالات إلى التساؤلات حول ماهية أول نوفمبر **1954** إذا أهي حرب أم ثورة؟،[28] كما ركزت المجلة على تناول المحطات الهامة في الثورة والمنعرجات الحاسمة التي كانت لها انعكاسات على مسارها، مثل هجومات الشمال القسنطيني ودورها الكبير في توسيع الثورة وتحقيق شموليتها من خلال عدة مقالات نذكر منها مقال بعنوان: "أوت **55**: وادي سوف في خضم الملحمة"[29] وكذلك "الشمال القسنطيني هجوم **20** أوت **1955**"[30]، وفي مرحلة أخرى تطرقت إلى ظروف انعقاد مؤتمر الصومام[31] وأوردت دراسة أخرى مظاهرات ديسمبر **1960** أسبابها - وقائعها - ونتائجها.[32]

تناولت المجلة أيضا جانبا بارزا من جوانب الثورة التحريرية ألا وهو الجانب الاعلامي من خلال الجرائد والمجلات العربية والجزائرية فسلطت الضوء على تصدي صحيفة المجاهد لأساليب التضليل والتعتيم والدعاية الاستعمارية،[33] وما حملته مجلة الفكر التونسية من قضايا كبرى في معالجة الثورة الجزائرية إضافة الثورة الجزائرية في الإعلام المصري.[34]

كان للنشاط الدبلوماسي أثناء الثورة التحريرية نصيب كبير من الدراسات في المجلة، فنجد العديد من المقالات التي تحدثت عن أدوات الدبلوماسية أثناء ثورة التحرير الجزائرية،[35] وأوردت مواضيع المجلة في ذات السياق علاقات الثورة الجزائرية مع البلدان الاشتراكية مثل الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية،[36] وأيضا السياسة الخارجية لجبهة التحرير الوطني اتجاه بلدان أمريكا وأوروبا الغربية (**1955-1960**)[37] من جهة ثانية ركزت على البعد المغاربي والافريقي[38]للثورة الجزائرية ودور بلدان المغرب العربي في دعمها،[39] حيث تناولت الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية **1954-1956**،[40] مؤتمر طنجة المغاربي ومسألة الوحدة والتضامن مع الثورة الجزائرية،[41] وأولت المجلة اهتماما بالغا بالمواضيع التي درست القضية الجزائرية في مختلف المؤتمرات والمحافل الدولية، بداية

من القضية الجزائرية أمام الأمم المتحدة **1957-1958**، والمؤتمرات الأفرو-أسيوية والقضية الجزائرية،[42] كالقضية الجزائرية في مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية.[43]

حظيت مرحلة المفاوضات باهتمام كبير فأوردت المجلة بعض الدراسات التي تناولت مفاوضات إيفيان من حيث مراحلها وحيثياتها،[44] وكيفية ورودها في مواثيق الثورة من خلال وثيقتي بيان أول نوفمبر **1954** وأرضية مؤتمر الصومام **1956**[45] وأدرجت في ذات السياق بعض الأحداث التي ميزت المرحلة كمحاولات فرنسا فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال[46] وذهبت بعض الدراسات الى التعمق في هذا الجانب إذ تناولت الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل وبعد الاحتلال،[47] وصولا إلى مرحلة الاستفتاء ومغزى وأبعاد يوم **19** مارس **1962** كيوم للنصر.[48]

ركزت المجلة أيضا على العديد من المواضيع الاخرى كاستراتيجية الثورة في تنظيم الاتصالات السلكية واللاسلكية، [49] والمخططات الاستعمارية الهادفة إلى افشال الثورة ومحاصرتها وعزلها مثل مخطط شال وآثاره في تطور حرب التحرير الوطني[50]، كذلك مشاكل التسليح ومخاطر العبور وبعض المعارك الهامة مثل معركة سوق أهراس الكبرى (**26** أفريل - **03** ماي **1958**).[51]

اهتمت المجلة بدور المرأة الجزائرية طيلة فترة الاحتلال ووعيها بقضية وطنها وإدراكها منذ البداية حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها، فركزت بعض المواضيع على مأثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال،[52] ودور المغتربات الجزائريات بفرنسا ودورهن في ثورة التحرير الكبرى،[53] كما أوضحت المجلة صور تناول الشعر الثوري لبطولات المرأة الجزائرية والعبر المستقاة من ذلك.[54]

6- جرائم الاستعمار الفرنسي من خلال مجلة المصادر

خصت المجلة موضوع جرائم الاستعمار في الجزائر في مختلف المراحل وبمختلف الأشكال والأوجه التي تمت عليها بعديد الدراسات، فتحدثت عن

جريمة الإبادة الجماعية في حق الجزائريين أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر،[55] من خلال العمليات الانتقامية التي كانت تعقب معارك جيش الاحتلال الفرنسي وقادة المقاومات الشعبية من جهة، ومن جهة ثانية من خلال سياسة التجويع التي مورست على الجزائريين في بداية الاحتلال، وفي مرحلة أخرى تم تناول جرائم التفجيرات النووية الفرنسية[56] في الجزائر والمواقف الوطنية منها والتي تعتبر من أكبر الجرائم الاستعمارية وأخطرها في حق الجزائريين ، كيف لا وأثارها مازالت باقية إلى يومنا هذا في المناطق التي تمت بها العمليات وما جاورها، وفي هذا الصدد جاءت العديد من المقالات نذكر منها على سبيل المثال "التجارب النووية الفرنسية"[57] "جرائم في فرنسا ضد الشعب الجزائري".[58] و"الاستعمار جريمة ضد الانسانية -جريمة حرب-" [59] جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر[60] ومن جهة اخرى تناولت بعض المقالات موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب.[61]

أولت المجلة اهتماما كبيرا بموضوع التعذيب ففتحت المجال واسعا لنشر مختلف المقالات التي تدرس هذا الجانب، لأهميته من حيث إبرازه لوحشية المستعمر الفرنسي وتخطيه لكل القوانين الدولية المنادية بحقوق الانسان، وفي نفس الوقت تبرز ذلك الصمود الكبير للجزائريين في سبيل هذا الوطن، لقد خص موضوع التعذيب بملف كامل عنوانه "فرنسا تعذب في الجزائر"،[62] وتطرقت دراسات عديدة إلى سياسة التعذيب الاستعماري إبان الثورة التحريرية وتداعياتها المعاصرة،[63] كما سلطت دراسات أخرى الضوء على مراكز الموت البطيء على أنه وصمة عار في جبين فرنسا الاستعماري،[64] مشيرة إلى واقع المعتقلات أثناء الثورة من خلال التقارير السرية للإدارة الاستعمارية مثل معتقل "سان لو"[65] وذهبت أيضا إلى دراسة أساليب الاستنطاق خلال الثورة الجزائرية.[66]

أشارت المجلة أيضا إلى تلك الأحداث الكبرى والمحطات الهامة وما عقبها من مجازر فتناولت مظاهرات الثامن ماي والمجازر البشعة التي نتجت عنها، والتنديد الكبير بها سواء على الصعيد الوطني أو الدولي بمقال حمل عنوان "جريمة **8** ماي في مخططات الاستعمار الفرنسي"،[67] وأيضا

مقال بعنوان "مأساة **08** ماي **1945** بين الواقع التاريخي والادعاءات السياسية على ضوء نماذج من الارشيف"،[68] وفي ذات السياق جاء الحديث عن جرائم فرنسا في **17** أكتوبر **1961** بباريس من خلال المصادر الجزائرية الفرنسية،[69] ضف إلى كل ما سبق جرائم المنظمة السرية (OAS) في الجزائر،[70] ومسؤولية فرنسا عن ارتكاب جرائم حرب في حق الجزائريين على ضوء القانون الدولي،[71] كما تمت الاشارة أيضا إلى نشاطات التنظيمات الإرهابية الفرنسية إبان الثورة التحريرية.[72]

- الخاتمة

تعتبر مجلة المصادر بحق واحدة من أهم المجلات التي تناولت تاريخ الجزائر بالدراسة والتحليل من خلال التفصيل في مختلف جوانبه وتناول مختلف قضاياه، سواء منها المحطات البارزة التي نالت نصيبا من الدراسة في كتابات أخرى فأعادت دراستها من خلال طرح اشكاليات جديدة ومقاربات مختلفة، أو تلك المواضيع الدقيقة والمفصلية التي لم تحظ بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين والمهتمين بالتاريخ الوطني، وكل ذلك بهدف المساهمة في إعادة كتابة التاريخ الوطني والتعريف به وفك الغموض المحيط ببعض قضاياه، وبالتالي الوصول إلى الحلقات المفقودة منه والتي من خلالها يتم إعادة وصل أحداثه وربطها وإثبات مختلف الحقائق التاريخية التي نحن بأمس الحاجة إليها إذا ما أردنا كتابة تاريخنا بشكل صحيح يحافظ على ذاكرتنا من الضياع ويمنحنا فرصا أكبر لتسليم أمانة حفظ الوطن لأجيالنا مستقبلا.

- الهوامش

1- من أجل الحفاظ على ذاكرة الأمة، المصادر، ع**01**، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 1999.**

2- كتابة التاريخ علم وثقافة، المصادر، ع**02**، **دار القصبة، 1999م، ص09.**

3- الغالي غربي، **رؤية منهجية لكتابة التاريخ العسكري، المصادر، ع3، 1999، ص85.**

4- فيلالي السايح، مكانة الشهداء في التاريخ، **ع1، 1999، ص53.**

5- عمر سعد الله، الحملة الفرنسية على الجزائر في ظل القانون الدولي، **ع12، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2005م، ص15.**

6- أحمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهوقار **1916**، ع**11، ص111.**

7**-** عمر سعد الله، الاحتلال الفرنسي في الجزائر وانتهاكات الأعيان المدنية، **المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ع13، 2006م، ص73.**

8 - سامية أبو عمران، الأمير عبد القدر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية، ع**11**، ص**71.**

9- ابراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة، **ع1، ص101.**

10- محمد الأمين بلغيث، ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية، **المصادر، ع2، ص167.**

11- محمد مجاود، مقاومة قبائل بني عامر في عصر الأمير عبد القادر، ع**9**، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، **2004**، ص**111.**

12- الصادق دهاش، نتائج ثورة **1871**م وأبعادها ومظاهرها، ع**14**، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2006، ص15.**

13- محمد بجاوي، ثورة المقراني في منطقة باليسترو (الأخضرية حاليا) سنة **1871**، المصادر، **ع22، دار غرناطة للنشر والتوزيع 2010م، ص53.**

14- سعيدي مزيان، الانتفاضات المحلية بمنطقة القبائل مع نهاية القرن التاسع عشر (أرزقي البشير والإخوة عبدون) (**1887-1895**م)، المصادر، ع**16** ،**الكرامة للطباعة والنشر والاتصال، 2007م**، ص**11.**

15- ابراهيم مياسي، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، المصادر، ع**5**، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2001، ص111.**

16- أحمد شقرون، دور الاحتلال الاستيطاني في سياسة فرنسا في الجزائر وفي تنظيم المستعمرة، المصادر، ع**17**، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2008**، ص**99**.

17- حسين الحاج مزهورة، السياسة القمعية الفرنسية وهياكلها في الجزائر من **1871** إلى **1901**م، ع**20**، **دار غرناطة للنشر والتوزيع، 2010م، ص89.**

18- **عبد الله خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، المصادر، ع09، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، 2004م، ص129.**

19 **-** محمد بن شوش، المقاومة الثقافية في الجزائر (**1830-1870**م)، المصادر، ع**19**، **غرناطة للنشر والتوزيع، 2009م، ص47.**

20- عبد القادر خليفي، الأمير خالد بطل الجزائر، ع**5**، ص**65**.

21- **جمال قنان، الكفاح الوطني وردود فعل الاحتلال في الفترة ما بين الحربين 1919-1939، المصادر، ع13، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006م، ص15.**

22- جمال بلفردي، حول نخب الحركة الوطنية **1830-1954**م، المصادر، ع**27**، دار غرناطة للنشر والتوزيع، **2016**م، ص**107**.

23- أحمد سعيود، مساعي الحركة الوطنية الجزائرية في إعطاء البعد الدولي للقضية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى، المصادر، ع**9**، ص**151**.

24- بوعلام بلقاسمي، البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية (**1911-1937**)، المصادر، ع**07**، **المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2002، ص119.**

25- ابراهيم لونيسي، أزمة حزب الشعب الجزائري، ع**2**، ص**93**.

26- ابراهيم لونيسي، المنظمة الخاصة "l'OS" أو المخ المدبر لثورة الفاتح من نوفمبر **1954**م، المصادر، ع**6**، **المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2002، ص51.**

27- يحي بوعزيز، مكانة ثورة أول نوفمبر **54** بين الثورات العالمية ودورها، ع**4**، **2001**، ص**31**.

28- أحمد شقرون، أول نوفمبر **1954**م حرب أم ثورة، المصادر، ع**8**، **المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2003م، ص105.**

29- ابراهيم مياسي، **أوت 55: وادي سوف في خضم الملحمة، المصادر، ع2، ص117.**

30- مصلحة البحوث والتوثيق، الشمال القسنطيني: هجوم **20** أوت **1955**، المصادر، ع**3**، **دار الحكمة، 2000م، ص155.**

31- جمال يحياوي، ظروف انعقاد مؤتمر الصومام، المصادر، ع**5**، ص**127**.

32- محمد قنطاري، مظاهرات ديسمبر **1960** أسبابها - وقائعها - ونتائجها، المصادر، ع**3**، ص**27**.

33- أحسن بومالي، تصدي صحيفة المجاهد لأساليب التضليل والتعتيم والدعاية الاستعمارية، ع**22**، دار غرناطة للنشر والتوزيع، **2010**، ص**93**.

34- صالح لميش، الثورة الجزائرية في الإعلام العربي (مصر نموذجا، المصادر ،ع**10**، **ديوان المطبوعات الجامعية، 2004م**، ص**71**.

35**-** أحسن بومالي، أدوات الدبلوماسية أثناء ثورة التحرير الجزائرية، المصادر، ع**16**، **الكرامة للطباعة والنشر والاتصال، 2007م** ، ص**63**.

36- صالح بلحاج، الثورة الجزائرية والبلدان الاشتراكية (الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية)، المصادر، ع**15**، **الكرامة للطباعة والنشر والاتصال، 2007م**، ص**173**.

37- عمر بوضربة، السياسة الخارجية لجبهة التحرير الوطني اتجاه بلدان أمريكا وأوروبا الغربية (**1955-1960**)، ع**31**، كنوز الحكمة، **2023**م، ص**105**.

38- نفيسة دويدة، البعد المغاربي والافريقي للثورة الجزائرية (دراسة من خلال المواثيق الرسمية)، ع**31**، ص**171**.

39- مقلاتي عبد الله، البعد المغاربي للثورة الجزائرية ودور بلدان المغرب العربي في دعمها، المصادر، ع**14**، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2006م، ص189.**

40- مقلاتي عبد الله، الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية **1954-1956**، المصادر، ع**19**، **غرناطة للنشر والتوزيع، 2009م**، ص**171**.

41- مقلاتي عبد الله، مؤتمر طنجة المغاربي ومسألة الوحدة والتضامن مع الثورة الجزائرية، المصادر، ع**20**، **دار غرناطة للنشر والتوزيع، 2010م**، ص**13**.

42- عبد القادر حنيفي، المؤتمرات الأفرو - أسيوية والقضية الجزائرية، المصادر، ع**8**، **المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2003م**،ص**215**.

43- أحمد سعيود، القضية الجزائرية في مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية، المصادر، ع**29**، **دار غرناطة للنشر والتوزيع، 2017م**، ص**365**.

44- رضا مالك، مفاوضات إيفيان، ع**5**، ص**11**.

45- التدويل والتفاوض في وثيقتي بيان أول نوفمبر **1954** وأرضية مؤتمر الصومام **1956، المصادر، ع23، غرناطة للنشر والتوزيع، 2011م، ص81.**

46- محمد الأمين بلغيث، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، المصادر، ع**4**، **ص109.**

47- ابراهيم مياسي، الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل وبعد الاحتلال، المصادر، ع**12**، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2005**، ص**37**.

48- يحي بوعزيز، مغزى وأبعاد يوم **19** مارس، المصادر، ع**5**، **ص33.**

49- **بية نجاة،** استراتيجية الثورة في تنظيم الاتصالات السلكية واللاسلكية، ع**10**، ص**229.**

50- صالح الحاج، مخطط شال وآثاره في تطور حرب التحرير الوطني، المصادر، ع**12**، ص**183.**

51- جبلي الطاهر، عركة سوق أهراس الكبرى (**26** أفريل - **03** ماي **1958**)، ع**17**، ص**121.**

52- يمينة بشي، مأثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، المصادر، ع**3**، **ص207.**

53- أحمد عصماني، المغتربات الجزائريات بفرنسا ودورهن في ثورة التحرير الكبرى، المصادر ، ع **28** ، **دار غرناطة للنشر والتوزيع، 2016م، ص67.**

54- يمينة بشي، صور وعبر في شعر نوفمبر عن المرأة الجزائرية، المصادر، ع**5**، **ص81.**

55- عمر سعد الله، جريمة الإبادة الجماعية أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، المصادر، ع**18**، دار غرناطة للنشر والتوزيع، **2008**، ص**63**.

56- عبد القادر فكاير، التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر والمواقف الوطنية منها، المصادر، ع**15**، **ص149.**

57 - **كاظم العبودي،** التجارب النووية الفرنسية، **المصادر، ع1، ص179.**

58 - سعدي بزيان، جرائم في فرنسا ضد الشعب الجزائري، **المصادر، ع2، ص223.**

59- بشير بومعزة، الاستعمار جريمة ضد الإنسانية... جريمة حرب، المصادر، ع**3**، **ص9.**

60- قسم الدراسات، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، المصادر، **ع5، ص201.**

61- محمد الامين بلغيث، موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب، المصادر، ع**5**، ص**185**.

62.- محمد العربي ولد خليفة، فرنسا تعذب في الجزائر، المصادر، ع**05**، ص**149.**

63- محمد ياحي، سياسة التعذيب الاستعماري ابان الثورة التحريرية وتداعياتها المعاصرة، **المصادر، ع13، ص279.**

64- أحسن بو**مالي،** مراكز الموت البطيء وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمار، المصادر، ع**8**، **2003**، ص**33.**

65- مجمد شاطو، واقع المعتقلات أثناء الثورة من خلال التقارير السرية للإدارة الاستعمارية: معتقل "سان لو" نموذجا، المصادر، ع**15.**

66- خديجة بختاوي، أساليب الاستنطاق خلال الثورة الجزائرية، المصادر، ع**17**، **ص147.**

67- يوسف مناصرية، جريمة **8** ماي في مخططات الاستعمار الفرنسي، المصادر، ع**7**، **ص65.**

68- حسان مغدوري، مأساة **08** ماي **1945** بين الواقع التاريخي والادعاءات السياسية على ضوء نماذج من الارشيف، المصادر، ع**31**، **ص65.**

69- سعدي بزيان، جرائم فرنسا في **17** أكتوبر **1961** بباريس من خلال المصادر الجزائرية الفرنسية، المصادر، ع**6**، **ص395.**

70- مقنوش كريم، جرائم المنظمة السرية (OAS) في الجزائر، المصادر، ع**9**، ص**245**.

71- غربي أسامة، مسؤولية فرنسا عن ارتكاب جرائم حرب في حق الجزائريين: دراسة على ضوء القانون الدولي ، المصادر، ع**14**، **ص149.**

72- شرقي الرزقي، نشاطات التنظيمات الإرهابية الفرنسية إبان الثورة التحريرية، المصادر، ع**23**، ص**215**.

منهج الكتـابة التـاريخية عند الشيخ مبـارك الميلي
من خلال كتـابه تـاريخ الجزائر في القديم والحديث

الأستـاذ: رشيد ميـاد
جـامعة الدكتور يحي فـارس - المدية



- مقدمة

إن الحديث عن كتابة تاريخ الجزائر هو حديث عن ذاكرة وطن ضارب بجذوره في عمق التاريخ، ووصْلٌ بين حلقات الأجيال المتعاقبة، وفي نفس الوقت هو رد فعل وتصدي للمشروع الثقافي الاستعماري الذي حاول نفي وطمس وجود هذه الأمة من خلال كتابات المدرسة الاستعمارية الكولونيالية، وتشويه تاريخها وتوجيهه لخدمة الاستعمار حاضرا ومستقبلا، مع بداية القرن العشرين شهدت الجزائر تحولات حاسمة كان لها انعكاس بارز على الحياة الفكرية والأدبية، أوجدت مناخا جديدا للكتابة التاريخية حيث تولى مهمة تدوين تاريخ الجزائر نخبة من المثقفين، والذين كان لهم قدم السبق في حفظ التراث ورعاية تاريخنا وقد تحملوا في سبيل كتابته الكثير، ومن جملة هؤلاء الشيخ المؤرخ مبارك الميلي، الذي يعد من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الذين أسهموا في التصدي للمشروع الاستعماري من خلال "كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث" حيث سنتطرق في هذه الدراسة إلى سيرة الشيخ مبارك الميلي المؤرخ، الذي تصدى بعلمه وفكره للمدرسة الفرنسية الكولونيالية التي شككت في تاريخ الجزائر وعملت على تزويره، كما سنتعرض لحياته التي تميزت بالكفاح الطويل في

سبيل بعث وتحصين مقومات الشخصية الجزائرية ومنهجه في كتابة التاريخ والصعوبات التي واجهته.

1. دوافع ومميزات الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر

انطلق الفرنسيون في كتاباتهم عن تاريخ الجزائر من عدة معطيات لا تزال إلى اليوم تتحكم في كتابات المدرسة الكولونيالية الفرنسية أهمها[1]:

- دخولهم أرض الجزائر بالقوة، بدافع السيطرة والاحتلال، محاولتهم تبرير ذلك، فكانت بدايتهم بجمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتدقيقها وقد استعان الفرنسيون بالعديد من الكتاب الجزائريين مثل ما كتبه محمد بن علي التلمساني عن علماء وهران وتلمسان، وما كتبه العنتري وابن مبارك عن تاريخ قسنطينة.

- باعتبارهم شعب متحضر جاء لنشر الحضارة، والحقيقة أنها حملت معها إلى الجزائر كل أدوات الغزو الفكري، فقد جاءت بالمطبعة والصحيفة وكذا بالمترجمين وبالمستشرقين الذين يدعون معرفة الإسلام وتاريخه.

- الدافع الديني الذي يعتبر كذلك أحد أبرز منطلقات الكتابة، كونهم مسيحيين فرضوا سيطرتهم على شعب مسلم، إذ يعتبر احتلال الجزائر في حد ذاته حلقة من حلقات الحروب الصليبية، لذلك اهتموا بتاريخ الجزائر لمعرفة أسرار وخبايا المراحل السابقة التي عرفتها الجزائر.

- الفضول العلمي وهو الرغبة في الاكتشاف ومعرفة المجهول، خاصة وأن هذه الفترة عرف فيه العقل الأوربي ميول إلى المعرفة والاكتشاف.

وعليه يمكن القول أن الهدف الأساسي الذي كانت تهدف إليه الكتابات الفرنسية هو خدمة الاستعمار بالدرجة الأولى ومحاولة تبرير احتلال للجزائر، وهذا رغم تعدد وتنوع الاهتمامات واختلاف المستويات الثقافية لهؤلاء الكتاب، فمنهم من كان ينتسب إلى سلك القادة العسكريين، ومنهم من كان من العلماء المتخصصين وغيرهم.

كان للقادة العسكريين والحكام أحمد توفيق المدنيين قصب السبق في كتابة تاريخ الجزائر طيلة السنوات الخمسين الأولى من الاحتلال (**1830-1880**)، حيث تم نشر الكثير من المذكرات الشخصية والتقارير الرسمية، وتميزت الكتابات التاريخية الفرنسية في هذه الفترة بسيادة عنصر الهواية والخدمة العسكرية، كما كانت في شكل اكتشافات لِبِنْية المجتمعات القبلية في الجزائر من خلال جمع الروايات الشفوية والتقارير الرسمية والمذكرات شخصية، غير أن انعدام التخصص لدى هؤلاء العسكريين، جعل مثل هذا الإنتاج اقرب إلى الثقافة العامة منه الى التأريخ، ومن ابرز من كتب في هذه الفترة نجد: (Charles Féraud) شارل فيرو و(Ernest Mercier) ارنست مارسيي و(Georges Voisin) جورج فوازين المعروف باسم إسماعيل أوربان[2].

أما عن أساتذة الجامعات وذوي الاختصاص في مجال الدراسات فقد واصلوا الكتابة والنشر طيلة السنوات الممتدة من (**1880-1954**)، خاصة بعد تأسيس جامعة الجزائر سنة **1909**م ومعهد الدراسات الشرقية سنة **1933**م، وتلاه إنشاء معهد الأبحاث الصحراوية سنة **1940**م كما ساعدهم أكثر في الكتابة والنشر تأسيس العديد من المجلات التي تهتم بنشر الأبحاث والدراسات منها المجلة الإفريقية (Revue Africaine) سنة **1856**م التي تصدر عن الجمعية التاريخية الجزائرية، والنشرية الأثرية لمقاطعة قسنطينة سنة **1852**م التي تصدر عن جمعية قسنطينة الأثرية، ومن أشهر من الكتاب في هذه الفترة نذكر: ستيفان غزال (S. Gzell)، وغوتي (Gauthier)، واسكار (G. Esquer) واميري (M. Emerit)، وغيرهم[3].

إن هذين الفريقين من المؤرخين الفرنسيين سواء العسكريين أو المؤرخين المتخصصين قد تولوا جمعيا تزييف وتحريف تاريخ الجزائر، وفق أهداف ومنهج المدرسة التاريخية الاستعمارية، ومن أهم النقاط التي ارتكزت عليها هذه الكتابات:

- إبراز حضارة بلاد المغرب في ظل إمبراطورية روما، من خلال الإشادة بالأباطرة وعلاقتهم بالأهالي البربر، وتصويرهم على أنهم أحفاد الغاليين (بلاد الغال).

- التركيز على الروايات العربية الأسطورية التي تصور الفاتحين كسفاحين وناهبين لخيرات المجتمعات القبلية البربرية.

- إعطاء أمثلة سلبية عن بعض الهجرات والتهويل من دورها، مثل الهجرة الهلالية التي ادعت بأنها أسهمت في تخريب بلاد المغرب.[4]

وأول من قام بنشر هذه الأفكار العنصرية نذكر ارنست مرسيي (Ernest Mercier) في كتابه الأول الذي صدر سنة **1875**م تحت عنوان: "تاريخ استقرار العرب بإفريقيا الساحلية"، ثم كتابه الثاني الذي طبع سنة **1888**م بعنوان: "تاريخ إفريقيا الساحلية من الأزمنة البعيدة إلى الفتح الإسلامي"[5] بالإضافة إلى ما ذكره ستيفان غزال (S. Gzell)، في تقديمه لكتاب: "تاريخ ومؤرخو الجزائر" بقوله: (إن هذه الأخيرة أي الجزائر هي جزء اقتطع تعسفا من إفريقيا الشمالية في العهد التركي، حيث عرف حدوده الحالية تقريبا، أنها وحدة مزيفة، جعلت منها فرنسا قدر المستطاع وحدة حقيقية...)[6]، هذه هي النظرة السائدة لدى المدرسة التاريخية الفرنسية، نظرة عداء للعرب بصفة عامة و الجزائر بصفة خاصة، والتي نجدها في جل الدراسات الفرنسية حول تاريخ الجزائر.

2. المساهمة الجزائرية في كتابة تاريخ الجزائر

مع بداية القرن العشرين حدثت تحولات حاسمة سواء في الجزائر أو خارجها، أوجدت مناخا جديدا أسهم في بروز بعض الكتابات التاريخية الجزائرية التي جاءت كرد فعل على الكتابات الفرنسية، فأسهمت في التصدي لهذا للمشروع الاستعماري، الرامي إلى طمس هوية وتاريخ هذا البلد، والتي يمكن تمييزها إلى مرحلتين أساسيتين هما[7]:

- المرحلة الأولى: كانت خلال العقد الأول من القرن العشرين، والتي غلبت عليها حركة إحياء التراث ونشر المصادر التاريخية الجزائرية، من تأليف

وتراجم، ومن ابرز رواد هذه المرحلة نذكر محمد بن ابي شنب (**1869-1929**)، الذي نشر العديد من كتب التراث الجزائري مثل: "عنوان الدراية" للغبريني سنة **1910**م، و"نزهة الأنظار" للورتلاني سنة **1908**م، و"نحلة اللبيب" لابن عمار **1902**م وغيرها، بالإضافة إلى أبي القاسم الحفناوي (**1850-1942**م) الذي اصدر معجم "أعلام الجزائر" سنة **1906**م يحمل عنوان: "تعريف الخلف برجال السلف"، والذي يعد موسوعة للأعلام الجزائرية التي ساهمت في بعث تاريخ الجزائر الثقافي.

- المرحلة الثانية: تبدأ من نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، والتي توجهت نحو معالجة تاريخ الجزائر باعتباره وحدة من حيث المدى الزماني والحيز الجغرافي، واحياء ونشر تاريخ هذا البلد، ونشر الثقافة الصحيحة عن تاريخ شعوب المنطقة، ومن ثمة تكذيب فكرة انتساب الجزائر لبلاد الغال، ويمثل هذه المرحلة كل من توفيق أحمد توفيق المدني الذي ألف كتاب "تاريخ الجزائر" سنة **1932**م، وكتاب محمد عثمان باشا سنة **1938**م، عبد الرحمان الجيلالي: "كتاب تاريخ الجزائر العام" سنة **1953**م والمؤرخ الشيخ محمد مبارك الميلي الهلالي الذي ألف كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في جزئه الأول سنة **1928**م[8].

هذه الشخصية الأخيرة لعبت دورا بارزا في إرساء ووضع أسس المدرسة التاريخية الجزائرية خاصة وأنه رجل من رجال الإصلاح باعتباره من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة **1931**م، بالإضافة إلى ما قدمه في سبيل تحرير الإسلام من الخرافات والبدع، وما عرف عنه من غيرته على دينه ووطنه. وبالتالي فالشيخ مبارك الميلي صاحب المؤلَّف السابق هو أحد رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، فقد اتخذ منحى يختلف عن سابقيه، تمثل في كتابة تاريخ وطني تتمازج فيه الأحداث مع المشاعر الوطنية ، وقد تزامن تأليف الشيخ كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث في جزئه الأول مع التحضيرات الفرنسية للاحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، التي كانت تهدف إلى إرساء قناعة قويّة لدى العامة بأن الجزائر

صارت -وإلى غير رجعة- قطعة من ممتلكات فرنسا وامتداداً طبيعيا لنفوذها وسلطانها.

بالمقابل فقد عرفت الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حركة علمية قام بها جملةٌ من العلماء المصلحين من أمثال المجاوي وبن سماية وبن الموهوب وحمدان الونيسي وغيرهم، الذين كان لهم دور كبير في ظهور وانتشار الوعي الوطني، والذي تبلور بصورة جلية في الربع الأول من القرن العشرين، فقد ظهر جيل جديد من الجزائريين من أبناء جيل النهضة من أمثال ابن باديس والعقبي والإبراهيمي، هذا بالإضافة إلى جهود المقاومة السلمية المتمثلة في حركة الأمير خالد بعد الحرب العالمية الأولى (**1914-1918**م). في ظل هذه الظروف ألف مبارك الميلي كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث عندما كان يقيم بالأغواط، حيث صدر الجزء الأول منه في قسنطينة سنة **1928**م، فيما صدر الجزء الثاني سنة **1932**م.

3. مولد الشيخ مبارك الميلي ونشأته

هو الشيخ مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي لقبه ولقب أسرته براهيمي ملقب بمبارك الميلي نسبة إلى مدينة مبارك الميلية بشرق الجزائر التي ولد بها سنة **1898**م، حسب ما ذكره ابنه محمد مبارك الميلي[9] من عائلةٍ ذات غنًى ووجاهة، كفله جدّه وجدّته بعد وفاة والده منذ سن الرابعة، ووَجد في كفالة جدَّيه الحنان والتربية الحسنة[10].

بدأ تعليمه بدوار أولاد مبارك بمدينة مبارك الميلية، عكف منذ صغره -كغيره من الكثير من أبناء الجزائر في ذلك الوقت- على حفظ القرآن الكريم، حيث أتم حفظه على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود في جامع الشيخ عزوز بمسقط رأسه، في الحادية عشرة من عمره[11]، ورغم رفضِ عمِّه -الذي تولى كفالته بعد وفاة جده- تفرغه لطلب العلم، وإلزامه الالتحاق بالفلاحة والرعي، إلاّ أنه صمَّم على استكمال طريق العلم، حيث التحق بمدرسة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بمبارك الميلي ببلدة ميلة، لمواصلة مسيرة طلب العلم، ومكث هناك نحو أربع سنوات، حيثُ بدأت شخصيته العلمية تتشكل،

قبل أن يتجه إلى مدينة قسنطينة، لينضم إلى دروس الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله بالجامع الأخضر، ويُصبح من بين أكبر تلاميذه وأكثرهم انتفاعًا بعلمه، فقد كان الجامع الأخضر محطة هامَّة في حياة مبارك الميلي وأترابه من طلاب العلم، ومن هناك تم إرساله ضمن الطلبة المتفوقين إلى جامع الزيتونة بتونس، فأخذ العلم على يد أبرز علمائها الذين كان لهم الأثرُ البالغ في تكوينه العِلمي، ومنهم: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد النخلي، والشيخ البشير صفير، والصادق النيفر، وغيرهم.[12]

عُرف مبارك الميلي بسلوكه العلمي الرّزين في جامعة الزيتونة، وهو ما جعله محل تقدير من طرف شيوخه وزملائه على السواء، وقضى فيها نحو أكثر من أربع سنوات من الجد والاجتهاد تكللت بنيل شهادة العالمية سنة **1924**م التي كانت تسمَّى "شهادة التطويع"[13]. وبعد عودته إلى الجزائر انخرط الشيخ مباشرة في العمل الإصلاحي، إلى جانب إخوانه من العلماء المصلحين، كان قد استقر الشيخ للتعليم في مدينة قسنطينة، يدرس العِلم بالمدرسة الباديسية حتى **1927**، ثم دَعاه سكان مدينة الاغواط بالجنوب الجزائري للتعليم ففتح هناك مدرسة جديدة عَرفت إقبالا كبيرا ونشاطًا متناميًا، حتى أصبحَت حديثَ العام والخاص، وهو ما أثار تخوُف سلطات الاحتلال الفرنسي من آثارها على الشباب خاصة والشعب عمومًا، فمنَعَته من الاستمرار في التعلم، وأمَرَته بمغادرة المدينة بعد سنوات من النشاط المضني فيها.[14]

وهو نفس المصير الذي لقيه مِن إدارة الاحتلال الفرنسية في مدينة بوسعادة، التي طردَته منها أيضا، ليعود بعدها إلى مدينة مبارك الميلية من جديد ويؤسس فيها مسجدًا للصلاة بمعية أعيان المدينة، بعد أن أهدى أحدُهم أرضَه لعلماء الإصلاح والمناصرين له. فكان يدرس ويخطب فيه، ثم أسس هؤلاء بقيادة مبارك الميلي جمعية النادي الإسلامي، التي شكلت إزعاجا كبيرا لسلطات الاحتلال وعُملائه من الطرقيين وأعداء الإصلاح، خاصة بعدما توسع نشاطها مما أدى ببعض التقارير الفرنسية بالإقرار بأن الشيخ يقدم

تعليما حيا وواسعا[15]، وهو الأمر الذي جلب له سخط إدارة الاحتلال مرة أخرى، كغيره من دعاة الإصلاح.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ مبارك الميلي من بين مؤسِّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأحد أعضاء مجلسها الإداري فقد عُين أمينًا للمال، وانخرط في النشاط الإصلاحي عبر كلِّ منابره، فقد كان إماما خطيبا ومعلما متفانيا وصحفيّا ومؤرخا وكاتبا واداريا مخلصا، ولّما توفي رئيس الجمعية الشيخ ابن باديس كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في منفاه في آفلو جنوب غرب الجزائر، حيث انتخب -وهو في منفاه- رئيساً جديداً لهم، فاضطلع مبارك الميلي مع بقية العلماء ورجال الجمعية بمهامها والقيام بأعمالها إلى أن عاد رئيسُها المنفي إلى أعماله فكان خيرَ عون له عليها، كيف لا وقد وصف الإبراهيمي مكانته وسيرته بقوله: "وانّ لأخينا مبارك الميلي على جمعية العلماء حقوقاً فقد كان مرجعها يوم تحل لك المشكلات، وتضل الآراء، فيشرق عليها بالرأي كأنه فلق الصبح وقد كان معقلها يوم تشتبه المسالك، وتكاد الأقدام تزلّ، فيثبت على الحق كالجبل الراسي، وكان منها بحيث لا يجترئ عنها مجترئ، ولا يفتري عليها مفترٍ، إلا رمته منه بالسيف الذي لا تنبو مضاربه"[16].

ظل الشيخ يتحدى ويقاوم المرض الذي أعياه وهو في قمة عطائه العلمي ونشاطه الإصلاحي محاولا القيام ولو بأدنى الأعمال التعليمية الإصلاحية، حيث يذكر الشيخ أحمد حماني انه شاهده منهكا يوما قبل وفاته بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، قبل أن يطلب نقله إلى مبارك الميلية حيث توفى بها في التاسع من فيفري **1945**[17]، وكان لوفاته صداها في الجزائر وخارجها، وقد رَثاه الكثير من الشعراء والكتاب.

- تأليفه لكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"

خلال فترة استقرار مبارك الميلي بمدينة الاغواط (**1927-1933**م)، ألّف كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، غير أن بدايات تحضير الكتاب سبقت إقامته بالأغواط، صدر الجزء الأول من كتابه بقسنطينة سنة

1928م، فيما صدر الجزء الثاني سنة **1932**م، وقد اعترف مبارك الميلي بالصعوبات التي لازمته طوال فترة إعداده للكتاب أبرزها:

- تعدد نشاطات الشيخ بين العمل الدعوي والتعليمي والكتابة في الصحافة والإشراف على جريدة البصائر، بالإضافة إلى مسؤوليته كأمين مال لجمعية العلماء المسلمين، وقد أشار لذلك بالمرجع نفسه في قوله: (وقد قاسيت في تصحيح الأعلام وجمع المواد وايضاح الأعراض التاريخية وتقريب الأسلوب من المنهج العصري ما لا يعلمه إلا من عمل عملي)[18].

- التضييق الذي كان يتعرض له دعاة الإصلاح من طرف السلطات الاستعمارية ومنهم الشيخ مبارك الميلي في محاولة لخنق صوته وهو ما حدث له في مسقط رأسه بمبارك الميلية وفي الاغواط وبوسعادة، كما أن تأليفه لكتاب رسالة الشرك ومظاهره الذي قوبل برفض شديد من قِبَل الكثيرين من شيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم، خاصة الطريقتين التيجانيّة والعلويّة، هذه الأخيرة التي تهجمت على الكتاب ومؤلفه بصفة خاصة وجمعية العلماء ودعاة الإصلاح بصفة عامة، حيث نُشِرَت رسالةٌ لأحد أتباع الطريقة في صحيفة "لسان الدين" والتي جاء فيها: (... لقد اطلعت على الكتاب المسمّى بالشرك ومظاهره لمؤلفه الشيخ مبارك الميلي، ولقد عرَّفتني صورةُ ذلك الكتاب ما تقاسيه الأمة الجزائرية من المحن والبلايا من جماعة الإصلاح... وقد حوى الكتابُ جملةً من التمويهات والأضاليل وفساد العقائد، وبالجملة فقد دَسَّ الشيخُ مبارك الميلي في هذا الكتاب ما لم يَدُسُّه إبليسُ في ثلاثة عشر قرناً)[19].

- عدم تمكنه من اللغة بالفرنسية جلب له صعوبات جمة في مجال ترجمة بعض ما كتب بالفرنسية حول تاريخ الجزائر، ولذلك فقد استعان بأصدقائه ممن كانوا يحسنون الفرنسية، وهو ما يؤكده توفيق أحمد توفيق المدني بقوله: "وكان رحمه الله في هذه الأثناء (**1931**) ينهمك في انجاز مآثره الخالدة (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)، وقد جمع له أهم المصادر العربية ، فتعهدت له بأن اجمع له أهم المصادر الفرنسية، وأن أقدم له مترجما إلى العربية ما يهمه من ذلك، وانكب كل منا على عمله، منقطعا له

انقطاع الناسكين، واذ تم تعريب أهم الأبواب، واغلب الفصول من مختلف الكتب التاريخية الفرنسية، قدم العاصمة رحمه الله خصيصا من اجل ذلك).[20]

- قلة المادة التاريخية المكتوبة بالعربية والتي تناولتها الأقلام الفرنسية (المترجمون والعسكريون) والتي كان القصد منها تشويه وتزوير تاريخ الجزائر وتبرير وجودهم في هذه الأرض.

- أوضاعه الصحية الصعبة التي أثرت على نشاطه العلمي حيث وافته المنية قبل أن يكمل الجزء الأخير من كتابه.

5. منهجه في الكتابة التاريخية

قبل الحديث عن منهج الشيخ في كتابة التاريخ ينبغي الإشارة إلى أن عصر مبارك الميلي افتقد لمدارس التاريخ وبالتالي ابتعاده من المنهج الأكاديمي، غير أن هذا لا يعني أن الكتابة التاريخية عند الرجل تخل تماما من المنهجية، إذ يمكننا التنويه ببعض النقاط المنهجية الواردة في مؤلفه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"[21]

- من خلال عنوان الكتاب: تاريخ الجزائر في القديم والحديث نجد أنه جمع واعتمد قاعدة الكل فالجزء أو ما يعرف بالتاريخ العام وهو نفس المنهج الذي اعتمدته العديد من المدارس الأكاديمية التاريخية في العالم مثل الاتحاد السوفياتي سابقا على يد بتروفسكي، والولايات الأمريكية المتحدة على يد شارل بيرد اوستن.

- اعتماده أسلوب الاستقراء نظرا لزخم الأحداث واختلاف طبيعتها وبعدها الزمني من خلال التحري والتمحيص، وهو ما يؤكده توفيق أحمد توفيق المدني بقوله: (... وقضينا عشرين يوما في عمل مستمر، لا ينقطع إلا الفترات القصيرة، ونحن نقابل بين نص ونص، ونحكم مختلف الكتب فيما يتراءى لنا من تناقض أو اختلاف بين مؤرخي الشرق ومؤرخي الغرب، وننهمك في عمليات حسابية طويلة، كي ندقق تاريخا أو نوفق في شأن الحادثة الواحدة ،بين ما يرويه هذا ويقصه ذاك)[22].

- التحكم الجيد في البناء الزمني حيث اتصف الكتاب بتسلسل الأحداث ومحاولة الربط بينها وهو واضح من خلال أبواب وفصول الكتاب.

- الابتعاد عن الأحكام المطلقة في تناوله لنتائج الأحداث حيث اكتفى بالإدلاء ببعض الآراء بعيدا عن روح النقد، لكن هذا لم يمنعه من توجيه اتهامات لمعاصريه من المؤرخين عندما يتهمهم بتحريف الحقائق التاريخية بسبب تعصبهم العرقي والوطني وحب التفوق واستعباد الغير وجهلهم بالمصادر التاريخية الصحيحة.[23]

6. أهداف الكتابة التاريخية عند مبارك الميلي

تطرق مبارك الميلي في مقدمته لعلم التاريخ و نظرته له، فقد اعتبره مرآة الغابر ومرقاة الحاضر فهو دليل وجود الأمم وديوان عزها ومبعث شعورها وسبيل اتحادها وسلم رقيها، ويضيف انه الوسيلة الممكنة لإدراك الماضي الشريف بعيدا عن عبث المدلسين[24]، وعليه يمكن استخلاص مجموعة من الأهداف التي حرص مبارك الميلي على تحقيقها من وراء الكتابة التاريخية يشترك فيها مع العديد ممن كتب في تلك الفترة التاريخية، وهي الحقيقة صفات ميزت الكتابات الجزائرية منها:

- أنها كانت تهدف إلى تحريك الهمم وبعث الشعور الوطني في نفوس الناشئة وابطال أسطورة الجزائر الفرنسية.

- استعمال الكتابة التاريخية لمحاربة النظام السياسي الاستعماري وتنمية الشعور بالقضية الوطنية والأمة الجزائرية.

- محاربة ظاهرة النسيان بتجديد الذاكرة الجزائرية.

- تحسيس الجزائريين بدور وأهمية الكتابة التاريخية والتصدي للمدرسة الفرنسية الكولونيالية التي شككت في التاريخ الجزائري.

شهادات حول الكاتب وكتابه:

قوبل مؤلف مبارك الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث بفخر واعتزاز من رواد الحركة الإصلاحية وهذه بعض الشهادات حول الشيخ

المؤرخ ومؤلفه، أهمها شهادة ابن باديس رحمه الله بعدما اطلع على الجزء الأول من كتابه تاريخ الجزائر، وقد أبدى سروره به، فأرسل إلى الشيخ مبارك الميلي يهنئه قائلا: (... وقفت على الجزء الأول من كتابك تاريخ الجزائر في القديم والحديث، فقلت لو سميته حياة الجزائر، لكان بذلك خليقا، فهو أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة سوية تامة، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك... إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جمعيا، فكيف بمن أحيا أمة كاملة، أحيا ماضيها وحاضرها... فليس -والله- كفاء عمله أن تشكره الأفراد، ولكن كفاءها أن تشكره الأجيال ...)[25] وقد أبدى الأمير شكيب ارسلان إعجابه بكتاب الشيخ، فقال في رسالة إلى الشيخ الطيب العقبي (... وأما تاريخ الجزائر فو الله ما كنت أظن أن في الجزائر من يفري مثل هذا الفري...).

كما أن صدور الكتاب كان له صدى واسع في الصحافة التونسية، حيث رأت فيه بادرة تحول في خطة رجال الجمعية، واعتبرته من المؤلفات الجليلة التي جاءت في زمانها، لا لتسد النقص الذي تشكو منه المكتبة الجزائرية فحسب، وانما اعتبرته ضربا من ضروب المقاومة، وتصويبا للأخطاء والمغالطات التي دستها الكتابات الأجنبية في شكل خطة مبيته لتشويه تاريخ الجزائر واعتبرت الصحافة التونسية صدور الكتاب بداية نهضة حقيقية قائلة: (نهضت الجزائر نهضة مباركة منذ سنوات قليلة، وشعرت بأن الخطوة الأولى في سبيل النهوض لابد أن تعتمد على الأدب الذي هو قوام الروح وغذاء الفكر والدافع الأقوى إلى المشي نحو الأمام).[26]

وقال عنه الأستاذ أحمد توفيق أحمد توفيق المدني: "... وأقسم إنني ما عملت مع احد عملاً أحب إلىّ، وأمتع لنفسي -إذا استثنيت سني الجهاد ضمن الحزب الدستوري التونسي- من عملي ذلك، خلال تلك الفترة القصيرة، إلى جانب مبارك الميلي، ولقد رأيت فيه يومئذ خلالا جعلته في نظري أنموذج المؤرخ الصادق، وهذه شهادة أؤديها للمعاصرين وللأجيال: الصبر على البحث، وغلوا في التحقيق والتدقيق، ومهارة منقطعة النظير في المقابلة بين النصوص ونظرة صائبة في استجلاء الغوامض، وحكم صادق في أسباب

الحوادث ونتائجها، ومهارة في الترتيب والتبويب، وحسن سباك يجعل التاريخ كله كالسلسلة المفرغة... فمبارك الميلي سلك في تدوين تاريخه مسلك التحليل العصري، فلم يكن يكتفي باستجلاء الحقائق، واثباتها مجردة، بل كان يمعن النظر في الأسباب والنتائج، ويثبت أحكاما هي عصارة فكره، وخلاصة رأيه ونتيجة بحثه واستقرائه... فتاريخ الجزائر في القديم والحديث لم يكن من تلك الكتب الجافة الجامدة، المملة المضنية، بل كان إلى جانب التحقيق التاريخي كتابا طريفا حيا، تتراءي لك فيه شخصية مؤلفة العظيمة، فإذا بها شخصية هائلة جسيمة، هي شخصية الوطني الصادق، شخصية المسلم الصحيح، شخصية العربي المتفاني في سبيل عروبته، شخصية الرجل المثالي الذي يدأب سعيّا لإدراك غايته، والبلوغ بأمته، إلى ذروة المجد والعزة والكرامة".[27]

وقال عنه فارس البيان الشيخ البشير الإبراهيمي "... حياة كلها جِدّ وعمل، وحَيٌّ كله فكر وعلم، وعمره كله درس وتحصيل، وشابّ كله تلقّ واستفادة، وكهولة كلها إنتاج وافادة، ونَفْس كلها ضمير وواجب، وروح كلها ذكاء وعقل، وعقل كله رأي وبصيرة، وبصيرة كلها نور واشراق، ومجموعة خلال سديدة وأعمال مفيدة، قلَّ أن اجتمعت في رجل من رجال النهضة، فإذا اجتمعت هيَّأت لصاحبها مكانه في قيادة الجيل، ومهدت له مقرعة في زعامة النهضة... ذلكم مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر، وفقدته المحافل الإصلاحيّة ففقدت مؤرخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وانارة جوانبه المظلمة، ووصل عراه المنفصمة..."[28].

واختم بما قاله الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله في حديثه[29] عن دوافع كتابة مبارك الميلي في قوله: "... ومن يقرأ مقدمات كتابه، سيجده مركزا كثيرا على ذلك الدافع، ونعني به الجهل بالتاريخ الوطني، مضافا إليه التنكر له أيضا والقدح فيه، وفي اعتقادنا أن مبارك الميلي كتب تاريخا هو في الواقع درس في السياسة والوطنية وجزء من مهمته كمرشد وواعظ ومدرس في مدرسة الإصلاح، ويبدوا لنا ان الذين تلقوا عليه دروس العامة كانوا أيضا يتلقون عليه دروس الوطنية، لان أفكاره في دروسه هي أفكاره في كتابه"[30].

- الخاتمة

في الأخير نستطيع القول أن الشيخ مبارك الميلي دخل الكتابة التاريخية بتأليفه كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث من زاوية الهواية التاريخية، إلا انه أدى الهدف الذي رسمه وهو خدمة الوطن واللغة العربية، فكان تأليفه وسيلة من وسائل النضال الوطني دافع من خلاله عن شعب سلبت أرضه، وفي نفس الوقت رافع عن الوطن في قضايا ماضيه وحقائقه ومصيره، وكشف عمليا الاحتيال الكولونيالي وادعاءاته وأكاذيبه، وهو أيضا دعوة للأمم والشعوب، للشهادة على كيفية استغلال فرنسا بكتابها ومُغامريها ومؤرخيها وعسكرييها، مستغلين ضعف الجزائريين وجهلهم، لاستعبادهم وامتهان كرامتهم وطمس ماضيهم، واستكمال مهمة الإبادة الجماعية بالتصفية الجسدية، والتطهير العرقي التي قادتها آلة القتل الفرنسية من جهة، بالإبادة الحضارية الدينية واللغوية من جهة أخرى... عبر تشويه الحقائق واختراع تاريخ بديل للجزائر والجزائريين، فكان كتاب الشيخ وثيقةَ الحجة على كل ذلك.

- الهوامش

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج**1**، دار المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، **2009**، ص ص**17**، **18**.

2- أنظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط**1**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **2000**، ص**10**.

3- المرجع نقسه، ص**11**.

4- علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، ع**3**، ديسمبر **2008**، ص**94**.

5 - المرجع نقسه.

6 - أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج**1**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط**1**، **2013**، ص**325**.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص**13**، **14**.

8- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص**325**

9- محمد علي دبوز، أعلام الاصلاح في الجزائر **1921-1975**، مطبعة البعث، قسنطينة، ط**1**، ج**3**، ص**31**.

10- المرجع نقسه، ص**32**.

11- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**7**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **1998**، ص**409**.

12- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط**1**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، **1982**، ص ص**474**، **475**.

13- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مج**2**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، **1984**، ص**14**.

14- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص**412**.

15- المرجع نقسه، ص**413**.

16- أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، ج**3**، ط**1**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **1997**، ص**575**.

17- أحمد حماني، المرجع السابق، ص ص**17**، **18**.

18- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج**1**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص**13**.

19- مجلة الرؤية، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، السنة الأولى، ع**2**، ص**142**.

20 - أحمد توفيق المدني، مبارك الميلي مؤرخ الجزائر، البصائر، **01** مارس **1948**.

21- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص**330**.

22- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

23- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص**100**.

24- مبارك الميلي، المرجع السابق.

25- المرجع نقسه، ص ص**7**، **9**.

26- محمد الصالح الجابري، المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ع**102**، ص**21**.

27- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

28- أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، ج**2**، ط**1**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **1997**، ص**183**.

29- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**7**، ط**1**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **1998**، ص ص**305**، **306**.

نظرة بعض المؤرخين الجزائريين للكتـابات التـاريخية المتعلقة بالجزائر

الأستـاذ: مختار هواري
جـامعة بـاتنة 1 - الحـاج لخضر



- مقدمة

يحظى التاريخ بأهمية بالغة في النفوس البشرية، فهو بلا شك جزء من ماضيها الفردي والجمعي، فيتعلق المرء به ويرغب في معرفته وهذا ما نراه اليوم مع الثورة المعلوماتية والوسائط الاجتماعية بمختلف تسمياتها، إذ تعد المادة التاريخية من أكثر المواضيع تداولا، ولكن علينا أن نفرق بين المؤرخ وبين من يكتب التاريخ، فليس كل من يكتب التاريخ يعد مؤرخا كما يعتقد البعض، فالمؤرخ كما يراه ابن خلدون لابد أن تكون لديه حصيلة واسعة من المعارف، ويجب أن تتوفر فيه شروطا وصفاتا فقال فيها: "يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة، وطبيعة الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع، والعصور في السير والأخلاق، والعوائد، والنحل والمذاهب، وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، وتعليل المتفق والمختلف والقيام على القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث، واقفا على أصول كل خبر" (سامعي، **2013-2014**، **53**)، فالتاريخ علم له منهجه فيقول سينوبوس: "التاريخ علم ما في ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة علم على كل مجموعة من المعارف المحصلة عن طريق منهج وثيق للبحث في الوقائع" لذلك يجب مراعاة هذه الاعتبارات في الكتابة التاريخية.

فالتاريخ بذلك يُعد اسمنت الأمم؛ بفضله تتعزز لحمة الأمة، وبه تتحطم الأمم إذ شعرت بالدونية وبعقدة النقص، فتتحطم نفسيا، فالتاريخ

يعتبره الفيلسوف شوبنهاور بمثابة العقل للأفراد، ويصفه مولود قاسم بدوره فيقول: "التاريخ ليس علم نبات، وليس بيولوجيا، ليس تشريح ضفدعة، التاريخ إيديولوجيا، التاريخ مفاهيم وصيغ، متصل عميق الاتصال بذكريات الشعب، بروح الأمة، بدينها، وحياة مجتمعها، أية أمة كانت وأي شعب كان وأي مجتمع في الأرض. وكذلك هو الاسمنت الروحي لا يقل عن الدين لأنه يضم الدين وكل شيء والأخلاق ويضم حياة الأمة، في مجموع عناصرها ومكوناتها بعقلها وعواطفها وآلامها وآمالها" (نايت بلقاسم، **21**، **1986**) لذلك فالتاريخ مهم جدا لحاضرنا ومستقبلنا، فحري بنا أن نتساءل؛ ماذا كتبنا من تاريخ وطننا الجزائري؟ وكيف نظر بعض المؤرخين الجزائريين إلي ما كتبنا؟ ولأن تاريخنا قديم قدم البشرية، لا كما يحاول البعض أن يجعله مرتبطا بالفترات المتأخرة لأهداف دنيئة، لذلك سأقدم في هذه الورقة البحثية نظرة بعض المؤرخين الجزائريين ونظرتهم للكتابات التاريخية حول الجزائر، وأركز على نظرة بعض المؤرخين الجزائريين حول الكتابات الجزائرية بالخصوص وأختار من كل فترة نموذجا.

1- الكتابات التاريخية حول التاريخ القديم: يعتبر تاريخ الجزائر القديم أهم المراحل التاريخية، ويجب علينا أن نتعامل معه بأكثر أهمية من التاريخ المعاصر، فإذا كان ولاؤنا لهذه الرقعة الجغرافية يجب أن لا نقدح أنفسنا بأننا أمة فتية اعتقادا منا بحيوية الشباب على حد قول المرحوم نايت بلقاسم... فالأمم هي التي لها تاريخ عريق متراكم، فكيف بنا أن نفتخر بأن الدولة الجزائرية وليدة **1962**، ونقول مثلا استقلال الجزائر بدل استعادة السيادة الوطنية، فتاريخ الجزائر يعود لفترات متقدمة في تاريخ البشرية انسان مشتى العربي وتغنيف. ومخلفات الانسان الحجري شاهدة على ذلك... (نايت بلقاسم، **1986**، **26**)، وقد كتب عدد من المؤرخين حول هذه الفترة ولهم نظرة حول التاريخ القديم للجزائر.

فيرى مثلا المرحوم المؤرخ محمد الصغير غانم ضرورة إعادة النظر في كتابة تاريخ الجزائر القديم، فهو يرى أن دراسة معالمه ليست ناضجة، وتحتاج لبحوث جادة مع ضرورة توحيد وجهات نظر المختصين حتى يتم التوصل إلى ربط حلقات الانتقال من عصر لآخر بصفة تدريجية، محليا دون

ربط ذلك بأحداث عالمية طارئة كانت هي السبب في هذا السياق (غانم، **1983**، **159**) لذلك يدعو إلى ضرورة دراسة الحضارات الحجرية التي تم العثور عليها في بلاد المغرب القديم والتطورات التي توالت عليها منذ العصر الحجري القديم الأسفل، وربط ذلك كله عن طريق الأبحاث الأثرية بالفترة التاريخية في المنطقة مع التركيز على فترة فجر التاريخ، لأن في نظره هي الحلقة الضائعة في ربط فترة ما قبل التاريخ بالفترة التاريخية في بلادنا، ويعتقد بضرورة تغير المنهج الكلاسيكي المتبع في التأريخ لبلاد المغرب، والمتأثر في حد كبير بدراسة حضارة البحر المتوسط، لا سيما الإغريقية والرومانية، ويرى بضرورة أخذ دور الصحراء والمسالك المائية النهرية الأخرى في ربط الحضارة المغربية بالإفريقية، مثل ضرورة إيجاد علاقة بين رسوم الكبش المغربي الذي عثر عليه في الأغواط والجنوب الوهراني وبين عبادة الكبش آمون رع في الرسوم المصرية ولماذا تربط الرسوم برسوم كهوف النواميرا في شمال شرقي اسبانيا (غانم، **1983**، **160**) وهو بذلك يدافع ويبحث على العلاقة مع الشرق ولا يريد أن يربطها مع الشمال.

أما الأستاذ الدكتور محمد العربي عقون الذي يتبنى فكرة المحلي لا فكرة التبعية حيث يعتبر الهضبة الصحراوية (الطاسيلي نجر) هي المنشأ الأول لمجتمع الشمال الإفريقي القديم، ويعتبر أولئك النيوليتين الطاسيلي هم أسلاف الشعوب المغاربية، ويتعجب من طرح سؤال من أين جاء قدماء الشمال الافريقي (أسلاف الأمازيغ) لأن هذا السؤال يجعلهم مهاجرين إلى هذه البلاد وليس شعبها الأصيل (عقون، **2015**، **22**) ولا يساير أسطورة الشرق مهد البشرية وقصة افريقش للترويج للأصول اليمنية، كما أنه يرى أن قرطاج لعبت دور المعرقل لوحدة الشعوب الأمازيغية من خلال سياسة التحالف والتحالف المضاد التي أشعلت الحرب بين سيفاكس وماسينيسا وجاء بعده الرومان الذين زرعوا بذور التفرقة بين نوميديا وموريطانيا منذ حادثة الغدر بالملك يوغرطة (عقون، **2015**، **22**).

كما أنه يعتبر النزعة القائلة بالأصول الأوربية هي نظريات استباح واستلحاق تعود جذورها لمؤرخين اغريق مثل هيكاتوس، وهيرودوت ثم أحياها روزي، برتولون. وهو يرى ضرورة تحري الاستقلالية والأصالة في

أعمالنا الأكاديمية حتى لا يكون منا من يستمر في السير على ذات النهج الذي خطه الأجانب، وبدون ذلك سنظل نكتب عن الجزائر كإقليم في خدمة مركز بعيد في إحدى عواصم الشمال أو الشرق إلى حد الاستيلاب والفصام (عقون ، **2014**،).

ويرى بدوره المؤرخ محمد الصغير غانم أن إسقاط الأحداث الإغريقية والرومانية على بقية العالم رغم أنها لا تصلح لشعوب مناطق الضفة الجنوبية مُجانب للوقائع، وكذلك تدوين مؤرخيهم للأحداث التي كانت سابقة عليهم في الزمان والمكان مُجانب أيضا للحقيقة؛ فهيرودوت عاش في القرن الخامس قبل الميلاد يصف بلاد المغرب في بداية الألف الأول قبل الميلاد دون أن يشير إلى المصادر التي اعتمدها مع جهله للهجات ولغات الشعوب التي كتب عنها، ويدافع عن الفينيقيين والقرطاجيين ويرى أن المؤرخين الاغريق والرومان معادين لهم لأنهم ينافسوهم سياسيا واقتصاديا (غانم، **1983**، **162**).

ولإعادة كتابة تاريخ هذه الفترة يقترح المرحوم محمد الصغير غانم ضرورة جمع النصوص القديمة من أمهات الكتب بلغتها الأصلية البونية، والليبية، والاغريقية واللاتينية ثم ترجمتها للغة العربية مباشرة ومقارنتها بما ترجم في اللغات الأخرى والاهتمام بدراسة الاثار والنقوش السابقة للفترة الرومانية خاصة النقوش الليبية والبونية في الرسوم الصخرية التي انتهجها الانسان الجزائري القديم (غانم، **1983**، **161**) ويضيف البروفيسور محمد العربي عقون الى ضرورة الأخذ بعلم التوبونيميا (Toponymie) خاصة أن معظم الدارسين لا ينتبهون لذلك، كما يشير إلى مسألة هامة بأن تعمير المنطقة كانت في المراحل المبكرة ويعطي مثالا عن إنسان جبل أرجود وإنسان المشتى (Mechteide) (عقون، **2015**، **16**).

ويبدو أن الدارسين لهذه الفترة منقسمون بين المتأثرين بالدراسات الغربية، والذين يتوجهون نحو فكرة الانتماء للبعد المتوسطي وطائفة أخرى تتبنى البعد الشرقي، وطائفة يمكن أن نعتبرها تتبنى الرواية المحلية رغم أنها تعوزها المصادر المكتوبة بسبب طبيعة الثقافة الشفوية المحلية ومعظم مصادر تاريخنا كتب من مؤرخي الشمال أو الشرق بما فيها من محاولات

الطمس والاستقطاب، ولأن التاريخ القديم يطرح اليوم أكثر مما سبق نقاشا حادا تستغله بعض الأطراف لإثارة العصبيات والتي تفطنت لها السلطات بأن فرضت عناصر الهوية الوطنية (الامازيغية والعربية والإسلام) إذ الواجب على المؤرخين الجزائريين اعتمادها كغاية وإيديولوجية لتاريخ وطني يعزز اللحمة الوطنية ورحم الله مولود قاسم الذي نبهنا منذ عشرات السنين إلى خطورة الوضع فقال: "لا ينبغي ألا يكون الاستخفاف بالأمور إلى هذا الحد يا جماعة، إذا بدأنا هكذا نجزئ تاريخنا، فبعضنا يقول باسم الإسلام: "إن الفترة النوميدية هذه جاهلية، اذن لا نعترف بها وغير تاريخية، وبعدها الفترة الإسلامية بمختلف عهودها بما فيها العهد العثماني، فتأتي جماعة وتقول هذه الفترة كذلك لا نعترف بها لأنها غزو واحتلال وسيطرة" (نايت بلقاسم، **1985**، **17**)، وينبهنا إلى مسألة مهمة بأن التاريخ هو أساس الإيديولوجيات كلها وليس بما يشاع بمصطلحات الموضوعية والعلمية والنزاهة، والحياد والتجرد وغير ذلك مما يدّعُون (نايت بلقاسم، **1985**، **18**) خاصة نخبة المثقفين الذين درسوا في الجامعات الأوربية وأصبحوا باسم الموضوعية يتنصلون من الدفاع عن مصالحهم ومصالح شعوبهم، ويتلذذون بجلد أنفسهم إرضاء لما يعتقدونه منهج الكتابة التاريخية ولا يعلمون أن الإيديولوجية الرئيسية الأولى ،في أي بلد هي التاريخ كما قالها مارك فيرو في كتابه، كيف نعلم الأطفال التاريخ؟ (نايت بلقاسم، **1985**، **20**)

2- الكتابات التاريخية تاريخ الفترة الحديثة والمعاصرة بالجزائر: يصادف الدارس للفترة العثمانية بالجزائر والفترة المعاصرة وجود كتابات جزائرية مسايرة لأطروحة المدرسة الأوربية التي كانت ترى في تاريخنا شكلا من أشكال الهيمنة والاستعمار، وبين من يراها فترة قيام دولة جزائرية متكاملة الأركان، وأن التبعية لا تعدو أن تكون في إطار التضامن الإسلامي ولعل من بين أهم المؤرخين الذين يمكن أن يفيدنا في تقييم الفترة العثمانية المؤرخ نصر الدين سعيدوني.

يسجل المؤرخ سعيدوني مآخذ ومزالق عن الكتابات التاريخية ، لأنها صادرة عن حسن نية أو راجعا إلى التناول العام والفهم السطحي لقضايا التاريخ، لكن بعضها لهدف محدد وخطة مدروسة وأفكار مسبقة والهدف

منها إضعاف الوعي القومي بماضينا، فاعتبار كل الحقب التي مرت بها الجزائر نوعا من السيطرة الأجنبية وصنفا من الاستعمار، يجعل من التاريخ الجزائري سلسلة متتابعة ومتصلة مع الاستعمار وجاهلا للمساهمة الفعالة للجزائريين ودون اعتبار لفنهم المحلي ونظريتهم الخاصة في الحياة (سعيدوني، **1986**، **41-42**) إن هذا الاتجاه كان قد كُرس حتى في الكتب المدرسية وبذلك سيؤدي إلى تشكيل جيل مهلل مشكك في هويته، فقد ذكر مولود قاسم أن البرنامج الأول للسنة الدراسية في خريف **1963** كانت محاوره: العهد الروماني، ثم الغزو العربي، ثم السيطرة التركية ثم وصول الفرنسيين (نايت بلقاسم، **1985**، **13**) ويردف قائلا صحيح أن هذه الفترة كان فيها متعاونون أجانب وربما هم من وضعوا المنهاج لكن هذا لا يعفينا من المسؤولية.

إن تبنينا لمفاهيم إيديولوجية ونظريات منهجية لا تعبر عن ميول الشعب الجزائري ولا تتماشى مع واقع الأحداث التي عاشها، لأننا نعاني عقدة الاستلاب لكوننا نعتمد اعتمادا شاملا على المصادر الغربية ونهمل المراجع الوطنية على قلتها (سعيدوني، **1986**، **46**) وبذلك نتناول تاريخنا بشكل سطحي وإجمالي فنعتبر أحداثه مجرد خطوط عامة وتسلسل كرنولوجي وبالتالي نصل إلى النتائج قبل التعرف عن الأسباب وطبيعة الأحداث دون التعرف على تفاصيلها، ويزداد الأمر سوء حينما يقف بعض مؤرخينا موقفا سلبيا من الماضي بدعوى المنهجية والموضوعية والبحث عن الحقيقة، فيكتفي بجمع المادة وترتيبها وصياغتها وعرضها عرضا بسيطا للقارئ (سعيدوني، **1986**، **48-49**) لذلك فالمسؤولية تقع علينا جميعا وخاصة على الأساتذة الجامعيين بالدرجة الأولى، لأننا وقفنا نتفرج على الصيغ الخاطئة من تحريف تاريخنا وتزييف ماضينا (نايت بلقاسم، **1985**، **18**) فقد استغل كثير من المتسلقين وغير المتخصصين المشهد بفضل الفراغ الذي تركه أهل الاختصاص، ولا نجد من المؤرخين ثقافة الرد، لوضع أولئك الهواة عند حدودهم، فأصبحوا ينفثون سمومهم في أذهان الناشئة بحثا عن الأحداث الصادمة وغير المألوفة بعيدا عن سياقاتها وظروفها.

3- نظرة بعض المؤرخين الجزائريين للمدرسة التاريخية:

يسمع المتتبع للشأن التاريخي تداول كلمة المدرسة التاريخية الجزائرية، خاصة في وسائل الإعلام، ولربما هذا التوصيف فيه شيء من المغالاة، فالمدرسة التاريخية لتكون كاملة الأركان يجب أن تمر بمرحلة التراكم إلى مرحلة الغربلة والتدقيق، ثم التركيب وهذا لا يتأتى إلا بوجود ما يسمى بفلسفة التاريخ، أي مدرسة نقدية يضع لها المختصون معالم مميزة تأخذ بعين الاعتبار غايات أمتها، كما فعلت المدرسة الألمانية، أو الانجلوسكسونية وغيرهما، فالتاريخ ليس مجرد شهادات ومذكرات وليس مجرد تراكم للوثائق، فالتاريخ عملية بناء تسمح بالخروج من دائرة التوثيق إلى دائرة إعادة التشكيل وذلك من خلال جهد المؤرخ في المقارنة والمطابقة والنقد والترتيب والبحث عن التداخلات المختلفة بين الأحداث الواردة باستنطاق المقروء والبحث عن المسكوت (بوبيدي، **185-186**) والاستعانة بالعلوم المساعدة لإعادة رسم المشهد في سياقه وظروفه حتى نحاول التقرب من الحقيقة، لذلك تمر الصياغة التاريخية بأمور معقدة، تبدأ من تصفيف الوثيقة، ومعرفة مدى صدقها، باعتماد النقد الباطني والنقد الخارجي بعملياته المعقدة وصولا إلى مقارنة المصادر المختلفة والمتباينة ايديولوجيا ومنهجيا حتى يخرج المؤرخ بتصور شامل لكل الآراء تمكنه من رسم المشهد بناء على منهجه وسعة معرفته، لذلك فالمؤرخ يجب أن يمتلك ملكات متعددة حتى يصل لمرحلة الفلسفة التاريخية التي هي أساس المدرسة التاريخية.

لذلك استبعد معظم المؤرخين الجزائريين وجود مدرسة تاريخية جزائرية، فأبو القاسم سعد الله مثلا لا يرى وجود مدرسة تاريخية جزائرية، بل هي مجرد رد فعل على المدرسة الفرنسية الموجهة للجزائر، وردود الفعل لا تؤسس لمدرسة تاريخية جزائرية (وزناجي، **2007**، **149**)، ويرى المؤرخ نصرالدين سعيدوني أن المساهمات التاريخية هي في الواقع بعيدة عن مفهوم التيارات الفكرية، ودون مستوى المدارس التاريخية بالمعنى الأكاديمي (سعيدوني، **2009**، **16**) ويرى أن الإنتاج التاريخي الجزائري سواء كان باللغة العربية أو باللغة الفرنسية هي محاولة لتناول قضايا التاريخ الجزائري من خلال نظرة يمكن أن توصف بأنها أكثر اعتدالا

وأقرب للحياد، لكن لم نصل لحد إرساء مدرسة تاريخية جزائرية محايدة في أحكامها ،منهجية في أسلوبها، موضوعية في تقييمها، عدا بعض المؤرخين الذين فرضوا أنفسهم بمستواهم العلمي والأكاديمي المتميز (سعيدوني، **2009، 22**).

فلتتكون المدرسة التاريخية يقتضي تجذر التقاليد العلمية في الوسط البحثي، وتوفر المؤسسات الوطنية ومراكز البحث المؤطرة للبحث التاريخي، وتوفير الجو المناسب للمؤرخ للوصول للمادة الأرشيفية، وتحسين ظروفه الاقتصادية والاجتماعية وتشجيع الدراسات التاريخية وخلق حوافز مساعدة على الإبداع ليكون التاريخ فهما وتفاعلا وتجاوز الواقع المثبط. ويتصور أبو القاسم سعد الله أن ظهور المدرسة التاريخية مرتبط بعدة شروط منها: الباحث الكفء، والمنهج العلمي، والدخول إلى الوثيقة بحرية، والمناخ الحر الذي يتقبل النقد البناء بصدر رحب ويرد عليه إذا أراد (وزناجي، **2007، 149**). ويقترح نصر الدين سعيدوني لترقية الكتابة التاريخية الاتجاه إلى العمل المنهجي الموضوعي المعتمد على مفهوم التاريخ التحليلي الاستفساري والاستنتاجي والابتعاد عن التاريخ الروائي والذي يكتفي بتسجيل حياة الحكام وذكر الحروب دون الاهتمام بقضايا المجتمع، لذلك يدعو إلى تحديد الأهداف ومجالات البحث التي نسعى لتغطيتها ومعالجتها والتي تبعدنا على التاريخ الكمي الإحصائي نحو التاريخ النوعي (سعيدوني، **2009، 48، 49**).

ويبدو أبو القاسم سعد الله أكثر شططا من واقع الكتابات التاريخية فيقول: "أن هناك كتابات تاريخية من أطراف مختلفة تكتب التاريخ بمفهومها ووسائلها، ولكن جميعها أو أغلبها على الأقل تفتقر إلى معايير البحث التاريخي"، ويقدم دليلا عن غياب الدراسات التاريخية من البحاثة الجزائريين في المجلات المختصة على المستوى العالمي، ويتأسف أنه بعد الاستقلال لم نضبط مسألة التاريخ، فقد ظلت مفتوحة للتأويل والاجتهاد، أي بقي يديرها غالبا من كانوا يشككون في وجود أمة جزائرية في الفترة الواقعة بين الحربين (وزناجي، **2007، 25**) ويتألم لواقع البحث التاريخي في الجامعات الجزائرية فيقول: "... أنظروا إلى هذا السيل الجارف من الجامعات التي تظهر عبر الوطن، إننا نفتحها بدون بنيات جامعية حقيقية،

وبدون أساتذة مؤهلين، وبدون مكتبات ولا مخابر ولا حاسبات، إنها مراكز علم بدون وصاية صارمة تسهر على رعايتها حتى تبلغ سن الرشد" (وزناجي، **2007**، **202**) ويدعو بدوره البروفيسور عقون إلى ضرورة ترقية البحث التاريخي والوصول به إلى التأصيل حتى لا نكتب تاريخنا على نهج الأجانب وهو يوجهنا إلى خطورة الوضع في أقسام التاريخ حيث نرى كما من الرسائل الجامعية تمجد دور الأجانب في ثورتنا التحريرية وتغفل تضحيات سكانها (عقون، **2014**). وباستعراض مواقف بعض المؤرخين حول الدراسات التاريخية الجزائرية يبدو أنها لا تلق الرضى، لذلك أمامنا طريق طويل من أجل كتابة دراسات تاريخية جادة تخدم الأهداف السامية لأمتنا حتى ندرس وقائع تاريخنا ضمن المسيرة العامة للبشرية وتاريخ شعبنا المتكامل وأمتنا الأصيلة، حتى لا نسمح للقاصي والداني أن يجعلنا يتامى التاريخ والجغرافية وهو لا يملك عشر ما نملك من التاريخ والجغرافيا، ولا يمكن وأد أطروحة موريس طوريز التي ألقاها هنا في العاصمة يوم **11** فيفري **1939**: "ليست هناك أمة جزائرية ولا حتى شعب وإنما سكان مزيج من عشرين جنسا" (نايت بلقاسم، **26**، **1986**) ولا شك أن هذا الخطاب الذي دفنته الثورة التحريرية العظيمة سنة **1962** أحياه الفراغ الذي تركه المؤرخ الجزائري، مما أعطى الفرصة لدعاة أحلام اليقظة ومرضى الحسد والغيرة فيما وراء البحر أو من بعض جيراننا أن يتطاولوا على أمتنا، لذلك فالدعوة إلى ضرورة إيلاء الأهمية القصوى بالدراسات التاريخية الجزائرية تصبح من أهم أساسيات الأمن القومي الجزائري، الذي يتعرض إلى محاولات زعزعته بأفكار غربية عن مجتمعنا تحي فيه العصبية وتموله قوى أجنبية خاصة في الحسابات الوهمية في وسائط التواصل لتنخر أذهان الناشئة.

- البيبليوغرافيا

- سامعي اسماعيل، علم التاريخ عند العرب والمسلمين دراسة في المنهاج والمصادر، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الاسلامية، قسنطينة، **2014**.
- سعد الله أبو القاسم، مجادلة الآخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2006**.
- سعيدوني نصر الدين، نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري، الثقافة، ع**84**، ديسمبر **1984**، وزارة السياحة والثقافة، الجزائر.
- سعيدوني نصرالدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط**2**، دار البصائر، الجزائر **2009**
- عقون العربي، المجتمع والثقافة في الشمال الأفريقي القديم نظرة موجزة في اسهامات الجزائر في الحضارة الإسلامية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع**43**، جوان **2015**.
- عقون العربي، الجزائر بحاجة إلى أن تخرج من الخطاب الإيديولوجي منتهى الصلاحية، جريدة النصر، **15** سبتمبر، **2014**.
- غانم محمد الصغير، ملاحظات عامة حول إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم، سيرتا، ع**8/9**، ديسمبر **1983**، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة.
- نايت بلقاسم مولود قاسم، مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا، الثقافة، العدد **94**، أوت **1986**، وزارة السياحة والثقافة، الجزائر.
- نايت قاسم مولود قاسم، التعليم والثقافة خلال الحقبة الاستعمارية، العدد **85**، يناير - فبراير **1985**، وزارة السياحة والثقافة، الجزائر.
- وزناجي مراد، حديث صريح مع أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، ط**3**، متيجة للطبع، الجزائر، **2007**.